بحوث حول
النظام العسكري في الإسلام

تأليف
أحمد زماني

الدار الإسلامية
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث حول

النظام العسكري في الإسلام

الطبعة الاولى
١٩٩١م. - ١٤١١هـ.

الدار الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان

كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر - طابق ثاني - هاتف : ٨١٦٦٢٧
ص.ب : ١٤/٥٦٨٠ - تلكس : ٢٣٢١٢ غدير
فرع ثاني : حارة حريك - شارع دكاش - هاتف : ٨٣٥٦٧٠ - ص.ب : ٢٥/٢٠٩

الإهـــداء

« بسم الله الرحمن الرحيم »

إليك يا بقيّة الله في أرضه وحجّته على عباده.

إليك يا منقذ الأمة أيها المهدي المنتظر ـ عجّل الله تعالى فرجك ـ إلى روحك يا أبا المصطفى يا قائد الثورة الإسلامية ، أيّها الإمام الخميني ـ قدّس الله سرّك ـ .

إلى أرواح الشهداء الأبرار الذين قتلوا في معارك الحق ضد الباطـل على نهج الحسين ـ (ع) ـ وإلى من يحرس الإسلام وقيمـه العاليـة أهدي هـذا الكتاب ! . . . فتفضّلوا بقبول بضاعتي المتواضعة ، وتصدّقوا علينا ، إنّ الله يجزي المتصدّقين .

العبد الفقير

أحمد زماني

تمهيد للأستاذ في كليّة الآداب بدمشق : الدكتور أسعد علي

منهجية قراءة في بحوث الجهاد
أو النظام العسكري في الإسلام

بسم الله الرؤوف الواهب النصير

١ - يسعى الواقعيون ليكونوا: أصحاء أغنياء وهو سعي محمود؛ فالصحة والغنى من مظاهر الإيجاد الإبداعيِّ الموصوف بأحسن تقويم... لكن الوقائع العالمية : تُثبت وجودَ الأمراض الجسدية والنفسية ، ولا تخفي مظاهرَ الفقر وحروبِ الرغيف ... فكيف ينجح السعيُ بخلق الصحة والغنى والتعاون لاستثمار خيراتها .؟

صاحب « الجهاد والدفاع » ، الشيخ رجب علي الزماني(*) : يوضح هذه الكيفية بخمس وأربعين بحثاً ... في كل منها فكرة منيرة: ذات قوامَ وقِيَم... بقوامها : تحقق الجاذبية ... وبقيمها : تحقق الخيرات لطالبيها ... وقد استطاع الإغراءَ بجاذبية الخير حتى النهاية..

في البحث الخامس والأربعين كما في البحث الأول وما بينهما: تُثيرنا هذه الجاذبية اللذيذة للخير ... تأخذ المستجيبَ لها إلى حروبٍ صغيرةٍ وكبيرةٍ، حتى تدخله الجنّة ... وما هي الجنة؟! .

٢ - الجنة : عروسٌ ... وللقِران بها : مَهْرٌ مُعيَّن .....

(*) لاحظ مقدمة الشيخ الزماني التي تروي حكاية الكتاب باللغة الفارسية ، فقد ذكر ان مؤلفي الكتاب لجنة رباعية من العلماء الأفاضل : سماحة العلامة الشيخ محمد جعفر إمامي ، وسماحة العلامة الشيخ غلام حسين مهدوي نجاد ، وسماحة العلامة الشيخ محمد علي مهدوي راد ، وسماحة العلامة الشيخ أحمد زماني .

الجنة : ليست قصراً في طهران او دمشق ؛ في موسكو أو واشنطن . . . ليست هذا القصر الذي يُسلِّمُ أصحابه إلى القبر طعاماً للدود بعد قليل من السنوات . . . لكنها اتساع « عرضُه السماوات والأرض » . . ومع هذا الاتساع : فهي محصّنة منيعة على الفناء والبلاء ؛ لأنها ذات نعيم خالد ؛ ولأن أنهارها الجارية : تحقِّقُ خصباً وغنىً ليس معهما ما يهدد الصحة بالمرض ، ولا ما يهدد الاقتصاد بالفقر أو الحاجة . . . .

كم يدفع الإنسان في الأرض : ليؤمِّن منزلاً موقتاً . . . وليؤمن دخلاً يستر معاشه ويُعين ورثته . . . هل يخفى غلاء الأسعار على أحد؟! .

كثيرون من الناس : يبذلون أيام عمرهم في النضال الفرديِّ والجماعي ، ليكون مع واحدهم ثمن بيتٍ ونفقة زوجة . . ومع ذلك : فالإقامة قصيرة واللذائذ منقطعة . . فاذا كان الطموح يرتفع إلى مستوى الإقامة الدائمة وفي ما تشتهي الأنفس بلا انقطاع ، أفلا يدعو ذلك إلى نضال حماسي يليق بالمطلب الرفيع؟! . .

الشيخ الزماني : يَضع قارئه في هذا الجوِّ المنفعل بطموح السعادة التي تحرِّك المجاهدين على اختلاف أنواعهم . . . والمجاهدون في ساحات القتال : كالمجاهدين في خلوات الاعتزال . . . أولئك : يجاهدون الجهاد الأصغر بالحروب مع الأعداء الذين استمعوا لإبليس ، فاستكبروا على أبناء الناس ، وتمردوا على أوامر ربِّ الناس . . . والمجاهدون الآخرون : يجاهدون الجهاد الأكبر برياضة النفس لتكون ملتزمة بما يرضي بارئها الحيِّ الرؤوف . . .

٣ ـ خطة المؤلف لانتصار المجاهدين : يؤكدها في كل خطوةٍ وعلى كل درجة من درجات السلَّم ، التي سمّاها دروساً ، وأعطى كلًّا منها عنواناً ؛ فرأس السلم ، هو : آثار جهاد النفس . . . وقد صورها في مسدَّس من الجهات ، ووصفها بالآثار تقريباً ، فقال :

« هنا ، نذكر جملة » من الفوائد والآثار المترتبة على جهاد النفس ومحاربتها :

أ ـ تنوُّر العقل . .
ب ـ الأمن الاجتماعي . .
جـ ـ التوفيق لطاعة الله . .

د ـ صلاح النفس .

هـ ـ الوصول إلى المراتب السامية نحو الملكوت الأعلى . .

و ـ قيمة جهاد النفس «الدخول إلى الجنة . . .» .

قلت : إن ما يصفه المؤلف بالفوائد والآثار يمثل جهات السعي الإنساني المستمر لتطهير الفرد والمجتمع من ظلام الجهل بتنوير العقل . . . ومن ظلم الاستكبار بالمساواة بين أبناء المجتمع الإنساني ؛ ليكون الجميعُ بأمانٍ ، بعضهم من عدوان بعض. .

هاتان الجهتان من جهات الجهاد: كليتان؛

فالعقلُ : مثلُ عينٍ ، تحجُبها عن نور الاستقامة جدرانٌ كثيرة ، يُقيمها إبليس عبر أتباعه المتزينين بالشّهوات . . . فإذا سلكت جهة التنوير، أي جهة المقاومة والمكافحة لإزالة الحواجز بين العقل والحق : استنار العقل وتبين له الحق وراء آيات الله في آفاق الكون وصميم الوجدان ، في النجوم والنسمات وفي مشاعر القلب والخفقات . . . وقد اقتبس الشيخ الزماني من أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) حكمتين تظهران تنوير العقل لقمع الشهوات الحاجبة ، وهما :

« من غلب شهوته : ظهر عقله » . .

« لا عقل : مع الشهوة » . . .

٤ ـ شهوة المال : تعمي عقل صاحبها ؛ فيسلك مسالك تورده الإطاحة بنفسه وحياته وحياة أسرته . . . كما في الأقاصيص التي تعرضها وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية . . . ومن أمثلتها : المهربون الذين يُغامرون لشهوة الربح فيخسرون كل شيء . . .ويتعجب العقلاء من سلوك أمثال هؤلاء ، وقد فاتهم قول أمير المؤمنين« لا عقل مع الشهوة» . . . أي : أن المحاكمة التي توازن بين ربح النفس والربح العابر القليل : تكون معدومة ، أو مكتفة بقيود الشهوة التي تماثل أذرعة الأخطبوط العديدة . . .

وليست شهوة المال أقوى الشهوات . . . وفي دوائر التحليل النفسي لتورطات الإنسان باستكبار الشهوة واستعلائها على صاحبها : يذكرون شهوة المال سابع الشهوات . . . ويذكرون أولاها : شهوة الجنس . . . وبينهما شهوات : الأذى ؛

واللذة ؛ والقوة ؛ والجمود ؛ والأنانية المتورمة . . . ويذكرون لكل من هذه الشهوات السبع : سبعة ميادين ، لكل منها أصول دفاع وجهاد ؛ فمن غلب شهوته في تلك الميادين : ظهر عقله بمعنى انتصر ، وبمعنى بان متألقاً بالنور الذي جعله مُستنيراً ومنيراً . .

إن الذين تستعبدهم شهوة المال مثلاً : هم مستعبدون لإبليس ؛ لأنهم يخافون الفقر ، والشيطان هو الذي يروج المخاوف من الفقر ويعدُ بها . . . فإذا أرادوا التحرر من هذا الاستعباد «الإبليسمالي» : عليهم أن يناضلوا للتغلب على رؤوسه الشيطانية المتسلطة من : رأس البخل . . واشتهاء مقتنى الغير . . والتقتير على النفس والأهل حباً بجمع المال . . . والطمع بخيرات الدنيا والاستكلاب لتكثير المال . .

إذا تغلّب المجاهد على هذه الرؤوس الأربعة . . . وهي أربع جهات المقاومة على هذا المستوى ؛ فإنه يرى نفسه أمام مشاعر جديدة ، كأنه تجاوز وديان ظلام حارة ووصل إلى روابي ضياء معتدلة . . . وهنا يبدأ جهاده الإيجابي ويتطور فيه عبر ثلاثة مستويات ؛ مستوى القناعة بالكفاف اليومي ، ثم العمل الخفي لمساعدة البؤساء . . . ويلي ذلك مستوى الجود بمعظم ماله في سبيل الخير والرقي الروحي . . . ثم يصل الأفق الأعلى ، وهو مستوى بيع الدنيا من أجل الله . .

هذا معراج تحرير العقل من شهوة المال ، كما تفهم عبارة أمير المؤمنين (ع) التي أوردها الشيخ الزماني في ما سماه : فائدة جهاد النفس ومحاربتها المتجلية في تنوير العقل . . .

٥ ـ أما التحرر من شهوة القوة مثلاً : فيمرُّ في جولات من منازلة النفس لتخليصها من استعباد الغضب . . . ومن شهادة الزور . . . ومن القتل . . . ومن الحلف بالله بالباطل . . . ومن المراءاة . . . ومن الانتقام . . . ومن الكذب . . . ومن الظلم . . .

إذا تغلب المجاهد على هذه المظاهر الشيطانية لشهوة القوة ، فإنه يصل إلى مناخ أخلاقي جديد ؛ يرى نفسه محباً للعدل والرحمة ، عاملاً بهما . . . ويرى نفسه صابراً على الأذى ، راغباً بالتضحية لهداية المؤذي . . . ثم ترقى به الحال حتى يندفع للاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله . . .

وهذا معراج تحرير العقل الإنساني من شهوة القوة . . .

ومثل ذلك المعارج الخمسة الباقية في مظاهر الشهوة الأخرى التي عرفت : بالجنس والأذى؛ باللذة والجمود ؛ بالأنانية المتورمة . . .

٦ ـ يحكى أن الكهرباء قطعت عن نيويورك ذات مساء : فكان ما كان من عجب السلوك العدواني عند غيبة النور . . . يقال إن ما ارتكب من الجرائم والجنح أثناء انقطاع الكهرباء : كان بمعدل سبعة أخطاء لكل دقيقة . . وهذا غريب في حاضرة أمريكا العالمية ، التي تصدر من كتب التبشير بالخير ما لم يسمع عن مثله كثرة عدد ؛ فقد أصدر غيورون على الإنسان فيها « كتاب الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية » بمئة مليون نسخة . . . وخمس عشرة ومئة لغة . . . فكيف تحرر مثل هذه الحاضرة من مثل هذا التدهور النفسي بغياب النور؟ . . .

الشيخ المؤلف : جعل « الأمن الاجتماعي » أثراً من آثار جهاد النفس ، أو فائدة من فوائده . . . وعنى بذلك معاني جليلة ونبيلة ، فقال ما مؤداه ، . « عندما يجاهد الإنسان نفسه ويحاسبها: يحترم الغير وممتلكات الغير ، كما يحب أم تحترم نفسه وممتلكاته . . ولذلك : لا يُبيح لنفسه أذى الغير ولو أتيح له ذلك ، بل يحامي عن كرامة الغير وأملاكه ، كما يُحامي عن كرامته وملكه . . . وبذلك يكون جهاد النفس أقوى من سائر القوى الأمنية : كالشرطة والدرك والجيش وغيرها ؛ لأنها تحرس في أماكن خاصة . . . ويحرس جهاد النفس في كل مكان ، فتُحفظ أموال الناس وأعراضهم ودماؤهم . . .

لو كان مجتمع نيويورك الامريكي : مُدرّباً على جهاد النفس . . هل كان وحش الجريمة عاث بالمدينة فساداً عند انقطاع الكهرباء ؟

الجواب : كلا . . لأن جهاد النفس يحقق الأمن الاجتماعي ؛ لأنه يدرب على « صلاح النفس بطاعة الله » . . وعلى الترقي بالمراتب الخلقية السامية نحو الملكوت الأعلى الذي يناله المجاهدون الشهداء ؛ وأولئك هم السعداء في جنة عرضها الأرض والسماء . . .

طاعة الله ، وصلاح النفس : جهتان كليتان . . مثل : أمن المجتمع ، وتنوُّر العقل . . . فليطل القارىء التأمل بذلك في مكانه . . .

أما الوصول إلى المراتب السامية نحو الملكوت الأعلى : فهو الممارسة العملية في الجهاد الذي يمحِّص خلصاء الله بمثل الطريقة « الإسماعيلية» المستسلمة لأمر الله . . . أو بمثل الطريقة « الحسينية » الثائرة بأمر الله . . . والأهم في الطريقتين بلوغ المطابقة مع أمر الله والتخلي نهائياً عن أمر النفس التي تشرك أمرها بأمر الله ما لم تكبح بكوابح التهذيب والمجاهدات . . . وقد وفق المؤلف إلى اختيار اقتباساته من تاريخ المجاهدات الفائقة في معالجة هذه المحطة ، أو الفائدة من فوائد جهاد النفس . . . فليمعن الراغبون النظر فيها لعلها ترفعهم إلى مراتب من سموِّ النفس يقدرونها بما يعلو على كل تعب وثمن . .

من هذه التوفيقات الاختيارية : إشارته إلى خلاصة ما فهمه الحكماء من تأثر الفاعلية والقابلية ؛ وأبقي له نص عبارته كما هو :

« نعم ، قال الحكماء : العلة الفاعلية . . تؤثر على الشيء : حينما تتم العلة القابلية في الشيء . . . فإذا لم توجد هذه السنخية والتنسيق : لم يُعْطِ الفاعلُ إلى القابل شيئاً . . . فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ أعطى ولاية تكوينية إلى الأنبياء والأئمة المعصومين : بعدما تم الإخلاص والتنزيه والتطهير فيهم » . . .

ومن هذه الاختيارات الموفقة : ما اقتبسه من دُرَرِ حكم أمير المؤمنين (ع) أعني هذه الحكمة :

« ذروة الغايات : لا ينالها إلاّ ذو التهذيب والمجاهدات » .

بشرحنا العصريِّ : نرى توازناً بين الغايات والمجاهدات ؛ ونرى اتزاناً بين الذروة والتهذيب . . . وتفصيل ذلك : نطبقه على مجاهدة النفس في ميادين الأنانية ودوائرها السبع .

نسمع في هذا القرن العشرين عن اجتهاد الأطباء لإيقاف هذا التكاثر الفوضوي الذي يسمونه المرض الخبيث ، أو « السرطان » . . . ولا ننسى ما نسمعه في المجال الأخلاقي من قولهم عن « فلان أو علان أو ثلان » : إنهم خبثاء . . . أي يتقنون الالتفاف على الحقائق كالأخطبوط على فريسته . . . أو كالتورم على النسيج الذي استولى عليه ـ ونسأل الله المعاذ والغوث . . .

في الدائرة « البراكسية » من تحليل الشهوات الإنسانية : يُسمى هذا الذي نقول عنه «الأنانية المتورمة» باسم آخر هو « عبادة الذات » . . ونظن ذلك أقصى أنواع التورم بالأنا ؛ لأن الذي يعبد ذاته : ليس مشركاً وحسب ، بل هو مُدّع أيضاً ، وهو مغتصب حقاً ليس لغير فاطره . . . وذلك بتمثيلنا التقريبي مثل اغتصاب الورم الخبيث للعضو الصحيح . . . والجهادُ الطبيُّ المادي للشفاء من الأورام السرطانية القاتلة . . . والجهاد الرياضي النفسي للشفاء من الادعاءات ذوات الرؤوس الاستكبارية الشيطانية . . .

أول تلك الرؤوس : الاستكبار . . . ويتورم في جحود الله . . . ثم في عقوق الوالدين . . . ثم في لعنتهما . . . ثمَّ في التهكم بالروح والطهارة . . . ثم في حبِّ الشهرة والجاه الدنيوي . . .

إذا استطاع مجاهد نفسه الانتصار بقطع هذه الرؤوس الاستكبارية : يصل إلى برزخ التواضع . . . وفي هذا البرزخ يقهر ذاته بالاتكال على الله وحده . . . ثم يبلغ الدرجة العليا بإفناء الذات في سبيل الله . . .

إفناء الذات : يعني الطهارة الكلية من أورام الأنانية الخبيثة جميعها . . . والطهر هو الغاية : لأنَّ التماسَّ بكلمة الله لا يكون إلّا به . . وهل يمَسُّ القرآن إلَّا المطهرون ؟ . . ثم أليس أسلوب القصر في آية التطهير من إعجاز الدلائل على سمو هذه الغاية حتى اعتبرها أمير المؤمنين (ع) « ذروة الغايات »؟!.

﴿ إنما يُريدُ الله ليذهبَ عنكم الرِّجسَ أهل البيتَ ويُطهِّركم تطهيراً ﴾ . . .

لكنَّ « ذروة الغايات » ، هذه : مثل « روضات الجنات » في سورة الشورى ؛ فكل الجنات : طيبات ؛ لكن روضاتها : أطيب بقاعها وأعلاها . . . وكذلك الغايات التي وصفت بالمراتب السامية نحو الملكوت الأعلى : مثل الجنات التي يبلغها أصحاب المجاهدات النفسية . . . أما ذروة الغايات : فمثل الروضات من الجنات . . . ولا تنال إلا بالتهذيب ثم التهذيب الذي هو أخص أساليب المجاهدات . . .

مهدتُ بهذا التخصيص التهذيبي في جهاد النفس : لأشير إلى « جهاد الجهاد »

الذي هو « التهذيب في المجاهدات » . . . وليكون ذلك مثيراً لما بعد دخول الجنة كما كان مثيراً بما هو قبل الدخول . . . ألم نشر إلى جاذبية الخير والإغراء بها منذ البداية ؟!

٨ ـ عفو إمامي العزيز . . .

فقد قلت : « إن الجنة عروس . . . ولِلقران بهـا مَهرٌ معيَّنٌ . . . وأعتبـر ذلك القول في مكانه إثارةً تشير إلى الغاية من الجهادين الأصغر والأكبر ، وإلى الوجهة التي يستقر عليها خطّابُ هذه العروس ومحبّوها الشجعان . .

وهذا الوصف للجنة بالعروس : صورة عصرية لقول أمير المؤمنين (ع) الـذي ختم به الشيخ الزماني كتابه . . . وهو :

جهاد النفس : مَهرُ الجنة :

جهاد الهوى : ثمن الجنة :

فالمهرُ : يكون للعروس ؛ والثمن : يكون للأشياء ذاتِ الثمن ؛ وكلماتُ أمير المؤمنين : ملكاتٌ . . أعني كل واحدة منها : ذات إيقاع مديد كشجرة « إبـراهيم » التي أصلها ثابت وفرعها في السماء . . . ولنتأمل في مرامي هذا الختم الزماني .

جهادُ الهوى : يعني كبحه . . . وهوى النفس : مـوصوف في القـرآن الكريم بأنه إلّهٌ مزعوم يزعمه المتورمو الأنانيـة . ﴿ **أرأيتَ من اتّخذ إلّهـه هواه . . . أفـأنت تكون عليه وكيلًا . .؟** ﴾ . . (٢٥/٤٣) .

لكن محطم هذا الإلّه المتخذ مرضاً نفسياً : يأخـذ أجرتـه الثمينة من خيـرات الجنة العامة ، من ثمارها وطيباتها ، ومما ضمَّنها الله من بركاته وواسع هباته . .

أمـا مَن يجاهـد نفسه كلهـا ، فيحطم أصنـام جمودهـا وأذاها ، وأزلام لـذتها وجنسها : فانمـا هو مُعَـوَّض بجنة الحيـوية . . . وقـد يكون التـوجيه إلى خصـوص مجاهدة النفس الجنسية ، أي : هذه الشهوة التي تثير فكرة القِران بمن يقدِّم لها مـا يُعرف بالمهر في حياتنا الدنيا . .

جهاد هذه الشهـوة الجنسية لـه دوائره السبـع أيضاً ؛ ومجـاهد نفسـه من هذه الجهة : ينازل الدعارة كلها ، ويجرفهـا من طريق حيـاته . . . ثم يجـاهد الـزِّنى :

فيجـرفه من طـريق سلوكه . . ثم يجـاهـد الاشتهـاء لامـرأة القـريب وكـل بني آدم أقـرباء . . . ثم يجـاهد الـزنى الفكرى والنـظري ؛ لأن الاشتهاء بـالعين أو بـالقلب « يلوِّثُ » .

إن التخلص من هذه الدوائر الثلاث إذا اعترضت سبيل المجاهد : يليه برزخ الحياة المشروع الذي هو الزواج ؛ ففيه : يحقق الإنسان إرواء هذه الشهوة وتهذيبها بتقدير الصلة المصمَّمة لإنتاج عباد الله . . . وبالسهر على حسن تنشئة ما تثمره تلك الصلة . . .

وراء هذا البرزخ الـزواجي : يتذوق المجـاهدون المـرتقون « مُتَـعَ العفة » ؛ لأنهم بهذه المشاعر يُحلِّقون أعلى . . ولأمير المؤمنين (ع) في العفيف : كلام أخاذ بديع . . كقوله في الحكمة (٤٧٤) :

« ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظمَ أجراً مِمَّن قَدر فعفّ لكاد العفيف : أن يكون مَلكاً من الملائكة » . .

وفوق العفة : التبتل لله . . . وفوق ذلك : التوقُ الدائم للاتصال بالله . . .

في مستويات « العفة . . . والتبتل . . . والتوق » : يُضيء المجاهدون بأضواء اتصالهم . . . ويكونون قد قدَّموا مَهر هذه العـروسة التي ذكـر أمير المؤمنين مَحلَّهـا بقوله : « جهاد النفس مهر الجنة » . . . وقوانين البلاغة : تبيـح ذكر المحـلِّ وإرادة الحالِّ فيه . . .

وعفوَ إمامي ثانية . . . فأنا أميط اللثام عن محاسن المعنى في عبارته : للإشارة والإثارة . . . ونحن نعلم أن الجنة مساكن الحور . . . والحور : عرائس وعرائس لا تحصى . . . فهل يكون جهـاد النفس : مهراً واحـداً لكل عـروس . . . أم هو مهـر يقدمه كل مجاهد بجهاد نفسه ؟ . . .

لا بد من « التهذيب والمجاهدات لبلوغ ذورة الغايات » . . !

« الحياة لها قصد » : عنوان كتاب ، صدر في نيويورك ، طُبع منه في الـطبعة الأولى : مليونا نسخة . . . وبلغات عدَّة . . . ويستطيع القارىء الذكي أن يتعرَّف إلى

مجمل هذا القصد من البحث الأول في كتاب الشيخ الزماني . . . ولا يخفى ما لهذه المقارنة السريعة من قيم مبدئية ؛

في البحث الأول «ملامح كاملة عن فريضة الجهاد والبحث حوله » : يجد المتأمل وضوح قصد الله من إيجاد الوجود على أحسن تقويم ، ومن عبارة مؤلف الكتاب قوله :

« إن الفكر يحكم بأن الإنسان لم يخلق مُزَيَّفاً . . ولكن ينبغي تعيين وتوضيح الغرض من الخلق » . . . ويرى أن ذلك يتم بإرسال الأنبياء : لإيصال القوانين الإلّهية الشاملة . . . ويرى أن وعي هذه القوانين وممارستها : يمكّنان الإنسان من الوصول إلى قمة الشرف والسيادة . . . ويصور المؤلف علاقة الإنسان بقوانين الوجود الإلّهية بصورة الماء وأكسجين الهواء ، يعني أن الانقطاع عنها : يميت المنقطع . . . والذي يحاول إفساد هذه العلاقة بين الإنسان وقوانين إيجاده : لا يُترك . . بل يُقاوم ويُردع . . . ومن هنا كان لا بد من الدفاع عن قوانين الحياة والجهاد لسلامة الاحياء وصلتهم بالحيِّ الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . .

خطة الكتاب : واضحة بسيطة ؛ ففي كل درس : يطرح فكرة العنوان . . . ثم يجيء بالأسباب الموجبة لمعالجتها. . . ثم بالبينات المختارة من الوقائع ومن آيات الكتاب وأحاديث النبي وكلمات الأئمة وخصوصاً من أقوال أمير المؤمنين (ع). .

إن الصورة التي كتب بها البحث الأول : توضح هذه الخطوات المتدرجة في المعالجة التربوية الجذّابة . .

فثورة الإسلام التي فجرها الإمام الخميني (قدس سره) : أيقظت الآمال وحركت عزائم الجهاد لتحقيق الشخصية الإسلامية . . لكن الانفجار المعاكس ؛ أوجب ضرورة الجهاد المزدوج ؛ فكان الجهاد المادي مع المتصدّين لثورة الإسلام . . . وكان لا بد من الجهاد النفسي الأكبر لإقناع الإخوة بالتفاهم والتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان. . .

من هذا الواجب المزدوج : ولدت فكرة الكتاب . . لكنها عُمِّقت إلى ما قبل « الثورة الإسلامية » . . . وإلى ما قبل « المقاومة الاستكبارية » لها . . . وقد سبقت

الإشارة إلى ذلك التعميق الذي يظهر « قصد الحياة » وواجب الأحياء في الجهاد لتحقيق ذلك القصد الحيوي الذي هو قصد الحيّ. . .

والآيات المقتبسة : بيِّناتٌ واضحة لإظهار ذلك القصد ومناهج رعايته مع كل نبيٍ ووليٍّ . .

وإذا كانت الآيات الكريمة : بمثابة القواعد النظرية . . . فإن الشيخ الزماني : شديد الانتباه لكيفيات الممارسة ويحب الإنتباه في الممارسين والتنبيه إليه . . ولهذا القصد : يختار خاتمة الدرس بقول من أمير المؤمنين علي (ع) ؛ لأن أمير المؤمنين : رُبِّي على يد خاتم النبيين (ص) وعينه . . وقد اختار منه للدرس الأول : فاتحة خطبة الجهاد المعزية بعزٍّ الحياة وسعادة الجنة . .

« أما بعد : فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة . . فتحه الله لخاصة أوليائه» . .

الجنة واسعة ذات أبواب . . . لكن باب الجهاد لخاصة الأولياء . . . وهل ينال ذورة الغايات الكسالى أم المجدّون بالجهاد وتفصيلات المجاهدات والتهذيب؟!. .

الجنة عروس مَهرها جهاد النفس . . وثمنها جهاد الهوى . . . وهذا التمييز بين «المهر والثمن» : دلّنا إلى تفصيل إبداعي : في عبارتي أمير المؤمنين (ع) . . . ولا يعدم هذا التفصيل الإبداعي : من يتأمل أية عبارة «أميرية علوية» . . .

وقد قدمنا بينة ذلك في قوله : « ذروة الغايات : لا ينالها إلا ذو التهذيب والمجاهدات » . . . والآن نفكر بخاصة الأولياء وفق هذه القاعدة التي أوضحتها لنا « روضات الجنات . . . وذروة الغايات » . . . فالأولياء : اتساع من المكرمين . . . وخاصتهم : ارتفاع مرتبي مثل الذروة للغايات ومثل الروضة للجنات . . والجهاد : من أبواب الجنة ؛ لكنه الباب الأخص للخاصة من الأولياء مع أن كل ولي ذو منزلة تقربه ممن جعل له عليه الولاية وهو الباعث الوارث ، المحيي الميت . . .

« دروس الجهاد » : تفاصيل تقرّب إلى وعي ماهية الجهاد وأهدافه . . . وتغري به محبي السعادة في الدنيا والآخرة . . . والرجل والمرأة مدعوان لهذا الوعي والعمل به في أيام الحرب والسلم . . في مواجهة العدو الخارجي من البشر . . . وفي مواجهة العدو الداخلي من الوساوس والأهواء . . . وكل درس يسرد بينات انتصار

المجاهد . . . والتأمل في تسلسل الدورس : سبيل استيعاب المواسم الخيِّرة من هذه الثروة والكنوز المقدمة في الكتاب . . . والتي هي بدورها : قوى وإمدادات لما هو النصر الأعظم والنعيم الأوفر بحياة الجنة الخالدة . . .

٩ ـ والسؤال العصري الختامي : كيف نمتلك الحيوية والحبَّ ليكون الحي قيوماً والودود منتصراً؟ ! .

إن الانتصار للإنسان المجاهد : يكون محققاً بالتدريبات المستمرة وبالتهذيب الممَّحص لكل تدريب ، حتى يكون التحول بقيومية الحيوية ونصيريّة الودوديّة . . . ونفصل من وجهة نفسية لهذا التدرج المجرد . . .

فالجمود والأذى : من المظاهر العالمية المعلومة لدى عدد من الشعوب . . . فالشعوب الضعيفة المستضعفة : عرضة للقوى المستكبرة . . والجهاد التربوي : يجتهد لتربية الجموديين ليتجاوزوا جمودهم بقيوميّة الحيوية . . . كما يجتهد لتربية الطامعين حتى يتجاوزوا مطامع الأذى بمناصرة المودة والتعارف بها ومعها . .

المعراج من الجمود إلى الحيوية : يمر بمعارك ينازل فيها الكسل . . . ويقارع إهمال الواجبات الروحية ولاسيما الصلاة. . . ويطارد البطالة والجمود الروحي. . . ويقيد العمل الدنيوي بالتزام الحدود المعقولة له ، فلا ينصرف إليه انصرافاً كلياً. . .

عندما يبلغ العارج هذه المرحلة ؛ يشعر بعافية النشاط والشجاعة الروحيين . . . ويهيمن على قواه الجسدية بتعزيز الروح . . . ثم تأخذه حماسة الدعوة لله والتلفيت إلى ملكوته وعجائبه وآلائه الرحمانية . . .

كذلك المعراج من الأذى إلى الإحسان ، ومن الحسد إلى الحب ، ومن الإعتداء إلى المناصرة . . .

هذا المعراج الجهاد : يحارب شهوة الأذى فيقمع مظاهرها الشيطانية في « الحسد . . . والسرقة . . والنميمة . . . والبغض . . . والافتراء . . والغيرة أو الاغتمام من خير الآخرين والأقربين » . . .

إذا قمع المجاهد هذه القوى المؤذية : تنفتح عليه وفيه مشاعر القوى التجاوزية ؛ فيحب قريبه كنفسه . . ويحنُّ لتخليص أعدائه من براثن الأذى

الإبليسي ؛ وكثيراً ما ينجح مثل هذا المجاهد الشديد في تحويل العداوة إلى صداقة ، بل إلى مناصرة . . . وعندما يتمكن مثل هذا المنتصر بالحبِّ والإحسان : يفتح أجنحة التوق المخلص للفناء من أجل انتصار الحبِّ الإلّهي . .

إن انتصار الحب : هو ذروة الغايات التي تُبلغ بتهذيب المجاهدات ، كما يقول أمير المؤمنين (ع) . . . وهذه الذروة ترفع معها انتصار الأساس كما ترفع الثمرات معها فرح الجذور وغايتها من الثبات . . . وأول قواعد السنة النبوية ؛ الحب أساسي . . وآيات الحبِّ القرآنية معلومة ، وكذلك في الكتاب المقدس : الحبُّ أساس وذروة . . . وحركة تبقي سعادة العلائق مع الله وعباد الله . . وآية المائدة « يحبهم ويحبونه » : لتكوم مائدة نعيم دائم . . وهل يتحقق هذا النعيم إلا بالجنة السالمة من القلق والفناء ؟ .

لذلك يكون « جهاد النفس مهر الجنة » . . . كما علمنا أمير المؤمنين (ع) . . .

وتكون إعادة النظر بما قلناه إلى الآن مغرية بأعياد هذه الدروس الجهادية التي اجتهد بتأليفها الشيخ الزماني . . . مقتدياً بصاحب « دروس في الجهاد والرفض » . . . تلك الدروس التي سطرها الإمام الخميني في حركته النضالية التي حققت انتصار الثورة الإسلامية في إيران . . . والتي حقق صاحبها المجدِّد : جدَّة التفات لقوة الإسلام . . .

وأرجو أن أكون بهذه المقدمة : قدمتُ منهجية قراءة لبحوث الجهاد الزمانية ولمشاراتها المجتَذّبة من الوحي والفكر . . . لعل محبِّي الجنة : يسارعون . . . ويسابقون . . . ليكون جهادهم مَهر هذه العروس . . . ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة** ﴾ . (٥٧/٢١) .

أفقر الفقراء : أسعد علي

دمشق : ١٤٠٩/١١/٢٥

١٩٨٩/٦/٢٩

مقدمة المؤلف

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله قاصم الجبّارين ، مبير الظالمين ، مدرك الهاربين ، نكال الظالمين ، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين ، وينجي الصالحين ، ويرفع المستضعفين ويضع المستكبرين ، ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأفضل بريّته ـ محمد بن عبدالله ـ (ص) ـ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين ، سيما بقية الله في الأرضين الإمام الحجّة . ـ عجل الله فرجه الشريف ـ وعلى الذين يسيرون سيرة الأنبياء ، سيما زعيم الثورة الإسلامية وقائدها .

أما بعد فإن القوى العظمى المعتدية الظالمة تتمادى يوماً بعد يوم في استعباد الشعوب المستضعفة والمحرومة واستغلالها وتكشف عن وجهها الشنيع والكريه من خلال تصرفاتها اللاإنسانية حيث إنها تكبّد وتدمر وتقتل كل يوم هنا وهناك بأسلحتها الفتاكة ، ومتذرعة بأعذار واهية ، كالدفاع عن الشعارات القومية أو العنصرية وغيرها . متخذين الشعوب المستضعفة في العالم ميداناً لتجارب أسلحتهم بأنواعها من كيماوية وذرية ونووية وغيرها .

هذا من جهة .

ومن جهة أخرى : فإن الاستكبار بشطريه : الشرقي والغربي قام بهدم الأرصدة المعنوية ، وإبادتها ، من خلال توزيع مادّة الأفيون ، ونشر مشاريع وتقديمات عديمة الجدوى وإقامة المراقص والملاهي .

فهؤلاء الطواغيت يريدون إبادة هذا الجيل والذي يليه . حيث إنّ هذه التصرفات لم تصدر إلّا عن النظرة العالمية التي تؤمن بها الرأسمالية الغربية والاشتراكية الشيوعية ، في سعيهما لتقليل وإبادة أبنائها ـ كما صرّح بها مالتوس ـ[١] في حلّ مشكلة التوازن بين زيادة السكان في العالم وقلة الإمكانات والمواد الغذائية . إنّه يقول : تزداد النفوس في أقطار العالم يوماً بعد يوم ، ويتصاعد نموّها تصاعداً هندسيّاً . وفي الوقت نفسه وإن القدرات والمواد الغذائية تزداد قليلاً ، كأنها تنمو وتتصاعد تصاعداً عدديّاً . فهذه المشكلة تحتاج إلى الحلّ والموازنة وهي لا تتحقق إلّا من خلال تقليل أفراد الإنسان بواسطة الحرب واستخدام الأسلحة المبيدة فيها ، أو تجويعهم بطرق مختلفة[٢] . وربما كان هذا هو سبب إعلان الموافقة من قبل الأميركيين على استخدام الأسلحة الكيمياوية في مجلس الأمن التابع لمنظّمة الأمم المتحدة ، القرار رقم ٥٧٧ .

مضافاً إلى ذلك . يبدو هذا الأمر جلياً بالنظرة الاستعلائية إلى دول العالم الثالث ، وتكون النتيجة العملية تسلّط القوى الكبرى عليها كعدوان أمريكا على فيتنام ، والاتحاد السوفياتي في أفغانستان ، وغيرهما من الدول المتخلفة . وهي أقوى شاهد على ما قلنا .

اذن . . . ما العمل تجاه هؤلاء المتحكمين المتعطشين لسفك الدماء حيث إنهم يرتكبون الجرائم بأبشع صورها بحق الإنسانية والشعوب المستضعفة ؟ فالاستسلام تجاه هؤلاء لا يجوز ، إذ يكون سبباً آخر يشجعهم على تنفيذ مخططاتهم الإجرامية المستقبلية .

والجدير بالذكر ، أن عملية إجراميّة تجري فصولها في هذه الأيام بالتنسيق مع الاستكبار ، والتي تتجلى بنقل ثلاثة ملايين صهيوني من الإتحاد السوفياتي إلى الأراضي المحتلة . وماذا يستهدف هؤلاء الخبثاء ، حقيقة من هذه العملية ؟

---

(١) مالتوس : MAITHUS ـ منظر الحزب الجمهوري في أمريكا ـ من علماء الإقتصاد الإنكليز . له كتاب (محاولة النظر في التناسل) . تكلم فيه عن تكاثر البشر .

(٢) لا شك أن هذا الحل غير صحيح حيث توجد طرق أخرى : كتصنيع الزراعة وتوفيرها بالأجهزة الحديثة في الصناعات الغذائية وغيرها .

لا شك أنهم يريدون توسيع الغدة السرطانية (إسرائيل) حتى يشرّدوا عدداً آخر من الـرجال والنسـاء والشيوخ والأطفـال ، من المسلمين وغير المسلمين ، بـواسطة العدوان الصهيوني . فلا يجوز السكوت والتغاضي عما يبيته هولاء الظالمـون ، لأنّ الجيل القادم لن يصفح عنّا . وكما قال مولى المجاهدين أبو عبدالله الحسين ـ (ع) ـ في يوم عاشوراء حينما ألقى الخطبة الثانية :

ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين ؛ بين السّلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حميّة ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام ؛ ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر[1]».

فالطريق الوحيد تجاه هؤلاء هو : النضال المرير والكفاح العنيـد ، كما كـانت سيرة الأنبياء وخـطهم ، حيث إنهم ـ (ع) ـ عملوا بالأوامـر الإلّهية فقـاوموا وحـاربوا بموجب التكاليف الربانية.

فيا أيها المسلمون الغيارى ويا أيها الشباب الثوريون إنكم تعرفون ولا شك أن محاربة العدو تحتاج إلى أمور ثلاثة : .

١ ـ وجود القوى المؤمنة والفّعالة ، وحسن اعدادها لما تقتضيه المعركة.

٢ ـ معرفة العدوّ والتقنية المستخدمة لديه.

٣ ـ معرفة اتباع منهجية صحيحة في النضال الشـاق ، كما تـأمر بـه الشريعـة الإسلامية ، الأمر الذي يؤمن السعادة والانتصار! . .

وقد حاولنا بقدر الإمكان والاستطاعة دراسة هذه المحاور الثلاثة خلال العناوين التالية ، آملين أن ينتفع بها مجاهدو الأمة الإسلامية ؛ مع العلم بـأننا لم نستـطع أن نؤدي الجهاد حقه ، على اهميته . . . وهذه البحوث هدية متواضعة نقدمهـا للعلماء المجاهدين ، بمثابة المفتاح والرمـز ، لكي يدرسـوا أبواب الجهـاد أكثر فـأكثر حتى تستفيد منهم الأمة الإسلامية.

والجدير بالذكر ، أنّ هذا الكتاب ألّف باللغة الفارسية قبل ست سنوات ، حيث إنني أنا ـ رجب علي زماني تدارست موضوع الجهاد والدفـاع مـع ثلاثـة من العلماء

(١) مقتل المقرّم ص ٢٣٥ : حياة الحسين ج ٦ ص ١٩٣ .

الأفاضل: سماحة العلامة الشيخ محمد جعفر إمامي ، وسماحة العلامة الشيخ غلام حسين مهدوي نجاد ، وسماحة العلامة الشيخ محمد علي مهدوي راد ـ حفظهم الله ـ إثر ذلك، وألّفنا، كتاباً سميناه ـ دسهائي از نظام دفاعي إسلام ـ وطبع حتى الآن ثلاث مرات ثم اقترحت على الاخوة المؤلفين المحترمين بعد أربع سنوات أن أترجمه إلى العربية ، فوافقوا .

فقمت بالتالي بدراسة الموضوع والعناوين بصورة تفصيليّة ، فأضفت عناوين حديثة أخرى ، كما أضفت نصوصاً مناسبة أخرى ضمن العناوين السابقة ، فإنّ الكتاب بدأ بالجهاد الأصغر ، وختم بالجهاد الأكبر ، حسب التعبير في الرواية المنقولة .

وأنا آمل أن يترك هذا المؤلف أثراً إيجابياً لدى عشاق الحرية الأخيار والمجاهدين الأبرار فيستمرّوا في نضالهم على نهج الإسلام والنبي الأعظم ـ (ص) ـ والقادة الإسلاميين في الغزوات ، وأن يفتح لهم طريق النصر المؤزر . وسعادة الدارين .

وأرجو من الله أن يكون هذا المؤلَّف ذخراً للعبد الفقير يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وكفارة لذنوبه ، وأن يتقبله بلطفه وكرمه ، عملاً خالصاً لا يبتغي غير وجهه الكريم .

وما أشبه هذا العمل على ضآلته بقطرة الماء في فم النحلة ، إذ بذلتها لإطفاء النار التي أضرمها نمرود لإحراق محطم الأصنام نبيّنا إبراهيم ـ (ع) .

وفي الختام أقدم الشكر لكل من الأساتذة والأصدقاء الذين ساعدوني وشجعوني على تأليف هذا الكتاب ، خصوصاً ـ الأستاذ الدكتور أسعد علي ـ حفظه الله ـ كما أشكر مؤسسة الدار الإسلامية على قبول طبعه ونشره .

والسلام على عباد الله الصالحين

المؤلف : أحمد زماني **التاريخ : ١٣٦٩/٣/٥ ـ المطابق**

١/شوال/ ١٤١٠ هـ ق

في : ١٩٩٠/٤/٢٦ م

البحث الأول

الملامح الكاملة لفريضة الجهاد والبحث حوله

انتصرت الثورة الإسلاميّة في ايران ـ بقيادة زعيم الأمة الإسلامية وأمل المستضعفين نائب الحجة، الإمام الخميني «قدس الله نفسه الزكية». فأوجدت فكان صدى ذلك عظيماً في أنحاء العالم، بحيث إن كل مسلم في العالم التفت إلى أنّ الشريعة الإسلامية هي أفضل منهج وطريق لإدارة أمور الناس والقضاء فيما بينهم، وأنها ليست أحكاماً شرّعت من أجل بناء الروح فحسب. وبعبارة أخرى: الثورة الإسلامية هي فكرة جديدة لتنظيم امور المسلمين على أعلى المستويات.

كما يظهر من القرآن والسنة والعقل و... وهي شاملة بذلك لشتى أمورهم السياسية، والثقافية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

نعم. هذه من بركات الثورة الإسلامية وقيادتها الحكيمة، بعدما ابتعد المسلمون عن كثير من الأحكام الإسلامية الأساسية. وحلّت محلها آخذين بعادات خاطئة وأفكار غير صحيحة، بثها الاستكبار العالمي من الغرب والشرق. ومن ثم فإن الثورة افتقرت إلى حركة جذرية ثقافية تتناول جهات مختلفة من مختلف أمور الناس مما استلزم دراسة أساسية عميقة في الفقه الإسلامي يقوم بها العلماء المجاهدون، الذين أصبحوا مشعلاً ومصباحاً ومناراً للأمة الإسلامية، ورغم ما بذلوا من جهود، ومحاولات؛ فقد واجهتنا صعاب كثيرة وعقبات مختلفة عند التنفيذ لم تكن بادية، من قبل للعيان.

ازاء ذلك ، فإن من أهم المباحث الفقهية ، البحث حول الجهاد والدفاع ؛ لأن المحافظة على الثورة الإسلامية في مركزها - إيران - واقطار العالم الإسلامي ، والحفاظ على الحركات وعلى التحريرية يتطلب معرفة العدو وكيفية مواجهته ، والتقنية المستخدمة في ذلك ؛ إضافة إلى أن الساحة الإسلامية واسعة ممتدّة ، والقوات المتوافرة فيها كثيرة ، وحيث نرى أنفسنا مواجهين للاستكبار والكفر العالميين ، إذ إنهم يريدون إبادة الإسلام والثورة الإسلامية ، وحيث شعر العدو بأنها ستكون ملجأ وملاذاً وأملاً للمحرومين والمستضعفين في العالم ، لذلك قمنا بتأليف هذا الكتاب « النظام العسكري في الإسلام » الذي يحتوي على آراء الفقهاء والمجتهدين في أنواع الحرب وكيفية قتال الأعداء ، وسجايا كل من المقاتل والقائد ، كما يشتمل على أسباب الانتصار والهزيمة وأموراً أخرى تتعلق في الجهاد والدفاع ، لتكون نبراساً للمجاهدين المناضلين الذين يفدون أنفسهم لإعلاء كلمة الحق تجاه الظالمين والمعتدين .

تطرح هنا أسئلة في الجهاد لدى كل إنسان واعٍ ملتزم ، وهي :

لماذا شرّع الجهاد والدفاع للأمة الإسلامية ، حيث يقول - عز من قائل ﴿ . . . كُتبَ عليكمُ القتالُ وهو كُرْه لكمْ. . . ﴾[١] . . . ؟ ومتى يجب استخدام الأسلحة بأنواعها تجاه الأعداء؟ .

فلسفة الجهاد:

مما لا ريب فيه ، أن الجواب عن هذين السؤالين يحتاج إلى تمهيد ، حيث إنّ الله عز وجل . خلق الموجودات كلها ومنها الإنسان ، لأغراض وأهداف معينة ، فلم تكن عملية الخلق عبثاً وهزلاً وزيفاً - قال الله العظيم في محكم كتابه :

﴿ أيحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُترك سُدىً ﴾[٢] .

وقال عزّ وجلّ في موضع آخر : ﴿ أفَحَسِبتُمْ أنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وأنّكمُ إلينا لا

(١) سورة البقرة ٢/٢١٦ .

(٢) سورة القيامة ٣٦/٧٥

ترْجَعُونَ ﴾[١].

فالهدف من عملية الخلق مجهول عند الناس ؛ فهم لا يستطيعون الجواب عنه الآن ، والمجهولات عندهم أكثر من المعلومات ، وقد اعترف بعض المثقفين بأن نسبة المعارف والمعلومات عند البشر تجاه مجهولاته كقطرة المطر تجاه اليم . وكما اعترف هؤلاء بأنّ الإنسان نفسه غير معروف ، بل هناك تساؤلات كثيرة بشأنه لا لا تزال بلا جواب .

أضف إلى ذلك أن العقل يقضي بأحقية عملية الخلق حيث أن خلقة الموجودات ترجع إلى الخالق البارىء المدبر الذي له الأمر كله ، فلا بدّ إذاً أن نأخذ الجواب عنه ـ عزّ وجلّ ـ حيث يقول : ﴿ وَمَا خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ لِيعبُدُونَ ﴾[٢].

فان ساحة العبادة والمعرفة إذاً ، هي ساحة السعادة والعظمة ، ومن ثم أرسل الأنبياء لكي يرشدوا الناس إلى طريق العبادة والكمال ، وهذا لا يحصل إلاّ بالصعود الى الكمال المطلق وهو الله عز وجل ؛ إن الآيات القرآنية تدل على أن الانبياء أُرسلوا لارشاد الناس إلى العبادة واقامة العدل والقسط ، وهذه هي الغاية من عملية الخلق . حيث قال الله العظيم :

﴿ لَقَدْ أرْسلنَا رُسُلَنا بِالبَيّنات وأنزَلنا مَعَهُمُ الكتِابَ وَالمِيزانَ لِيَقُومَ النَاسُ بِالقسطِ ؛ وأنْزَلْنا الحَديدَ فِيه بأسٌ شَديدٌ ، وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَليَعْلَمَ الله مَن يَنصُرهُ ورُسُلَه بالغيب ، إنّ الله قويّ عزيز ﴾[٣].

الجهاد أمر فطري

وبعبارة أوضح إن الشرائع الإلهية تكون بمنزلة الماء ، بل بتشبيه أدق والطف إنها تكون بمنزلة الأكسيجين حيث إن كل موجود حيّ يحتاج إليه ، كما أن

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣/١١٥ .

(٢) سورة الذاريات ٥١/٥٦ .

(٣) سورة الحديد ٥٧/٢٥ .

الإنسان لا يمكن أن تستمر حياته بدون الأكسيجين ، فهو إذاً شيء ضروري للإنسان ، فلو حال شخص أو أشخاص دون إيصال القوانين الإلّهية الحيوية إلى الناس ، وجب عليهم أن يهبُّوا لمواجهة هؤلاء الأشخاص ؛ ومحاربتهم . وهذا معنى وجوب الدفاع على الناس .

لقد ظهر مما ذكرنا أنَّ الدفاع والجهاد تجاه المستكبرين والصادّين عن سبيل الله أمر ضروريّ ، تستلزمه الحياة البشرية . قال الله عزّ وجلّ ـ في كتابه الكريم :

﴿ وَلَوْلَا دَفعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعض لَفسدَتْ الأَرْضُ وَلِكِنّ الله ذوُ فَضلٍ عَلى العالَمِين ﴾[1] .

من أجل هذه الضرورة فقد ترافق إنزال الحديد مع إنزال الكتاب والميزان وإرسال الأنبياء ، لإقامة العدل والقسط بين الناس ، ولإبادة الظلم والطغيان .

هذا جواب إجمالي عن السؤالين ، ولكن الجواب التفصيلي عنهما يوجد في الكتب التي تبحث في النبوة العامة والخاصة ، فلتراجع .

وردت أحاديث عديدة في الجهاد والدفاع ، ودوره في عظمة الشعوب وعزتهم ، وذلة من ترك الجهاد خوفاً أو انحيازاً إلى جهة خاصة .

قال أمير المؤمنين ـ (ع) :

أمّا بَعدُ : « فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنَةَ فَتَحهُ الله لِخَاصَّةِ أوليائه ، وهو لِباسُ التقوىٰ ، وَدرْعُ الله الحصينَةُ وَجَنَّتهُ الوَثيقَةُ ، فَمَنْ تركهُ رَغبةً عنْهُ أَلْبَسَهُ الله ثَوْبَ الذُلِ ، وَشَمْلَةَ البَلاءِ »[2] .

نعم ، إنه (ع) يستنهض الناس إلى الجهاد ، ويهتم به اهتماماً كبيراً ، ويحذرهم من تركه ؛ كما جاء في الحديث التالي عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن محبوب قال : قال أمير المؤمنين ـ (ع) ـ في خطبة يوم الجمل . . .

---

(١) سورة البقرة ٢ / ٢٥١ .

(٢) نهج البلاغة لصبحي الصالح : الخطبة ٢٨ .

« أيُّها الناسُ إنَّ الموْتَ لا يفُوتُهُ المقيمُ ، وَلا يُعجِزُهُ الهارِبُ ، لَيْسَ عَنِ المْوتِ محيص ، ومَن لَمْ يَمُتْ يُقْتَلْ ، فَإِنَّ أفْضَل المَوْتِ القتْلُ ، والذّي نفْسي بيـدِهِ لألْفُ ضَربَةٍ بالسيفِ أهْونُ عليَّ من مِيتَةٍ عَلىْ الفِراشِ »[1].

من هذا الموجز اتضحت حكمة وجوب الجهاد تجاه الطواغيت والصـادين عن وصـول أحكـام الله ـ عـزّ وجـل ـ إلى النـاس ؛ ولا يخفى أن وجـوب الجهـاد ليس محصوراً في ما ذكرناه وله مواضع أخرى سيتم ايضاحها في الفصول الآتية.

(١) وسائل الشيعة ج ١١/٨ ـ الحديث ١٢

البحث الثاني

تعريف الجهاد وأقسامه

بعد أن تعرفنا على حكمة تشريع الجهاد ، نقول :

إن الجهاد واجب على الأمة الإسلامية لدفع كل ما يحول دون وصول القوانين الإلهيّة إلى جميع الناس ، والدفاع عن المستضعفين والمحرومين من حقوقهم ، ولإعلاء كلمة الله على الكفر والزندقة العالميّة ؛ فالجدير أن نبحث في الجهاد من حيث اللّغة ، ثم نستعرض آراء الفقهاء في وجوبه ، وأقسامه بالتفصيل .

أمّا من حيث اللغة : فكلمة جَهَدَ ـ هي ـ الجيم والهاءِ والدال ـ أصلها المشقّة ، ثم يُحمل عليها ما يقاربها ، فيقال : جهدت نفسي ، وأجهدت ، الجهد : الطّاقة . قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهُمْ ﴾[1] ، ويقال : المجهود : اللبن الذي أخرج زبده ، ولا يكون ذلك إلاّ بمشقة ؛ وممّا يقارب باب الجهاد وهي الأرض الصُلّبة ، ويشمل هذا المعنىٰ سائر مشتقّاتها نحو : اجتهاد ومجتهد و[2] . . .

أمّا معناها شرعاً : فبذل النفس وما يتوقّف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص ، وربما يقصد بها : التقرّب إلى الله تعالى ، كما

---

(١) سورة التوبة ٩/٧٩ .

(٢) مقاييس اللغة ج ١/٤٨٦ .

سيأتي . في هذا البحث . . . أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان[١] .

كما جاء في مجمع البحرين : الجهاد ـ بكسر الجيم : مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة ، وبفتح الجيم : الأرض الصلبة ، وشرعاً: بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان[٢] .

فالمعنى الشرعي مبني على الآيات القرآنية والأحاديث المعتبرة عند الفريقين .

وإن الفقهاء « رضوان الله عليهم » التفتوا في تعريفهم إلى نقطتين.

١ ـ **إعلاء كلمة الحقّ** : وهو وصول الأحكام الإلٓهية إلى جميع الناس في الكرة الأرضية ، حتى لا يبقى لأحد حجّة على ترك التكليف ، وهي كالشمس يعمّ نورها الجميع . فعلى هذا يجب أن تكون الحركات الجهادية قويّة وواسعة بحيث تشمل الشعوب والملل وتبدو في المجامع الإنسانية كالجامعات والمراكز الثقافية والمعامل والأسواق و . . .

٢ ـ **الجهاد في سبيل الله** : لا بّد أن تكون عملية الجهاد خالصةً لله عزّ وجلّ وحده ، ولا يشرك المجاهد مع الله شيئاً ، فلو كان الجهاد لأهداف أخرى مثل تحصيل الغنيمة واكتساب الشهرة فلا يسمّى جهاداً والعامل به مجاهداً . كما يستنبط هذا المعنى من الرواية التالية :

عن سليمان حرب ، حدثنا شعبة ، عن عمر ، عن أبي وائل ، عن أبي موسى . . . قال :

جاء رجلٌ إلى النبي ـ (ص) ـ فقال : الرّجُلُ يُقاتِلُ لِلمَغْنَمِ ، والرّجُلُ يُقاتِلُ لِلذِكْرِ ، والرّجُلُ يُقاتِلُ ليُرىٰ مَكانُهُ ؛ فَمَنْ في سبيل الله؟.

قال النبي(ص) : « مَنْ قاتَلَ لِتكوُنَ كَلِمَةُ الله هي العُلْيا فَهُوَ في سَبيلِ الله »[٣] .

---

(١) جواهر الكلام ج ٣/٢١ .

(٢) مجمع البحرين ج ٢١/٣ .

(٣) صحيح البخاري ج ٢٠٦/٢ ـ التاج الجامع الأصول ج ٣٣٩/٤ .

أقسام الجهاد

إن فريضة الجهاد كما ذكرت في الكتب الفقهية تنقسم إلى قسمين :

١ ـ الجهاد الابتدائي « التحريري » .

٢ ـ الجهاد الدفاعي .

أمّا الأول : فهو جهاد ضّد المشركين والكفار ، فعلى المسلمين أن يدعوهم إلى قبول شريعة الإسلام ، فإن لبوّا وأجابوا فقد حصل المطلوب : أيْ دخولهم حظيرة الإسلام » ، وإلا فالحرب ، حتى يذعنوا لأمر الله وأحكامه .

ويشترط في هذه الحالة إذن الإمام المعصوم ـ (ع) أو نائبه الخاص ، ولها شرائط أخرى يمكن الرجوع إلى الكتب الفقهية بشأنها .

وأما الثاني ، فهو : الدفاع عن بيضة الإسلام : فلو هاجم العدو بلاد المسلمين أو ثغورها ، وخيف منه على بيضة الإسلام ومجتمع المسلمين ، فيجب الدفاع عنهما بأية وسيلة ممكنة من بذل الأموال والأنفس ، ولا يشترط في هذا القسم حضور الإمام المعصوم وإذنه ، ولا إذن نائبه ، بل يشمل هذا الحكم الرجال والنساء والأطفال والشيوخ ؛ كما يجب التعاون مع جميع المسلمين لتحرير القدس العزيز من الصهاينة الغاشمين بأي نحو ممكن ـ إنَّ هؤلاء المغتصبين دخلوا واحتلوا الأرض المقدسة الإسلامية ، التي كان المسلمون يتوجّهون إليها في صلاتهم ، فهي أولى القبلتين ، ومعراج نبينا محمد ـ (ص) ـ إلى السماوات العُلىٰ ، فينبغي للمسلمين أن يعدّوا أنفسهم لمواجهة « إسرائيل » خاصة ، لكي يدافعوا عن الإسلام .

والجدير بالذكر البرقية الجوابيّة التي تسلّمها من الإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، رحمة الله عليه متوجهاً إلى « كارلند ايفاتذ هوبكنز » حول الاعتداءات الصهيونية ووجوب الدفاع لردعهم .

تفضّل سماحته قائلاً : « كان الشرق بأجمعه يعاني كابوسين من الاستعمار الإنجليزي والفرنسي » . وجاءت الصهيونية اللئيمة لتهاجهم قرى العرب العزلاء ، وتقتل رجالها ونساءها الأبرياء ، ألستم أنتم الذين لا تزالون تمدّونهم بالمال والسلاح ؟ وتدفعونهم إلى هذه الجرائم دفعاً؟ وإلّا فاليهود أقصر باعا وأضعف قلباً من

أن يجرؤوا على العرب بهذه الجريمة ؛ ألستم أنتم من أخرجتم تسعمائة ألف نسمة من العرب ، من أوطانهم وبلادهم ، وشرّدتموهم بالصحارى والقفار يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء ! بعد أن كانوا في أوطانهم أعزّاء شرفاء ؟ » .

وقال في موضع آخر : « إن اختلاف كلمة المسلمين في القرن السادس والسابع للهجرة أدّى إلى حدوث الحروب الصليبية ، وغلبة المغول والتتر على الممالك الإسلامية . واختلاف كلمة الدول العربيّة بعد الحرب العالمية الثانية هو الذي أدّى إلى الكارثة ، وفاجعة فلسطين وإنشاء دولة « اسرائيل » . يعرف العَرَب جيداً أنّ لإسرائيل أهدافاً عدوانية ، ويعرفون أيضاً أن إسرائيل كالنار الملتهبة تستمر في إحراق ما يجاوُرها أو تخمد ويقضي عليها ؛ وهي كالوباء المكروبي الذي يظل منتشراً أو يقضى عليه . .

إنّ أصل بلائنا بإسرائيل كما ذكرنا من إنكلترا التي كونتها ، وأمريكا التي شجعتها وعاونتها ، فخلاصنا من إسرائيل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بخلاصنا من الاستعمار .

بالله عليكم أيها العرب ، ارحموا أنفسكم من العذاب الذي تعانونه الآن ، ومن البلاء الذي يدّبره لكم الأعداء ، ووحدّوا صفوفكم وتضامنوا وتعاونوا ولا تتهاونوا فتنجحوا وتفلحوا[1] .

وقال سماحة قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني ، (قدس سره) ـ حول الصهيونية :

« ألا يا مسلمي العالم ومستضعفي الأرض؛ انهضوا وخذوا زمام مقدّراتكم بأيديكم؛ إلى متى تقعدون بينما تتحكم واشنطن وموسكو بمقدراتكم؟! إلى متى تبقى القدس وفلسطين ولبنان والمسلمون المظلومون فيها تحت سلطة المجرمين ، وأنتم تنظرون إليها كالمتفرّج؟! ألا يعلم زعماء القوم أنّ المحادثات السياسية مع السياسيين

(*) المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون/مقتطفات من برقية/١٦ .

(*) المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون/ ٦٩ .

الأقوياء وجناة التاريخ لن تنقذ القدس وفلسطين ولبنان ، بل الجرائم والمظالم تزداد يوماً فيوماً.

ولإنقاذ القدس يجب الاستفادة من الأسلحة المعتمدة على الإيمان وقدرة الإسلام ، وترك المناورات السياسية التي تفوح منها رائحة المهادنة وإرضاء القوى العظمى.

وعلى الشعوب الإسلامية ، عامة والشعبين اللبناني والفلسطيني بشكل خاص أن يقفوا بالمرصاد لأولئك الذين يقضون الوقت بالمناورات السياسية ، وأن لا يستسلموا لهذه الألاعيب الدبلوماسية التي لا يجني الشعب المظلوم منها إلّا الضرر والخسران »[1] .

فعلى هذا يجب الجهاد الدفاعي على المسلمين درءاً للخطر السياسي والاقتصادي والثقافي حتى وان لم يباشر هجومه.

نعم . لوجوب الدفاع وجوه أخرى كضرورة الدفاع ضد السارق او الجاني المعتدي[2] .

وبعبارة أخرى يمكن أن ندرج الأقسام التي ذكرناها كالآتي :

فريضة الجهاد تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ جهاد التحرير : وهو الجهاد الابتدائي نفسه ، وهو جهاد لرفع الموانع من طريق دعوة الأنبياء ـ (ع) ـ ومن يقوم مقامهم من الأوصياء.

٢ ـ الجهاد الدفاعي ، وهو الدفاع تجاه العدوان ، كما لو هجم شخص أو أشخاص على آخرين ، وكما لو تعرضت فئة لعدوان ، أو فرضت حرب على شعب ، فالواجب الدفاع حسب الشرائع الإلهيّة ، على أيّ نحو كان .

٣ ـ الجهاد من أجل تهديم الشرك والوثنية ، لأنهما ليسا ديناً ولا شريعة ، بل

---

(١) رسالة صادرة عن الإمام الخميني ـ قدّس سره ـ بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٩ رمضان ١٤٠٩ هـ من مختارات أقوال الإمام الخميني ح ٤ / ٦١ .

(٢) تحرير الوسيلة ج ١ / بحث الدفاع

هما نوع من الجهل والخرافة ، فعلى المسلمين أن يجتثوا جذور هذه الخرافة بكل طاقاتهم ، ويحاربوا أولياء الكفر والشرك الذين يُضلّون الناس .

قال الله العظيم : ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكفرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾(١) .

(١) سورة التوبة ١٢/٩ .

البحث الثالث

فضيلة الجهاد وأهميته

الجهاد أمر فطريّ ، يشمل ويحيط حياة الموجودات كلّها من النبات والحيوان ، فنحن نشاهد أنّ الشجرة تمدّ جذورها في أعماق الأرض أو في قلب الصخور الصلبة لكي تمتصّ المواد الغذائية ، كما تسعى بعض النباتات في الغابات أن تمدّ رؤوسها من بين الأشجار لكي تستفيد من ضوء الشمس ؛ وهكذا الطيور تطير بأجنحتها مسافات طويلة لأجل التغذية ، بل يهاجر بعضها لأجل استمرار الحياة من قطب الشمال إلى الجنوب ، أو من الجنوب إلى الشمال فيقطع في سنة واحدة/ ١٨٠٠٠ كيلو متراً، ولا شك انها تدافع عن نفسها في الطريق عندما تواجه الموانع أو الأخطار ، فهذه حركة فطرية مستمرة عند الأحياء .

والإنسان ليس مستثنىً ولا منفصلاً عن هذه الحركة ، بل حياته هي الجهاد عينه ، ولو لم يدافع المجاهدون في ادوار الحياة عن قيم الإنسانية ، لم تبق المصالح الإنسانية كما هي ، لأن من دأب المعتدين والظالمين أن يغيّروا القيم حسب أهوائهم . قال الله العظيم :

﴿ وَلولاَ دَفْعُ الله النـاسَ بَعْضَهُم ببعض لَفَسَدتِ الأرْضُ وَلَكن الله ذو فَضْلٍ على العالَمِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ٢/٢٥١ .

وقال عزّ وجلّ في موضع آخر :

﴿ وَلَوِ اتّبعَ الحَقُّ أهْوٰاءَهُمْ لَفَسدَتِ السَمٰواتُ وَالْأرْضُ ومَنْ فيهِنّ بَلْ أتَينـاٰهُمْ بِذْكرِهم فهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾(١) .

تشير هاتان الآيتان إلى أهمية الجهاد والدفاع ، حيث انهما سبب لإنهيار المفسدين ومنع المفاسد المستشراة وأنهما يوجبان بقاء المصالح واستمرارها في المجتمع الإنساني .

إضافة إلى ما قدّمناه .

ذُكِرَ فضل الجهاد في القرآن الكريم والأحاديث المعتبرة في الكتب المشهورة ، فكان الجهاد رابع أركان الإيمان ، وأنّه باب من أبواب الجنّة وأفضل الأشياء بعد الفرائض والصلوات الخمس وأن الجهاد سياحة أمّة محمد ـ (ص) ـ التي جعل الله عزّها بسنابك خيلها وأسنّة رماحها ، وهو فوز عظيم .

وهنا نذكر جملة من الآيات القرآنية والأحاديث في فضل الدفاع والجهاد .

أمّا الآيات فمنها : ﴿ قُـل إنْ كـان أبـاؤكُمْ وأبنـاؤُكُمْ وإخوانُكم وأزْوَاجُكم وَعَشيرَتُكم وأموالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تخشونَ كسادَها وَمَساكِنُ تَرضَوْنَها أحبَّ إليْكم مِنَ الله وَرَسُولِه وَجِهادٍ في سَبيلِه ، فَتَرَبّصُوا حتى يأتي الله بـأمرِهِ ، والله لا يهدي القَومَ الفاسِقين ﴾(٢) .

كأنّ الله عز وجل جعل ـ في هذه الآية الكريمة ـ كل ما يتعلق الإنسان به في إحدىٰ كفتي الميزان وجعل حبه وحبّ رسوله والرغبة في الجهاد في سبيل الله في كفة أخرى ـ فقال ـ عز وجل ـ لو كان الإنسان أشدَ حباً لما يتعلق به ، تصدَقَ عليه أنّه من الفاسقين ، وأنّ نعمة الهداية لم تشمله لأنه لا يكون قابلًا لها ولائقاً بها .

ومنها : ﴿إنّ الله اشْترى مِنَ المُؤمنينَ أنفُسَهُمْ وَأمْوالَهُمْ بِأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلوُنَ في سَبيلِ الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلونَ وَعْداً علَيْهِ حقاً في التَوْراةِ وَالْإنْجيلِ وَالْقُرآنِ ومَنْ أوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكمُ الّذي بٰايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ الْعَظِيم ﴾(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣/٧١ .

(١) سورة التوبة ٩/٢٤ .

(٢) سورة التوبة ٩/١١١ .

يطلق في هذه الآية على عملية الجهاد وصف « الفوز العظيم » ، وهو عبارة عن فلاح كبير لا يقارنه شيء ، لأنّ جزاءه معلوم ومذكور في الكتب السماوية ـ القرآن الكريم والتوارة والإنجيل .

ومنها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

عَبَّرَتْ هذه الآية عن الإيمان بالله والجهاد في سبيله بالتجارة ، وهي سببٌ للمغفرة ودخول الجنة ، أي قصد بها التجارة الرابحة التي لا شك في الفائدة المترتّبة عليها .

ومنها : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ .(٢) .

بيّن الله عز وجلّ في هذه الآية حبّه للمجاهدين وأثنى عليهم بما يفعلون ، وهذا مما يظهر عظمة الجهاد وفضله ، وتراص صفوف المجاهدين ، وائتلاف قلوبهم ، وهو أصرح العبارة في مدح المجاهدين الصامدين في سبيله .

ومنها :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣).

تبدو عظمة الجهاد من هذه الآية بشكل آخر لم نلحظه في ما مضى في الآيات السابقة ، وهو توجيه التقريع والتأنيب والتهديد والعار لتاركي الجهاد ، تكشف عن عظمة الجهاد ، ذلك أنّ تركه من الذنوب الكبيرة ، ولا يجوز تركه لمن توفّرت فيه شرائطه .

---

(١) سورة الصف ٦١/١٠-١٢ .

(٢) سورة الصف ٦١/٤ .

(٣) سورة التوبة ٩/١١٨ .

هذه جملة من الآيات الدالة على فضيلة الجهاد وأهميته.

وهناك أحاديث كثيرة تدل على فضيلة الجهاد وعظمته. منها ما يَعتمد عليها الشيعة والسنة نذكر هنا جملة منها:

١ ـ محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال: قال رَسُولُ الله ـ (ص) ـ:

«الخَيْرُ كُلُّهُ فِي السَيْفِ، وَتَحْتَ ظِلِّ السَيْفِ، وَلا يُقيمُ النَاسَ إلّا السيفُ، وَالسُيُوفُ مَقَالِيدُ الجَنَّةِ وَالنّارِ»(١).

السيف في هذه الرواية رمز الجهاد الذي جمع فيه كلّ الحسنات والسيف إذا استخدمه المجاهد في سبيل إعلاء كلمة الحق فهو مفتاح الجنة، وإذا استخدم لإبقاء الكفر والشرك وحماية الطاغوت فهو مفتاح النار والعذاب في الآخرة، وصاحبه في النار.

٢ ـ من وصية مولانا علي بن أبي طالب للحسن والحسين ـ (ع) ـ في آخر لحظات عمره الشريف عندما جرح رأسه، وكان طريح الفراش، قال (ع):

« اللّهَ الله في الْجِهَادِ بِأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُم وألْسِنَتِكُمْ في سَبِيلِ الله، وَعَلَيكُمْ بِالتَواصلِ وَالتباذُلِ(٢) ».

النقطة الملفت للنظر أنّه ـ (ع) ـ ألقى هذا الكلام حين الوصية التي تُخصّص لذكر مسائل هامة لأبنائه وللمسلمين تتناول السياسة والاقتصاد والعبادة وغيرها.

وبعبارة أدق: الوصية هي، بيان زبدة الأفكار التي حصلت في حياة الإنسان يقدمها، في أواخر لحظات عمره للجيل القادم، لكي يتابعها وتوصله إلى الأهداف العالية.

٣ ـ حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهيبُ، حدثنا حميد عن أنس بن مالك، عن النبي ـ (ص) ـ قال:

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١/ ٥/ رقم الحديث .

(٢) نهج البلاغة الرسائل رقم ٤٧ .

« لَغَدوَةٌ في سَبِيلِ الله اوْ رَوْحَةٌ خِيرٌ مِن الدُنْيا وَما فِيها[١] » .

٤ ـ علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال : قال النبي ـ (ص) ـ .
« مَنِ اغتابَ مُؤْمِناً غازِياً أَوْ آذاهُ أو خَلَفَهُ في أَهْلِهِ بِسُوءٍ نَصَبَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُستَغْرَقُ حَسَناتُهُ ثُمَّ يُركَسُ في النارِ إذا كانَ الغازي في طاعَةِ الله عزّ وجلّ »[٢] .

٥ ـ عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال : قال رسول الله ـ (ص) ـ : « لِلْجَنَّةِ بابٌ يُقالُ لَهُ بابُ المُجاهِدينَ ، يَمْضُونَ إلَيْهِ ، فَإذا هُوَ مَفْتُوحٌ وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ بِسُيُوفِهِمْ ، وَالْجَمِيعُ في المَوقِفِ وَالْمَلائِكَةُ تُرَحِّبُ بِهِم[٣] .

---

(١) صحيح البخاري ج٢/١٣٦ .
(٢) الفروع من الكافي ج ٥/٨ ـ أيضاً في الصحاح : أركسهم الله بما كسبوا ـ أي ـ ردهم إلى كفرهم .
(٣) وسائل الشيعة ج ١١/٥/ رقم الحديث ٢ .

البحث الرابع

أهداف الجهاد

استهدفت الشريعة الإسلامية توعية الإنسان ، وإرشاده إلى الكمال ، وصعوده إلى قمة السعادة والكرامة ، ساعية لإنقاذه من الشرك والدنس . شاملة بذلك جميع بني الإنسان ، لكي تربّيهم وتزكّيهم وتعلّمهم في مدرستها . ومن الطبيعي أن تقف القوى الاستكبارية بجميع طاقاتها في وجه نشر الحقائق الإلّهية لتمنعها من الوصول إلى الناس ، فالاستكبار يستضعفهم عند جهلهم بالحقائق ، ويستهدفهم لتحقيق اغراضه الشيطانية حينذاك . فالغاية والهدف من الجهاد يرجعان إلى الغاية في تأسيس الشريعة ، وهي هداية الناس وإرشادهم إلى الحق ؛ فصراع الحق ضد الباطل لم يكن إلا لرفع ما يحول دون إرشاد الناس . ويتضح ذلك من الآيات والأحاديث التالية :

أ ـ ﴿ الذّينَ آمَنُوا يُقاتِلوُنَ فِي سَبِيلِ الله ، والذينَ كَفَروُا يُقاتلُونَ فِي سَبيلِ الطاغُوتِ ؛ فَقاتلوُا أوْلِياءَ الشَيْطِانِ ، إنّ كَيْدَ الشَيْطانِ كانَ ضَعِيفاً ﴾[1] .

ب ـ ﴿ إنَّ الذّينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ الله قَدْ ضَلُّوا ضلالاً بَعِيداً ﴾[2] .

ج ـ ﴿ وَقَدْ أَضَلوُا كَثِيراً ، وَلا تَزِدِ الظالِمينَ إلاّ ضَلالاً ﴾[3].

---

(١) سورة النساء ٤ / ٧٦ .

(٢) سورة النساء ٤ / ١٦٧ .

(٣) سورة نوح ٧١ / ٢٤ .

د ـ قال رسول الله ـ (ص) ـ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا فَهُوَ في سَبيلِ الله [١] » .

هـ ـ هنا رواية طويلة ولكن نذكر منها موضع الشاهد : عن محمد بن يعقوب عن المنقري عن حفص بن غياث ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ . قال : سأل رجل ابي ـ (صلوات الله عليه) ـ عن حروب أمير المؤمنين ـ (ع) ـ وكان السائل من محبِّينا ـ فقال له ابو جعفر ـ (ع) ـ : « . . . فَسَيْفٌ عَلى مُشْرِكِي العَرَبِ ، قال الله ـ عَزَّ وَجلّ ـ : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخذوهُم وَاحْصُرُوهُمْ واقعدوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ [٢] ﴾ . ﴿ فَإنْ تَابُوْا . [يعْني آمَنُوا] وَأَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُ الزَكَاةَ فَإخوانُكُمْ في الدين ﴾ [٣] . فَهَولاء لا يقْبلُ مِنْهُمْ إلَّا القتلُ أوْ الدُخُولُ في الإسْلام [٤] . . .

نعم إن ، التعبير بكلمة « في سبيل الله » في أكثر الآيات القرآنية والأحاديث المتعلقة بالجهاد يكشف عن أهداف المجاهدين ، لأن المراد بها : « بذل الجهد على وجه الإخلاص في سبيل إعلاء كلمة الحق ، أو المحاولة لتحرير الإنسان عن الشرك والقيود الاجتماعية الفاسدة بحيث لا يكون الجهاد غايته الغنيمة ، أو نهب الثروات الطبيعية في أراضي الآخرين ، أو سرقة أموالهم ؛ وفي الواقع فإن الآيات تبين المصاديق لا غير كنشر العلم والحكمة ؛ أو تدمير قيم المادية والالحاد ، او الدفاع عن الأراضي الإسلامية.

أهداف الجهاد الابتدائي « التحريري »

المجاهدون في سبيل الله يستهدفون من الجهاد التحريري نشر الحقائق ، وتهديم الشرك والظلم ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وردعهم عن عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الرحمان ، واستنقاذ المستضعفين والمحرومين من البغي

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠٦ ـ التاج لجامع الأصول ج ٤ ، ص ٣٣٩ .
(٢) سورة التوبة ٥/٩ .
(٣) سورة التوبة ١١/٩ .
(٤) الفروع من الكافي ج ١٠/٥ ص ١٠ ـ رقم الحديث ٢ .

والتّعدي . فَعلىٰ هذا يمكن أن نبيّن أهداف الجهاد الابتدائي في العناوين التالية :

١ ـ استقرار الحكومة الإلٰهية : وهي التي كانت أملًا لجميع الأنبياء والمرسلين ـ (ع) والتي تدل عليه الآيات والاحاديث التالية .

أ ـ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الكِتابَ وَالمِيزانَ لِيَقُومَ النـاسُ بِالقِسْطِ . . . ﴾[١] .

ب ـ ﴿ يٰا دٰاوُد إِنَّا جَعَلْنٰاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ . . . ﴾[٢] .

ج ـ محمد بن يحيى . . . عن أبي عبد الله ـ (ع) ـ قال : « إِنَّ الله عزّ وجَلّ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالإِسْلاٰمِ إِلَى النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا حَتّى أَمرهُ بِالقِتالِ ، فَالْخَيْرُ في السَّيفِ وَتَحْتَ السَّيْفِ ، وَالْأَمْرُ يَعُودُ كَمٰا بَدَأَ »[٣] .

د ـ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحٰاكَمُوا إِلى الطّٰاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أن يَكْفِرُوا بِهِ . . . ﴾[٤] .

هـ ـ ﴿ هُوَ الذّي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَدِينَ الْحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمشرِكُونَ ﴾[٥] .

و ـ ﴿ وَقٰاتِلِوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيكُونَ الدِّينُ لله فإِنْ انْتهوا فَلاٰ عُدْوانَ إلاّ عَلَى الظالِمينَ ﴾[٦] .

ز ـ ﴿ . . . إنّ الحُكْمُ إلاّ لله ، أَمَرَ ألاّ تعبدوا إلاّ إِيّاهُ ، ذٰلِكَ الـدِّيْنُ القَيِّمُ ،

(١) سورة الحديد ٥٧/٢٦ .
(٢) سورة ص ٣٨/٢٦ .
(٣) فروع الكافي ج ٥ ص ٧ رقم الحديث« ٧ » .
(٤) سورة النساء ٤/٦٠ .
(٥) سورة التوبة ٩/٣٣ .
(٦) سورة البقرة ٢/١٩٣ .

وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

هذه جملة من النصوص الدالة على أن الغرض من إرسال الانبياء وتشريع الجهاد لم يكن إلا لإقامة القسط ، وهو الحكومة أو من شؤون الحكومة ، لأن القضاءِ لا يتحقق إلاّ مع القدرة والقوة لكي ينفّذ القاضي حكمه الشرعي على المحكوم .

٢ ـ إبادة الشرك والوثنية ومحو الفساد ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهي أهَمُ الفرائض في تشْريع الجهاد الابتدائي تدل عليها النصُوص التالية :

أ ـ ﴿ . . . إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأَرْضِ وَفِسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[٢] .

ب ـ ﴿ . . . وقَاتلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾[٣] .

ج ـ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب عَنْ بعض أصحابه قال : كتب ابو جعفر ـ (ع) ـ في رسالةٍ إلى بعض خلفاء بني أمية : « ومِنْ ذلِك مَا ضَيَّعَ الجِهَادَ الذَي فَضلهُ الله ـ عز وجل ـ عَلَى الأعمالِ ، وَفَضَّلَ عَامِلَهُ عَلىٰ العُمَّالِ تَفْضِيلاً فِي الدرجات وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمةِ ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ بِهِ الدِّينَ ، وبِهِ يُدْفَعُ عَنِ الدِّينِ . . . وأوّل ذلك الدُّعَاءُ إلىٰ طَاعَةِ الله ـ عزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ طَاعَةِ العِبَادِ ، وإلى عِبَادة الله مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ وَإِلىٰ وِلاَيَةِ الله مِنْ وِلاَيَةِ العِبَادِ . . . »[٤] .

٣ ـ انقاذ المحرومين والمستضعفين ، وقد يجب الجهاد على المسلمين من جهة أخرى كما لو استغاث عدة من المستضعفين أو المظلومين المغلوبين على أمرهم وظلموا ، للإقرار بكلمة : « لا إلّـه إلا الله » فعلى المسلمين اعانتهم قال الله العظيم :

﴿ ومَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِجَالِ وَالنِسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ القَرْيَة الظَالِمِ أَهْلُهَا ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ

(١) سورة يوسف ١٢/٤٠ .

(٢) سورة الأنفال ٨/٧٣ .

(٣) سورة التوبة ٩/٣٦ .

(٤) الفروع الكافي ج ٥ ص ٣ رقم الحديث ٥ .

لَدُنْكَ وَلِيّاً ، وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْك نَصِيرا ﴾(١) .

ومن أجل ذلك أكد رسول الله ـ (ص) ـ على الاهتمام والإجابة عند استغاثة أحد المسلمين ، كما ورد في الحديث التالي :

عن محمد بن يحي ، عن سلمة بن الخطاب ، عن سليمان بن سماعة ، عن عمر بن عاصم الكوفي ، عن أبي عبد الله ـ (ع) ـ . إنَّ النَّبِيَ ـ (ص) ـ قال : « مَنْ أَصْبَحَ لا يَهْتَمُّ بِأُمُور المُسْلِمينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ سَمِعَ رَجُلاً يُنَادِي يَا لَلْمُسلِمينَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ »(٢) .

ولا ريب أنّ الاهتمام والإجابة عند ما يستغيث المسلم المضطر المستضعف من أهم الأمور ، ومن مبادىء الأخلاق الإسلامية حيث وقد أكّد ذلك المعصومون ـ (ع) ـ فعلى المسلمين والحكومة الإسلامية إجابة استغاثته .

نعم أمر الجهاد الابتدائي او التحريري يرجع إلى إذن النبي ـ (ص) ـ أو الإمام المعصوم ، أو نائبه الخاص . كما أفتى به كثير من الفقهاء . وكما قال سماحة الإمام الخميني ـ قدس الله سره ـ في إثبات ولاية الفقيه والشؤون الخاصة بذلك .

فقد تفضل الإمام القائد في سلسلة دروسه في الفقه بقوله : « فيحصّل من جميع ما ذكرناه : أنّ الفقيه يكون في عصر الغيبة وليّاً للأمر « الحكومة الإسلامية » ولجميع ما كان الإمام المعصوم ـ (ع) ـ وليّاً له كالخمس والأنفال والفيء ، إلاّ إذا قام الدليل على أنّ الشيء الفلاني ، وإن كان من شؤون الحكومة والسلطنة ولكن يختص بالإمام ـ (ع) ـ لا يتعدى منه ، كما اشتهر ذلك في الجهاد غير الدفاع ، وإن كان فيه بحث وتأمل(٣)(٤) .

---

(١) سورة النساء ٤ / ٧٥ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ /باب ١٨ ص ٥٥٩ رقم الحديث ٣ .

(٣) كتاب البيع ج ٢ ص ٤٩٦ اختصرنا العبارة .

(٤) وربما يقصد بالتأمل ما ذكره آية الله الشيخ المنتظري في كتاب دراسات في ولاية الفقيه . حيث قال سماحته بعد الفحص في الأخبار مخالفاً للمشهور

« الشرط في الجهاد الإبتدائي على ما يوجد في الأخبار والكلمات هو عنوان الإمام العادل في قبال الإمام الجائر ؛ لا الإمام المعصوم في قبال غير المعصوم ؛ فعلى هذا : الجهاد الابتدائي لم يكن مشترطاً بإذن الإمام المعصوم كما هو مشهور ـ بيد . . . أن لفظ الإمام في اللغة وكلمات الأئمة (ع) لم ينحصر إطلاقه على الأئمة الإثني عشر ـ وإن كان مصداق الإمام العادل في عصر ظهور الأئمة (ع) عندنا هو الإمام المعصوم أو المنصوب من قبله » . دراسات في ولاية الفقيه ج ١ /١١٨ .

البحث الخامس

أهداف الجهاد الدفاعي

ذكرنا في المباحث السابقة أنّ الجهاد ينقسم إلى قسمين : الجهاد الابتدائي « التحريري » والجهاد الدفاعي .

وقلنا في الأوّل : ينبغي على المسلمين أن يدعو الكفار والمشركين إلى الإسلام ويبلّغوهم الأحكام الإلّهية ، وأن يطلبوا منهم أن يتقّبلوا الشريعة الإسلامية ، فإن قبلوا فطوبى لهم ، بسعادة الدارين ، وهذا ما يحتم على الحكومة الإسلامية أن تحترم أعراضهم وأموالهم ودماءهم ، وهؤلاء حينما قبلوا الإسلام يعيشون كمسلمين فلهم حقوق تختص بهم ، يتمتعون بكامل حقوقهم بعدما أدوا ما عليهم من واجبات .

وأما القسم الثاني ؛ فهو : دفع الظلم والعدوان من قبل الأعداء حينما يهاجمون المسلمين في عقر ديارهم أو غيرها . لأن الدفاع يمنع التعدي ويصّد العدوان عن الأرض الإسلامية ، وكما يقي من الفشل الذي يمكن أن يؤثر على معنويات القوات الإسلامية بواسطة الدعايات المسمومة . بيد أن العدو لن يقف مكتوف الأيدي ، بل يحاول يائساً ومستميتاً أن يدمر الحكم الإسلامي ، ليبسط ظله على المسلمين كافة . وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة حيث يقول :

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم ، إن استطاعوا . . . ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة ٢/٢١٧ .

مضافاً إلى ذلك أنّ الدفاع حق شرعي لكل مظلوم ومعتدى عليه ؛ وقد أمر الله ـ عز وجل ـ المسلمين بالدفاع عن أنفسهم ضد المعتدين حيث قال ـ عزّ من قائل :

﴿ أُذن للذين يُقاتَلون بأنّهم ظُلموا ، وإن الله على نصرهم لقديرٌ * الذّين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربُنا الله ، ولولا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها ، اسم الله كثيراً ، ولَيَنْصُرَنَّ الله من ينصرهُ ، إنّ الله لقويٌّ عزيز ﴾(١) .

يؤيد ما قدمناه الحديث التالي لأنه يدّل على مشروعية الدفاع حتى لو لم يكن الحكم الإسلامي قائماً ومستقراً .

علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الحسن الرضا ـ (ع) ـ قال :

قلت له : جُعلتُ فداك ـ إنَّ رجلاً من مواليك بلغه أنَّ رجلاً يعطي السيف والفرسَ في سبيل الله ، فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل ، ثم لقيه أصحابه ، فأخبروه أنّ السبيل مع هؤلاء لا يجوز ، وأمروه بردّها!

فقال : فليفعل .

قال : قد طلب الرجل فلم يجده ، وقيل له : قد شخص الرجل .

قال ـ (ع) ـ فليرابط ولا يقاتل .

قال : ففي مثل قزوين والدّيلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور؟

فقال ـ(ع) ـ نعم .

فقال له : يجاهد ؟.

قال ـ (ع) : لا ، إلاّ أن يخاف على ذراري المسلمين .

فقال :

أرأيتك لو أنّ الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغِ لهم أن يمنعوهم؟!

---

(١) سورة الحج ٢٢/٣٩ ـ ٤٠ .

قال : ـ (ع) ـ يرابط ولا يقاتل ، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل ، فيكون قتاله لنفسه وليس للسلّطان .

قال : قلت : فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط ، كيف يصنع ؟

قال ـ (ع) ـ : يقاتل عن بيضة الإسلام لا عن هؤلاء ، لأنّ في دروس الإسلام دروس دين محمد ـ (ص) ـ[1] .

فعلى هذا الأساس أفتى فقهاؤنا ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ من القدماء والمتأخرين بوجوب الدفاع في زمن الغيبة ، واتفقوا على عدم اشتراطه بإذن النبي وحضوره ـ (ص) ـ ، أو الإمام المعصوم أو نائبه.

نذكر هنا جملة من الفتاوىٰ .

أ ـ أفتى الإمام الخميني ـ قدّس سرّه ـ في الجهاد الدفاعي وقال :

١ ـ لو غشي بلاد المسلمين أو ثغورها عدو يُخشى منه على بيضة الإسلام ومجتمعهم ، يجب عليهم الدفاع عنها بأية وسيلة ممكنة من بذل الأموال والنفوس .

٢ ـ لا يشترط ذلك بحضور الإمام ـ (ع) ـ وإذنه ولا إذن نائبه الخاص والعامّ ؛ فيجب الدفاع على كل مكلّف بأيّة وسيلة بلا قيد وشرط .

٣ ـ لو خيف على زيادة الاستيلاء على بلاد المسلمين وتوسعة ذلك ، وأخذ بلادهم أو أسرهم ، وجب الدفاع بأية وسيلة ممكنة[2].

ب ـ وأفتى بذلك الشيخ الطوسي في كتاب النهاية ، كتاب الجهاد/٣١٧[3] .

ج ـ وابن زهرة في كتاب الغنية ، كتاب الجهاد/٥٢٢[4] .

د ـ وابن حمزة في كتاب الوسيلة /٧٣١[5] .

هـ ـ وأفتى بذلك صاحب الجواهر في المجلد ٣١/ص ١٤ .

و ـ والشهيد الأول والثاني في شرح اللمعة . كتاب الجهاد .

---

(١) فروع الكافي ج ٥ ص/٣١ ، رقم الحديث ٣ .

(٢) تحرير الوسيلة ج ١/بحث الدفاع ص ٤٥٥ ـ المسألة ١و٢و٣ .

(٣) جوامع الفقهية ـ كتاب الجهاد « النهاية » /ص ٢٨١ .

(٤) جوامع الفقهية ـ كتاب الغنية /ص ٥٨٣ .

(٥) جوامع الفقهية ـ كتاب الوسيلة /ص ٦٩٥ .

ز ـ والمحقق الحلّي في كتاب المختصر النافع ـ كتاب الجهاد /١٣٧ ـ وأيضاً أفتى به في كتاب القواعد « كتاب الجهاد ».

ح ـ والميرزاي القمي في كتاب جامع الشتاة « كتاب الجهاد/ ٨٠ ».

ط ـ وأفتى بهذا الأمر أيضاً الفاضل المقداد في كتاب كنز العرفان ج ٣٤٤/١ . ضمن تفسير الآية الشريفة التالية :

﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتّقوا الله ، واعلموا أنّ الله مع المتقين ﴾(١) .

قال الفاضل المقداد في الآية بأحكام :

١ ـ إباحة القتال في الشهر الحرام لمن لا يرىٰ له حرمة أعمّ من أن يكون ممن كان يرى الحرمة أم لا ، لأنه إذا جاز قتال من يرى حرمة فقتال غيره أولى .

٢ ـ إنه يجوز مقاتلة محارب المعتدي بمثل فعله لقوله « والحرمات قصاص » .

٣ ـ إنه إذا دهم المسلمين داهم من عدوّ يخشى منه على بيضة الإسلام يجوز قتاله ، ويكون ذلك واجباً ؛ لا أنّ الجهاد من خاصيته أنه إذا كان جائزاً كان واجباً ، سواء كان الإمام المعصوم حاضراً أو لا .

٤ ـ إنّه إذا كان الإنسان بين قوم ودهمهم عدو فخشي منه على نفسه ، جاز قتال ذلك العدّو ، ويكون قصده الدفاع عن نفسه لقوله تعالى : **﴿ فَمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . . . ﴾**(٢) .

هذه عدّة نصُوص لفتاوىٰ من العلماء والمجتهدين في عدم اشتراط الجهاد الدفاعي إذن الإمام المعصوم ، وحضوره ، أو نائبه .

الكفاح السلبي أو المقاومة السلبية :

قد يجب على المسلمين الكفاح والمقاومة ضد العدو سلبياً ، بأن يضربوا عن

(١) سورة البقرة ١٩٤/٢ .

(٢) تفسير الفاضل المقداد ج ١ .

العمل إضراباً شاملاً بحيث يفشل العدو ، أو يضربوا عن الأكل إن كان عددهم قليلاً لكي يؤدي إلى فضح العدو أو ما شابهما .

قال الإمام الخميني ـ قدّس سرّه ـ في هذا القسم : لو خيف على حوزة الإسلام من الاستيلاء السياسي والاقتصادي المنجر إلى أسرهم السياسي والاقتصادي ووهن الإسلام والمسلمين وضعفهم ، يجب الدفاع بالوسائل المشابهة والمقاومات المنفية : كترك شراء أمتعتهم ، وترك استعمالها ، وترك المراودة والمعاملة معهم مطلقاً (١) .

والجدير بالذكر ما حدث في سنة ١٣٠٩هـ ، ش . حيث انعقدت اتفاقية تجارية بين شركة إنكليزية وناصر الدين شاه قاجارى على أنّ تستثمر الأرباح المتعلقة بالتبغ في إيران لمدة خمسين سنة مقابل أن تدفع كل سنة إلى صاحب الجلالة/ ١٥٠٠٠ ليرة إنجليزية ؛ حنيذاك أرسلت شركة الريجي ممثليها إلى كل المحافظات والمدن والنواحي والقرى ، وقد أسسوا إدارة كبيرة باسم « شركة الريجي أو الدخانيات » .

وكانت هذه أحسن وسيلة لاستيلائهم السياسي والاقتصادي على الشعب المسلم الإيراني ، واستثمارهم والتسلّط عليهم ، لكي يستغل هؤلاء المستعمرون مقدراتهم الأساسية .

لكن علماء الإسلام تنبّهوا إلى مؤامرتهم وشعروا أنّهم لو سكتوا وأعطوهم المجال ، لتسلّط هؤلاء الأجانب المستعمرون يوماً بعد يوم على كل مقدرات الشعب الإيراني وثرواتهم ، من المعادن والذهب والفضة والملح والسكر والفحم الحجري وغيرها .

مضافاً إلى ذلك أنّ المستعمرين أرسلوا في الوقت نفسه عدداً من النساء الخليعات من البريطانيات وغيرهّن لإضلال الشباب ولإبادة المعنويات من خلال تأسيس الملاهي والمراقص ومراكز الدعارة ونشر الثقافة المستهترة والماجنة .

---

(١) تحرير الوسيلة ج ١/ ٤٥٥ .

ومن ثم بلّغ العلماء الواعون رسالتهم الأساسية إلى الناس من خلال الخطب وإلقاء الكلمات في المساجد وغيرها ، واستفتى بالتالي هؤلاء من أعلمهم المرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسن شيرازي ـ رحمة الله عليه بالمضمون التالي :

سماحة آية الله السيد محمد حسن شيرازي .

سؤال . أدام الله ظلكم العالي . مع هذه الوضعية الغوغائية التي حدثت في البلاد الإسلامية من خلال التبغ والمؤامرة الموجودة . هل يجوز استعمال النارجيلة أم لا ؟ وما هي وظيفة المسلمين ؟

يرجى منكم أن تعيّن وظيفتهم الشرعية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أجاب سماحته حيث كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم : من هذا اليوم إنّ استعمال التبغ والتدخين بأيّ نحو كان يكون بمنزلة محاربة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه الشريف ـ.

هذه الفتوى والنص المختصر أوجد صياحاً عاماً . لعواطف المسلمين ، بحيث فشلت مؤامرات العدو ، واستسلم صاحب الجلالة الملك ناصر الدين الشاه القجرى[1]!؟ .

وهذا هو الكفاح السلبي الذي يجب على المسلمين أن يسيروا على دربه للحفاظ على المصالح الإسلامية .

❊ ❊ ❊

(١) المترجم من كتاب « نهضت روحانيون إيران » « حركة علماء الدين في ايران » ج ١ /٨٩ ـ إلى ٩٣ .

البحث السادس

ضد من نجاهد؟

من الأمور الهامة في فريضة الجهاد : معرفة الأعداء ، الذين يصدّون عن سبيل الله ، ويبذرون الفتنة ، ويسعون في الأرض علواً وفساداً ، وبعبارة أوضح : أعداء الإسلام هم الذين يقومون بالتآمر ويحاربون الإسلام والمسلمين بأي نحو ممكن فيشنّون على المسلمين مختلف الغارات العسكرية والفكرية .

وهذا التمهيد هو جواب السؤال التالي : ضد من نجاهد ؟

ولكن التفحصّ في الكتب الفقهية يدلنا على العناوين التالية التي يعرف من خلالها بأنّ أعداء الإسلام هم ثلاثة :

١ ـ المحاربون الكفار .

٢ ـ البغاة .

٣ ـ المتخلفون عن شرائط الذمة .

أما المحاربون : فهم غير الكتابي من أصناف الكفار « الذين لم يقبلوا واحداً من الكتب السماوية توراة كانت أم انجيلاً أم غيرهما » وهم لا ينتسبون إلى الاسلام [١] ، بل يقاتلون المسلمين ؛ فيجب على المسلمين قتالهم سواء اعتقدوا بالأيديولوجية المادية من الماركسية وغيرها أم لا . قال الله العظيم :

---

(١) اللمعة الدمشقية ج ٢/ص ٣٨٦ .

﴿ وَقَاتِلوُا في سَبِيلِ الله الذَينَ يُقَاتِلونَكَمْ وَلاَ تَعْتَدُوا ، إنَّ الله لاَ يُحبُّ المُعْتَدينَ ﴾(١)

كما تدل عليه الآية الكريمة :

وَدُّوا لَوْ تكْفُرُونَ كَما كَفُروا فتكوُنُونَ سَواء فَلاَ تَتَخّذوا مِنْهُمْ أوْلياءَ حَتّى يُهاهِجرُوا في سَبِيلِ الله ، فَإنْ تَولَّوا فَخُذُوهُمْ وَاْقتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتخِذُوا مِنْهُم وَلِيّاً وَلاَ نَصيراً﴾(٢).

وقال عزّ وجلّ في سورة أخرى :

﴿ وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونكُمْ كَافَّةً واعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ المُتقِينَ ﴾(٣) .

تدل عليه ايضاً آيات اخرى : ١٤و ٢٩ من سورة التوبة و٢١٧ من سورة البقرة وغيرها .

ثم نجد لكلام مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ (ع) ملاحة خاصة حيث خاض القتال ضد هؤلاء بنفسه مع رسول الله ـ (ص) ـ وكان بعض هؤلاء من أقربائه . قال ـ (ع) :

« وَلَقَدْ كُنّا مَعَ رَسُولِ الله (ص) نَقْتُلُ آباءَنَا وَأَبْناءَنا وإخْوانِنا وأعْمامَنَا ، مَا يَزيدُنا ذلك إلاّ إيماناً وَتَسْليماً »(٤) .

فعلى هذا يجب قتال المحاربين الكفار من غير فرق بين أن يكونوا من قبيلة وعشيرة خاصة لها علاقة بالمقاتلين أم لا ، أو يكون لهم أيديولوجية مادية أم لا .

وأمّا البغاة : فهم أهل البغي : الذين يخرجون على الإمام العادل ، ويحملون السلاح ضد الحكم الإسلامي .

جاء في كتاب النّهاية : «الباغي من خرج على إمام عادل ونكث بيعته وخالفه

(١) سورة البقرة ٢/١٩٠ .

(٢) سورة النساء ٤/٨٩ .

(٣) سورة التوبة ٩/٢٦ .

(٤) نهج البلاغة شرح وتحقيق الشيخ صبحي الصالح خطبة ٥٦ .

في أحكامه ، فهو باغ وجاز للإمام قتاله ومجاهدته . . . ومن خرج على إمام جائر لم يجز قتالهم على أية حال ، ولا يجوز لأحد قتال أهل البغي إلاّ بأمر الإمام» .(١)

وفي كتاب الشرائع : «يجب قتال من خرج على إمام عادل إذا ندب إليه الإمام عموما أو خصوصا ، أو من نصبه الإمام» .(٢)

وجاء في الجواهر : «لا خلاف فيه بين المسلمين فضلاً عن المؤمنين ، بل الإجماع بقسميه عليه بل المحكيّ منهما مستفيض ، كالّنصُوص من طرق العامة والخاصة» .(٣)

قال سماحة آية الله الشيخ المنتظري : «مسألة قتال البغاة من المسائل المهتم بها في فقه الفريقين ، وقد رأيت تفسيره بالخارج على الإمام العادل في مقابل الإمام الجائر وهل يراد به خصوص الإمام المعصوم أو مطلق العادل بعد تحقق إمامته ؟ وجهان، ولعلّ الثاني أظهر. ويدلّ على الحكم مضافاً إلى الإجماع وعدم الخلاف، الكتاب والأخبار من طرق الفريقين . قال الله العظيم :

﴿ وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما على الأخرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إلى أَمْرِ الله ، فَإِنْ فاءَتْ فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالعَدْلِ ، وَأَقْسِطُوا إنَّ الله يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾(٤).

« الظاهر أن تسمية الخارج على الإمام بالباغي أخذت من هذه الآية . نعم ، قد يتبادر إلى الذهن أنَّ الآية في اقتتال طائفتين من المؤمنين لأمرٍ ما ، لا في خروج طائفة على الإمام ـ ولكن نقول : هذا الإشكال مدفوع . اولاً بصدق طائفتين على حبذ الإمام والباغي ، وثانياً بالأولوية القطعية . اذ لو وجب دفع الباغي على بعض المؤمنين ، فدفعه عن إمام المؤمنين يجب بطريق أولى »(٥).

---

(١) كتاب النهاية للشيخ الطوسي ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٢) كتاب الشرايع ١/٣٣٦ .

(٣) كتاب الجواهر ٢١/٣٢٤ .

(٤) سورة الحجرات ٤٩/٩ .

(٥) دراسات في ولاية الفقيه الدولة الإسلامية ١/١٢٨ .

وجاء في كتب الحديث عن ابن المغيرة، عن جعفر عن أبيه، قال: ذُكِرَتْ الحَرُورية[١] عِنْدَ عَلي - (ع) - فقال:

« إنْ خَرَجُوا عَلى إمام عَادِلٍ أوْ جَماعَةٍ فَقاتِلُوهُمْ. وَانْ خَرجُوا عَلىٰ إمامٍ جَائِرٍ فَلا تُقاتِلُوهُمْ، فإنَّ لَهُمْ في ذٰلِكَ عِقالاً »[٢].

فيجب على الحاكم الإسلامي والمسلمين أن يقاتلوهم، لأن البغاة يصدّون عن سبيل الله ويمنعون تنفيذ الأحكام الإسلامية كما هو حقها، وينبغي على المسلمين وإمامهم قبل محاربة هؤلاء أن يأمروا البغاة بالمعروف وينهوهم عن المنكر، وأن يُبيّنوا لهم المصالح المقتضية لرجوعهم إلى الحق، والمفاسد الموجودة في البغي التي تبعدهم عنه؛ وهكذا ينبغي أن يتركوا لهم فرصة ليفكروا ويلتفتوا إلى الحق أكثر فأكثر. ولكن لو استفادوا من الفرص ومن قدراتهم ضد المسلمين فلا يجوز أن يمهلوا لحظة.

جاء في تاريخ وقعة صفين أن مولانا علي بن أبي طالب - (ع) - أبطأ في المعركة حتى اعترض بعض أصحابه وقالوا: يا علي، لماذا تتأخّر في قتال هؤلاء؟! قال: (ع) - في جوابهم:

« فَوالله مٰا دَفَعْتُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إلاَّ وَأنٰا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طٰائِفَةٌ فَتَهْدِي بِي وَتَعْشُو إلى ضَوئي، وَذٰلِكَ أَحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهٰا عَلَىٰ ضَلاٰلِها وَإنْ كٰانَتْ تَبُوءُ بِآثامِهٰا »[٣].

نعم. إذا كان البغاة جماعة منظمة وارتكبوا قتل أحد المسلمين، يجوز للإمام العادل الحاكم بين المسلمين أن يقتل هؤلاء كلّهم ولو لم يتدخل البغاة كلهم في الأمر.

قال أمير المؤمنين - (ع) في شأن أصحاب الجمل:

« فَقَتلوا طٰائفةً صبراً وطائِفةً غدراً، فوالله لَوْ لَمْ يُصيبُوا مِنَ المُسْلِمين إلاّ رَجُلاً

(١) والمراد بالحرورية الخوارج. سموا بذلك لاجتماعهم في موضع بظهر الكوفة كان يسمى بحروراء.
(٢) وسائل الشيعة ج ١١/ص ٦٠ - الحديث ٣ - أيضاً ذكر في الكافي وعلل الشرائع.
(٣) نهج البلاغة تحقيق وشرح الشيخ لصبحي الصالح: الخطبة ٥٥.

وَاحِداً ، مُعْتمدينَ لِقَتْلِهِ بلا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلّ لي قَتلُ ذلك الجَيْشَ كُلِّهِ »[١] .

ويلحق بالبغاة طائفة أخرى من المسلمين الّذين حملوا الأسلحة وهاجموا الآخرين منهم ، حينذاك يجب على المسلمين وإمامهم أن يتدخلوا بينهما وأن يطلبوا منها الصلح ، فإن أصرت الطائفة المعتدية على متابعة عدوانها فلا بد للمسلمين أن يحاربوها ويقاتلوها ؛ كما تدل عليه الآية الكريمة الماضية في سورة الحجرات في هذا البحث[٢] .

وأيضاً يجب على المسلمين قتل من سبّ وطعن وأهان الإسلام والقرآن والنبي الاعظم ـ (ص) ـ ، أو الشعائر المقدسة بين المسلمين ، لأنه يُفسد بين المسلمين ويوجب وهن الشريعة ، ومن ارتد عن دينه . واتفق عليه الفريقان ـ كما صرح به الأئمة الأربعة .

جاء في « الفقه على المذاهب الاربعة » : اتفق الأئمة الأربعة ـ عليهم رحمة الله ـ على أنّ من ثبت ارتداده عن الإسلام ـ والعياذ بالله ـ وجب قتله وأهدر دمه ـ وعلى أنّ قتل الزنديق واجب ، وهو الذي يضمر الكفر ويتظاهر بالإسلام »[٣] .

وجاء في الحديث . عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبدالله ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر ـ (ع) ـ قال :

« إنَّ رَجُلاً مِنْ هَذيلٍ كانَ يَسُبُّ رَسوُلَ الله ـ (ص) ـ فَبَلَغَ ذلك النبي ـ (ص) ـ فقال : مَنْ لِهذا ؟ فَقامَ رَجُلانِ مِن الأنْصارِ ، فَقالا : نَحْنُ يا رَسُولَ الله ، فَانْطَلقا حَتى أتَيا عربه ، فَسَألا عَنْهُ ، فإذا هُوَ يَتلقى غَنَمَهُ ، فَقالَ : مَنْ أنْتما وَما اسْمُكُما ؟ فقالا له : أنتَ فُلان بن فلان ؟ قال : نعم . فَنَزَلا فَضَربا عُنُقَهُ .

قال محمد بن مسلم : فقلت لأبي جعفر ـ (ع) : أرَأيْتَ لَوْ أنَّ رَجُلاً الآنَ سَبَّ النَبيَ ـ (ص) ـ أيُقْتَلُ ؟ قال : « إنْ لَمْ تَخَفْ عَلىٰ نَفْسِكَ فَاقْتُلْهُ »[٤] .

---

(١) نهج البلاغة لصبحي الصالح الخطبة ١٧٢ .

(٢) سورة الحجرات ٤٩/٩ .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥/٤٢٣ .

(٤) وسائل الشيعة ج ١٨/ ٤٦٠ باب ٢٥ .

فعلى هذا الأساس أفتى قائد الثـورة الاسلاميـة الإمام الخميني ـ (قـدس سره الشريف) ـ بقتل كاتب عميل كان أحد الأعضاء في اللجنة الأدبية للأسرة الملكية في انكلترا وهو « سلمان رشدي » ، المرتد الذي أهان وهتك المقدسات الإسلاميـة في كتابه المسمى بـ« الآيات الشيطانية » ـ والنص التالي هو الفتوىٰ :

باسمه تعالى

﴿ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾

أعلن لكل المسلمين الغيارى في كافة أنحاء العالم ، أن مؤلف كتاب « الآيات الشيطانية » الذي دوّن ونشر ضد الإسلام والرّسول الأعظم ـ (ص) ـ والقرآن الكريم وهكذا من نشره وهو مطلّع على مضمونه فيحكم عليهم بالإعدام .

أطلب من المسلمين الغيارىٰ أن يعدموا هؤلاء سريعاً حيث وجدوهم لكي لا يتجّرأ أحد أن يهين ويهتك المقدسات الإسلامية ، ومن يُقتل في سبيل إعدام هؤلاء فهو شهيد : هذا وإن وجد أحد مؤلف هذا الكتاب ولم يستطع تنفيذ الإعدام بحقه ، يجب عليه أن يطلع الناس على محل تواجده لكي ينال جزاء عمله الشنيع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

روح الله الموسوي الخميني

١٣٦٧/١١/٣٥ هجري شمسي

وقد أفتى به صاحب الجواهر ـ رحمة الله عليه ـ وقال ؛ الأولى : من سبّ النبي ـ (ص) ـ جاز لسامعه بل وجب قتله بلا خلاف أجده فيه، بل الإجماع بقسميه عليه مضافاً إلى النصوص[1] .

وأما المتخلفون عن ضوابط أهل الذّمة : فهم التابعون للشرائع الإلٓهية كاليهود والنصارى والمجوس[2] ، الذين يستطيعون أن يعيشوا في البـلاد الإسلاميـة بحسب

(١) جواهر الكلام ج ٤١/ص ٤٣٢ .

(٢) الأحاديث الموجودة في وسائل الشيعة ج ١١/باب ٤٩ . تدل على أن المجوس من أهل الكتاب .

شروط معينة من قبل الحكومة الإسلامية ، إذ عليها أنْ تحافظ على انفسهم وأموالهم وأعراضهم ما داموا ملتزمين بشرائط الذمة : مثل بذل الجزية ، والالتزام بأحكام القضاء والآداب الاجتماعية ، وترك التعرض للمسلمات بالنكاح ، وترك قطع الطريق ، وعدم دخول الجواسيس في بيوتهم ، وترك إظهار المنكرات في شريعة الإسلام ، وغيرها من الأمور التي ثبتت في الكتب الفقهية المفصلة[١] .

ولكن إذا نقضوا عهدهم ، وخالفوا القرار الذي التزموا به أمام الحكومة الإسلامية ، وارتكبوا مفاسد في المجتمع الإسلامي فيجوز للمسلمين قتال هؤلاء .

(١) شرح اللمعة الدمشقية كتاب الجهاد ج ٢ /٣٨٨ .

البحث السابع

الحاجة لتنظيم القوات المسلحة

كان الإنسان يعيش في أوائل أدوار تمدّنه قبائل ، وكان جندها رجالها ، فإذا اندلعت حرب اجتمع الرجال من كلّ قبيلة بلا نظام ولا ترتيب .

فلّما تحضر الناس وتقاسموا الأعمال وكانت الدّول ، كان أهم شيء عندهم تنظيم القوات المسلحة والجندية ، إذ علموا أن حياة كلّ شعب ، واستمرارْ ، رهينان باستعداد القوات المسلحة ، فهي عماد الأمة ، ومعتمدها ، ومحافظة لكينونتها ، فلا استقرار ولا اطمئنان بدونها .

قال بعض المؤرخين : أوّل دولة نظمت الجند كانت الدولة المصّرية الفرعونية ، فقد نظمت جيشاً من الزنوج والأحباش ، وذلك حوالي القرن العشرين قبل الميلاد . فأخضعت بهم سكان سواحل البحر الأحمر ، ثم انتشر أمر التجنيد في الدول القديمة في آشور وبابل وفينيقية واليونان والرومان . وهكذا أقدمت على تنظيم القوات المسلحة الدولة الإسلامية (١) .

على هذا يكون السبب في تنظيم القوات المسلحة في كلّ شعب لايعدو الحفاظ على الشعوب والملل . بيد أن الملوك والجبابرة اهتموا بهذا الأمر اهتماماً كبيراً لأجل أنفسهم وتأميناً لبقائهم يديرون دفّة الحكم ، وهكذا تحولت الفائدة لصالح هؤلاء الملوك والسّلاطين لا الشعوب المظلومة .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ج ١/ ١٥٠ .

دور القوات المسلحة في الإسلام

لارَيب أن الإسلام يحتاج إلى القوات المسلحة المرصوصة أشد احتياج ، إذ يقتضي حكم الإسلام أن تكون له قوة ضاربة تتصدى للظلم والتعدي ، وتحول دون الطغاة وعسفهم وجورهم .

يضاف إلى ذلك اعتقاد بأن الحكومة الواقعية هي للمؤمنين ، فهم الوارثون الأرضَ ؛ وعداً من الله وأمراً مقضياً ، إذ قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَستخلفنَّهم في الأرض كما استَخْلَفَ الذّينَ مِنْ قَبلِهم ، وَلَيُمكنَنَّ لهم دينَهم الذّي ارتَضَى لهم ولَيُبدِّلَنَّهم من بعدِ خوفِهِم أمناً ، يَعبدونني ولا يشركونَ بي شيئاً ﴾ . (١)

ومن الطبيعي أنه لايمكن تأمين ذلك إلاّ بإستحداث جيوش منظمة تملك من أسباب القوة أقواها . وهنالك آيات وأحاديث متعددة تتناول هذا الشأن .

منها ـ قوله تعالى : **﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباط الخيل ، تُرهبون به عدّو الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوَفَّ إليكم وأنتم لاتُظلمون ﴾** . (١)

فقد أمر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة بالتجنيد وتنظيم القوات المسلحة معللاً ذلك ، بدلالات واضحة وكانت دلالتها واضحة.

إن قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني قدّس الله نفسه الزكيّة يقول في تبيين هذه الآية :

« أعدوا كلّ ما استطعتم من المعدات الحربية ضدّ الأعداء ، من حيث الإعداد الجسمي والتعليمات العسكرية ، ومن حيث الآلات الحربية والتكوين المناسب لها ، وكذلك حرس الحدود للحفاظ عليها ، عليكم أن تعدّوا المعدات والتكوين والتنظيم بشكل يخاف معه أعداء الله وأعداؤكم وكل شخص في العالم ـ تعرفونه أو لا تعرفونه ـ ويرهب قواتكم العظيمة .

---

(١) سورة النور ٢٤/ ٥٥ .

(٢) سورة الأنفال ٨/ ٦٠ .

وأنفقوا في سبيل الله ما يؤمّن الحفاظ على الدولة الإسلامية ، وتهيئة المعدات الحربية واعداد القوات العسكرية ؛ وإن الله تبارك وتعالى سيجزيكم على ذلك أفضل الجزاء . وإنكم باستعداداتكم هذه لن تقعوا تحت مطامع وظلم الآخرين .

ثم أضاف سماحته قائلاً :

ومن المعاني التي نفهمها من هذه الآية الكريمة ، أنّ الدولة الإسلامية بكل قدرتها واستطاعتها ، وبالقدر الذي تسمح به ميزانية الدولة ، ومن أجل الحفاظ على كيان الدولة وترهيب الأعداء في الثغور والحدود أو في غيرها ، عليها أن تكرس جهدها للإعداد اللازم للقوات البشرية ، وما تتطلبه من المعدات العسكرية المناسبة . . . يجب تهيئة المعدات الحربية والحياة العسكرية بصورة معقولة ومنطقية »[١] .

منها ـ شرح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ (ع) ـ في عهده إلى مالك الأشتر النخعي ـ دور القوات المسلحة ـ فقال :

« . . . فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعزّ الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرّعية إلا بهم » [٢] .

تاريخ القوات المسلحة في الإسلام

يستفاد من تلميحات المؤرخين عند ظهور الإسلام أنه قد انفرد المسلمون عن سائر العرب ، واتحدوا بجامعة الدين يداً واحدة في محاربة أعدائهم ، فصاروا كلهم جنداً كبيرهم وصغيرهم ، وكان أوّل جنود المسلمين كل المهاجرين والأنصار في المدينة .

استمرت هذه الوضعية حتى زمن الخليفة الثاني ، لكنّهم بعد أن فتحت لهم الأمصار ، واطمأنوا إلى سيادتهم على الأرض ، مالوا إلى الرّخاء والتقاعد عن القتال واشتغلوا بأمور مختلفة مثل الزراعة ورعاية الأغنام والبيع والشراء وغيرها ؛ فأمر الخليفة الثاني أن يجنّد فئة خاصة للدفاع والجهاد ، وألا يشتغل . هؤلاء بأعمال

---

(١) كشف الأسرار ص ٢٤٥ .

(٢) نهج البلاغة شرح وتحقيق صبحي الصالح : الرسالة ٥٣

أخرى ثم بدأ بتدوين الرواتب ، وغيرها لهم [١] .

فمن ثم تميّزت القوات المسلحة عن سائر الفئات .

شرطة الخميس

ذُكِرَتْ في المصادر الإسلامية قوة مسلحة خاصة وهي « شرطة الخميس » ، وقد أوجدت هذه القوة في زمن حكومة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

فما هي شرطة الخميس؟

الشرطة : فئة من خيار أعوان الولاة تجند للمحافظة على أمن الرعية ، وهم يشكلون أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت . قيل : سميت بالشرطة ، لأنهم شرطوا مع الحكومة أن يكونوا مهيئين للدفاع تجاه العدو ، ولهم علامات يعرفون بها وتميّزهم عن الآخرين .

قال ابن الأثير : يقال لهذا الجيش « الخميس » لأنه كان خمس فرق ، وهي المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة [١] .

يستفاد من سيرة علي بن أبي طالب (ع) ، أنّ شرطة الخميس كانت قوات مسلحةً تشهد الوقعة قبل القتال ، وفي غير القتال يحرسون المدينة ويساعدون الحكومة في تنفيذ الأحكام .

وفي حديث للأصبغ بن نباتة ، وهو رجل معروف من شرطة الخميس ، سئل : كيف سُميّتم شرطة الخميس يا أصبغ ؟ قال : « لأنّا ضمنّا له الذبح وضمن لنا الفتح » .

يعني أمير المؤمنين (ع)[٢] .

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ / ١٦٢ .

(٢) نهاية ابن الأثير ٢ / ٧٩ . المصباح المنير ٣٠٩ .

(٣) مجمع البحرين ٤ / ٢٥٧ .

يستفاد من احاديث متعددة أن عدد شرطة الخميس كان ستة آلاف رجل ، أو خمسة آلاف[١] .

القوة البحرية

إن علاء بن الخضرمي كان والياً على البحرين في أيام الخليفة الثاني ، وهو أول من ركب البحر ، فأحّب أن يفتح سواحل الخليج الفارسي ، فعبر عليها في المراكب ولم يفلح في غزوته .

بعد ذلك ، عُيّن عبدالله بن قيس في أيام الخليفة الثالث لقيادة القوى البحرية ، وفي هذا الزمان كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح والياً على مصر . وقد قاتل القسطنطينيين في البحر الأبيض المتوسط وانتصر عليهم .

شارك في هذا القتال البحري ألف سفينة من الرومان ، ومئتا سفينة من مصر ، فتح المسلمون جزيرة « قبرص » وهيّأوا جيشاً كبيراً للهجوم على الرومان الشرقيين ؛ هذه الأسباب أوجبت على المسلمين أن يتقنوا فنون الحروب البحرية ، فبدأوا ، بالتالي ، بصناعة أساطيل بحرية كبيرة .

وهكذا تحول : البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة اسلامية . وكان المسلمين يقلعون بسفنهم الكبيرة يتجولون بين إفريقيا الشمالية والأندلس والشام . ومن ثم أسس المسلمون مركزاً هاماً لصناعة السفن زمن عبد الملك في افريقيا[٢] .

يستنتج مما تقدّم أن الحكومات الإسلامية ـ سواء كانت إسلامية في الحقيقة أم لا ـ قد اهتمت بالقوات المسلحة وأحست بضرورتها ، مضافاً أن البدء بالتنظيم لشرطة الخميس من قبل مولانا أمير المؤمنين (ع) وأوامره القيّمة بكل ما يختص بأمور الجيش إلى مالك الأشتر النخعي وسائر القيادات العسكرية أوضح حجة لضرورة القوات المسلحة في الإسلام ، ذلك أنّها تدافع عن الإسلام ، وتقاتل لنصرة الحق بكل ارادة

---

(١) بحار الأنوار ٤٢/١٥١ .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ، التاريخ السياسي للإسلام ج ٤٦٢/١ .

وعزيمة وتصميم ؛ وهنا لا بد أن نشير إلى بعض المقتطفات من أقوال قائد الثورة الإسلامية المباركة ، حيث نقرأ في بعض تلك الخطابات ما يلي :

إنّ جماهير إيران من الجيش والحرس والتعبئة وسائر القوى العسكرية يدافعون للمحافظة على الإسلام والدولة الإسلامية ، ولقاء الله تعالى ، وهناك فرق كبير بين هؤلاء الأعزّاء وأولئك المغرورين الذين يقاتلون ضد الإسلام والقرآن الكريم ، من أجل المقاصد والأهداف الدنيئة لامريكا وعملائها .

ومّما يثير عندي الفخر والاعتزاز ، هو تلك الروح المعنوية العظيمة والقلوب المليئة بالإيمان والإخلاص ، وروح الاستشهاد التي يتجلّى بها هؤلاء الأعزاء الذين هم الجنود الحقيقيون لولي الله الأعظم ، أرواحنا لمقدمه الفداء ، وهذا هو فتح الفتوح (١) .

وبوسعنا أن ننظر إلى روعة التحليل والتساؤل المثير حول أهداف القوات المسلحة الصدامية في قول الإمام الخميني « قدس سره » التالي :

« من أجل أي شيء يقاتل جيش العراق؟ ومن يقاتل هذا الجيش ؟ وما هي الأهداف التي من أجلها يقاتل هذا الجيش ؟ ومن أجل ماذا يهدر دماءه ؟ ولأية أهداف يسفح دمه(٢) ؟

ثم يتفضّل نوّر الله برهاته فيشرح الأهداف والمبادىء التي تقاتل من أجلها القوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية :

« ان أهدافنا هي : إنّنا نقاتل في سبيل الله ، لقد أعطانا الله كل شيء ، نحن من الله وإليه ، هذه هي أهداف جيش الإسلام ، وان هذه الأهداف التي كانت في صدر الإسلام ، ما تزال هي هي في يومنا هذا »(١) .

(١) نشرات النور سنة ١٣٦٠ هـ .ش ـ رقم ١٢١ .
(٢) المصدر السابق سنة ١٣٥٩ هـ ش . رقم ١٤ .
(٣) المصدر السابق سنة ١٣٦٠ هـ ش . رقم ١٢١ .

البحث الثامن

أهداف تكوين القوات المسلحة وقوات الثغور ـ الرصد ـ

يستنتج من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تتحدث عن تنظيم القوات المسلحة في الإسلام ، أن الأهداف الأساسية والشؤون الهامة لها تتجّسد في العناوين التالية :

١ ـ **حراسة الشعب وحمايته** : المجتمع الإسلامي يحتاج إلى الاطمئنان والاستقرار لكي يصل إلى أهدافه العالية ، ذات المستوى الرفيع من الأمور المعنوية والثقافية والاقتصادية وغيرها ، ولا يمكن الوصول إليها إلا إذا حرسته قوات مسلحة مؤمنة من الشعب .

كتب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ (ع) ـ في عهده الى مالك الأشتر النخعي : « فالجنود بإذن الله حصون الرعية » .

٢ ـ **مقدرة القائد وعظمته** : حيث أن الحاكم الإسلامي أسوة حسنة لكل المسلمين ، ولأنّ عزته عز الإسلام ، فلا بد أن يجهز جيشاً قوياً يحمي البلاد وأهلها . ويرهب به عدو الله والاسلام .

وإلى هذا أشار (ع) في رسالته :

« . . . فالجنود بإذن الله . . . وزين الولاة » .

٣ ـ **حماية الرسالة وتنامي قدرتها** : من الممكن أن تواجه الشرائع الإلّهية عند

انتشارها بين الناس موانع كثيرة ، لا بد بالتالي من ازالتها ، ولا يتم ذلك الا بواسطة القوات المسلحة المنظمة .

قال علي (ع) في شأن جيش الإسلام :

« فالجنود بإذن الله . . . وعزّ الدين » .

وقال (ع) في موضع آخر : « الخير كله في السيف وما قام هذا الدين إلا بالسيف »[١] .

٤ ـ أمن الدولة وحراسة حدود البلاد: الدولة الإسلامية تتألف من القوى الثلاثة : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية ، ينهض كل منها بمشروعات ذات أهمية قصوى للمجتمع الإسلامي من حيث تنفيذ الأحكام الشرعية . ومن الطبيعي ألا يتحقق شيء من هذه المشاريع والأهداف إلا إذا نعمت بالأمن تجاه العدو ودسائسه ، سواء من داخل البلاد أم من خارجها ؛ والأمن لا يستتب إلّا بعد استقرار القوات العسكرية المؤمنة ، التي تحرس وتحفظ ثغور البلاد الإسلامية بأحسن وجه .

نعم . هنا مطالب أخرى تحت كلمة « المرابطة » سنبحث فيها .

يستفاد هذا المعنى من مقتطفات عهد مولانا أمير المؤمنين (ع) « فالجنود باذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلّا بهم »[٢] .

٥ ـ تحرير المستضعفين : من الأهداف الهامة للحكم الإسلامي ، تحرير المستضعفين في أوطانهم ، أو خارجها فأصبحوا محرومين من الحقوق الإنسانية ، من جراء الظلم والتعدي ؛ امام هذا الواقع ، فعلى الحكومة الإسلامية أن تهب لتخلّصهم من براثن الطواغيت ، وعمل كهذا ، يحتاج إلى جيش قوي عدة وعدداً ، بالاضافة إلى ولائه التام لقائده واهدافه .

يظهر هذا الهدف في مفاوضة زهرة أحد القادة العسكريين المسلمين في حرب القادسية سنة أربع عشرة ، حين واجه جيش فارس الساساني ، اذ أرسل هذا القائد

(١) شرح النهج لابن الحديد ج ٢/٣٠٨ .

(٢) نهج البلاغة ، من عهده (ع) إلى مالك الأشتر النخعي ، رقم الرسالة ٥٣ .

رسولاً اسمه ربعي بن عامر إلى رستم قائد الجيش الفارسي ، وبعد أن سلّمه الكتاب ، سأله رستم ؛ لماذا تسعون إلى حربنا ؟ فأجاب ربعي بن عامر :

الله ـ تعالى ـ جاء بنا ، وقد بعثنا لنخرج من يشاء من عباده ، من عبادة العباد إلى عبادة الله ، من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام »(١) .

٦ ـ **المرابطة والرصد الحدودي** : المرابطة : هي لغة من الرباط « المواظبة على الأمر » قال الفارسي : هو شأن من لزوم الثغر ، ولزوم الثغر ، شأن من رباط الخيل ، والرباط : ملازمة ثغر العدو كالمرابطة ، والرباط أيضاً : هو واحد الرباطات المبنية ، ومعناه أيضاً : « الفؤاد » .

والجدير بالذكر أن نأتي بما جاء في « مجمع البحرين » : أصل الرباط الملازمة والمواظبة على الأمر ، وملازمة ثغر العدو كالمرابطة ، ومنه « من ربط فرساً في سبيل الله فله كذا » أي أعدّها للجهاد (٢) .

ومن ثم اعتمد فقهاء الإسلام المعنى اللغوي وقالوا : المرابطة هي الإرصاد والإقامة لحفظ الثغور من هجوم المشركين ، ومراقبة تحركات العدو ـ الثغر هنا : « الموضع الذي يكون في أطراف بلاد الإسلام بحيث يُخاف هجوم المشركين منه »(٣) .

هذا التعريف يشمل أنواع الرصد الحدودي لاسيما في يومنا هذا . كالربض في الخندق ، اليقظة ، الرصد ، الاستفادة من أجهزة التنصت والرادار وغيرها .

ولا يخفى أن « بعض الفقهاء » رضوان الله عليهم « يقولون باختصاص المرابطة باستطلاع العدو ، ومراقبة عمله ، وتحركاته المريبة ، وكانوا يقولون : يستحب هذا الأمر في زمن الإمام المعصوم أو في غيبته، وقد صرح المحقق الحلّي في شرائع

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .
(٢) مجمع البحرين ج ٤/ ٢٤٨ .
(٣) « كنز العرفان ج ١/ ٣٨٨ ، جواهر الكلام : ٢١/ ٣٨ » .

الإسلام بهذا الأمر وقال ؛ المرابطة : هي الإرصـاد لحفظ الثغر[١] ، وهي مستحبة ولو كان الإمام مفقوداً . (المراد بالامام : المعصوم)[٢] .

يدل على المرابطة والرصد الحدودي الآيـات القرآنيـة والأحاديث الشـريفة ، وهذه بعضها :

١ ـ ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ .[٣].

٢ ـ ﴿ **يـا أيها الـذّين آمنوا اصبـروا وصـابـروا ورابـطوا ، واتّقـوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ .[٤] .

وعن محمد بن عيسى ، عن يونس قال :

سأل أبا الحسن (ع) رجل وأنا حاضر فقلت له : جعلت فداك ، إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وقوساً في سبيل الله ، فأتاه فأخذهما منه « وهو جاهل بوجه السبيل ، ثم لقيه أصحابه ، فأخبروه أنّ السبيل مع هؤلاء لا يجوز . . .

قال (ع) : فليرابط ولا يقاتل .

قال : فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع ؟

قال (ع) : يقاتل عن بيضة الإسلام .

قال رسول الله (ص) :

« من رابط يوماً وليلة في سبيل الله ، كان كعدل صيام شهر وقيامه ، لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلاّ لحاجة »[٥] .

وقال رسول الله (ص) : « كل ميت يختم على عمله إلاّ المرابط في سبيل الله فإنّه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان الفتن »[٦] .

وأخيراً ، لا بد أن نشير إلى أنّ هذه العناوين ليست مستقلة ، بل ربما يتداخل بعضها في بعض ، وأن ذكرناها منفصلة ، فلأهميتها .

---

(١) الثغر : المكان الذي يخاف منه هجوم العدو وهو مأخوذ من ثغر الجدار : « المنجد ج ١ / ٧٠ » .

(٢) شرائع الإسلام ج ١ ص ٣٠٩ .

(٣) سورة الأنفال ٨ / ٦٠ .

(٤) سورة آل عمران ٣ / ٢٠٠ .

(٥)و(٦) مسالك الإفهام في آيات الأحكام ج ٢ / ٣٦٠ ، والأصح : فتنة الفنان .

البحث التاسع

الجيش والسياسة

١ ـ الجيش هو مجموعة من الأفراد المـدرّبين عسكريـاً والمعدين للدفـاع عن كيان الإسلام والمسلمين ؛ أو الهجوم على العدو إذا اقتضت مصالح الإسلام ذلك

٢ ـ السيـاسة : هي مصـدر معنـاه استصـلاح الخلق وإرشـادهم إلى الـطريق المنجي في العاجل والآجل[1] .

وقال آخرون : هي فن الحكم وإدارة أعمال الدولة الداخلية والخارجية .

وفي الحقيقة إن المعنى الثاني يرجع إلى الأول ، إذ هو عام لكل الناس ، بينما يظهر الثاني وكأنه لبلد أو قطر .

فيستدل من هذه التعاريف ما للسياسة الصحيحة من كبير أهمية ، وما للجيش في المجتمع والنظام الاسلامي . من دور جد خطير . وسنوضحهما إن شاء الله .

إن السياسة تنقسم إلى قسمين :

١ ـ السياسة الصادقة (الواقعية) .

٢ ـ السياسة عند قوى الاستكبار .

أما الأولى فهي تدبير صحيح لإدارة الشعوب للوصول إلى السعادة الأبدية .

وهذه المسؤولية الكبيرة لم تفوض إلا لمن كـانت له مميـزات خاصة. إذ هي

---

(١) المنجد مادة سوس .

لله ، وإنه عز وجلّ منحها للأنبياء كإبراهيم (ع) حيث يقول سبحانه : ﴿ وَإِذ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ، قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[١].

وهذا المنصب العظيم حوله بعد الأنبياء (ع) إلى الأئمة المعصومين ، كما أشير إليه في الزيارة الجامعة الكبيرة .

وقادة الأمم ، وأولياء النعم ، وعناصر الأبرار ، ودعائم الأخيار ، وساسة العباد ، وأركان البلاد . .

وقال علي بن موسى الرضا (ع) في كلام طويل :

« إنَّ الإمامة زِمامُ الدين ، ونِظام المُسلمين ، وصلاحُ الدنيا ، وَعِزُّ المؤمنينَ إنّ الإمامة أسُّ الإسلام النامي . . . »[٢].

وقال أيضاً (ع) : « والإمام . . . مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة »[٣].

وأمّا الثانية فهي منبعثة عن مذهب مادي ، لم تلقها إلا الشياطين وهي منهج لحكومة المستكبرين والطواغيت الذين يسعون للقضاء على الناس واستغلالهم بأي نحو ممكن ، كما صرح راسل في تعريف السياسة ، حيث يقول :

« إن السياسة هي معرفة الأهداف وتحقيقها بأي نحو ممكن : من الخطابات العامة ، والعقوبات غير القانونية ، أو ايقاد نار الحرب أو اعتقال أشخاص معينين وتعذيبهم »[٤]. . .

قال زعيم الثورة الإسلامية حول السياسة في منطق المستكبرين :

« عندما كنت مسجونا مع أحد علماء الدين ، جاءنا احد الزعماء في حكومة الشاه ، وقال : إن السياسة هي الغدر والكذب والخداع والخيانة ، دعها لنا . نعم ، إذا كانت السياسة هكذا فإنها لهم . ولكن نحن نقول : إن السياسة الإسلامية هي

---

(١) سورة البقرة ٢/١٢٤ .

(٢) أصول الكافي ج ١/٢٠٠ .

(٣) أصول الكافي ج ٢ و٣/٢٠٠ و٢٠٢ .

(٤) منتخب آراء راسل/٣٢٢ (معرّب) .

تدبير أمور الناس بصورة صحيحة ، وهذا يختص بالأنبياء والأئمة المعصومين وعلماء الدين[١] ، كما جاء في الأحاديث والأدعية وغيرها . ويؤيده ما قال أمير المؤمنين (ع) حولَ السياسة في حكومته والسياسة في حكومة معاوية بن أبي سفيان :

« والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس . ولكن كل غدرة فجرة ، وكل فجرة كفرة ، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة »[٢] .

نستنتج مما ذكرنا أن السياسة الحقيقية هي تدبير عام لكل الناس اينما وجدوا ، بموجب سنن العدل والاستقامة ، كما يقتضيه الخالق عزّ وجلّ .

من هنا فإن للجيش وظائف في الحكومة الإسلامية كما قدمناه في بحث أهداف القوات المسلحة ، كما ينبغي أن تعمل وحدات أخرى وفق برنامج معين لها ؛ ولا يتعلق الجيش بفئة دون أخرى ، بل هو عضد قوي للحكومة الإسلامية تحت ولاية الفقيه الأعلم ، الجامع لشرائط الزعامة ، كما نص عليها سماحة الفقيه المجاهد آية الله العظمى المنتظري دام عزه في دراساته :

« وكيف كان فالولاية في عصر الغيبة مختصة بالفقيه الجامع للشرائط . . . إما بالتنصيب عموماً ، أو بالانتخاب من قبل الأمة ، أو بالتصدي للوظائف ، حسبة ، مع عدمها »[٣] .

ويطرح هنا سؤال : أيتدخل الجيش في المسائل السياسية أم لا ؟

ونجيب : إن الجيش إذا رأى نقائص ومشاكل في الأمور فعليه ، كفئة من المسلمين ، أن يقترح ما يرتئيه مناسباً . وقد عُبّر عن هذا في الأحاديث الشريفة : « النصيحة لأئمة المسلمين » .

وقال أمير المؤمنين (ع) :

« أيها الناس إنّ لي عليكم حقاً ، ولكم علي حق ، فأما حقكم علي فالنصيحة

---

(١) ولاية الفقيه للإمام الخميني/١٩٣ .
(٢) نهج البلاغة ، الحكم/٣٢١ .
(٣) ولاية الفقيهج ١ /٤١٧ .

لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ؛ فأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم »[١].

وأما لو أراد بعض فئات الجيش ـ عند مشاهدة نقيصة أو مشاكل سياسية ـ أن يثير ضجة وحيصة ، فعلى الحكومة الّا تسمح لها بذلك ، بل تضرب على يدها ، للعودة إلى حظيرة الجماعة . وذلك بعد تقديم النصح لها والإرشاد .

قال علي بن أبي طالب (ع) لابن عباس :
« لك أن تشير عَليَّ وأرى ، فإن عصيتك فأطعني »[٢].

إذ ربما يكون وراء هذه الحيصة والضوضاء نيات سيئة أو مؤامرة تقف وراءها جماعات منحرفة ، أو فئات هدامة كما واجه إمام الأمة قدس سره (الجبهة الشعبية) داخل إيران ، وأعلن سماحته بأن زعماء هذه الجبهة صاروا مرتدين عن الإسلام إذ هم أعلنوا موقفهم وبدأوا بمسيرة ناوين عبرها تنفيذ مؤامرة .

وهكذا ، فلو وجد مثل هؤلاء في المجتمع الإسلامي ، لاسيما في الجيش ، فان الحاكم الإسلامي وقائد الجيش ينصحهم في بداية الأمر ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فإن قبلوا حصل المطلوب ، وإلا فللقائد اتخاذ ما يراه مناسباً من الاجراءات الكفيلة باعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي السليم .

جاء في تاريخ الإسلام أن الخريت بن راشد الناجي ، مال إلى الخوارج ، فحضر أمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مع ثلاثين راكبا ، وقال له : يا علي والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، وإني غداً مفارق لك ـ وذلك بعد تحكيم الحكمين ـ .

حينذاك قال أمير المؤمنين (ع) :
«إذاً تعصي ربك ، وتنكث عهدك ، ولا تضر إلّا نفسك » .
ثم قال : « خبرني لم تفعل ذلك » ؟

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ٣٤.
(٢) نهج البلاغة : الحكم ٣٢١.

قال : لأنك حكمت وضعفت عن الحق ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا ، فأنا عليك زارٍ وعليهم ناقم ، ولكم جميعاً مباين .

فقال (ع) : « هلم أدارسك الكتاب ، وأناظرك في السنن ، وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكر » .

قال : فإني عائد إليك .

قال (ع) : « لا يستهوينّك الشيطان ، ولا يستخفّنك الجهال ، والله لئن استرشدتني وقبلت مني لأهدّينك سبيل الرشاد » .

فخرج الرجل مع أصحابه تحمساً للخوارج ، ولما علم (ع) بالتحاقهم بالمنحرفين والمخالفين .

قال : « بُعداً لهم كما بعدت ثمود ! إنّ الشيطان أضلهم وغلب عليهم » .

ثم أمر (ع) أصحابه باتباعهم لكي يردوهم عن ضلالهم ، ولكن عندما أصرّ هؤلاء على موقفهم قتلوا في الصراع ضد الحكومة الإسلامية [1] .

ومن ثم حذّر الإمام القائد زعيم الثورة الإسلامية الجيش من الدخول في الأحزاب السياسية والتحمس للأحزاب . وهنا نأتي بما تفضل به سماحته مخاطباً القوات المسلحة :

إنني أهيب بجميع القوات المسلحة (الحرس والجيش وقوات الدرك والشرطة وقادة هذه القوات) . ألا ينخرطوا في أي حزب سياسي ، وفي أي تنظيم اجتماعي ، وإذا انخرط الجيش أو الحرس أو القوات المسلحة الأخرى في أحد الأحزاب ، فعلينا أن نقرأ الفاتحة على ذلك الجيش . لا تدخلوا الأحزاب ولا تدخلوا التنظيمات .

إن الواجب الشرعي عليكم جميعاً هو إما الانخراط في الأحزاب ، أو الانخراط في القوات المسلحة ، ولكم الاختيار . إذا أحببتم ابتعدوا عن الجيش وانخرطوا في الحزب . أما أن تدخلوا الحزب والجيش معاً فهذا معناه أن الجيش قد فقد أساس هدفه ، حيث تتسلل الألاعيب السياسية الى صفوف أفراده .

إذا كنتم في تنظيم ما ، فعليكم أن تخرجوا من ذلك التنظيم ، حتى ولو كان

(١) الكامل لابن أثير ج ٣٦٤/٣ .

ذلك التنظيم يمثل قطاعاً جيداً من الشعب ، وحتى لو كان التنظيم حزباً جيداً ؛ اذ لا يجوز أصلاً للعسكريين والحرس والقوات المسلحة وقوات الدرك والشرطة الانخراط في حزب أو تنظيم ، اذ يجر هذا الأمر إلى الفساد في الجيش والقوات المسلحة الأخرى .

وإنني أقول لكم : ان من واجب القيادات العليا من الجيش أو الحرس أن يبعدوا الجيش والحرس وبقية القوات المسلحة عن التنظيمات الحزبية .

وإذا كان هناك أحد من أفراد الجيش منتمياً إلى حزب ما ، فعليهم أن يخيروه في البقاء والالتزام إما بالجيش واما بالحزب .

وهكذا فإن على القوات المسلحة ألا تنخرط في التنظيمات والجهات السياسية حتى يعم الانسجام صفوفها .

وإذا دخلتم في التنظيمات السياسية والحزبية فإنكم ستناقضون أنفسكم ، ويقوم بعضكم على بعض ، وتهدمون النظام ، وتضعفون الإسلام .

إن الواجب الشرعي على كل منكم أن تقفوا بعضاً مع بعض ،دون أن تدخلوا حزباً أو تنظيماً سياسياً فاسداً كان ، أم جيداً عليكم أن تكونوا مستقلين عن أية مجموعة سياسية ، وأن تكونوا من حزب الله تعالى .

على جميع الإيرانيين أن يعضد بعضهم بعضاً وإذا كانوا ضمن الأحزاب فعليهم أن ينسقوا مع بقية أفراد الشعب ، وعلى أفراد الشعب أن يعتبروهم أخوة لهم .

وعلى التنظيمات الإسلامية ألّا تتدخل في شؤون الجيش ، ولا يجوز أن تكون لها عناصر في الجيش ؛ كل ذلك لكي تكونوا أعضاء صالحين وجيشاً وحرساً صالحاً ومنسجماً ومقتدراً .

إن دخول السياسة في الجيش معناه هزيمة الجيش . يجب أن تعلموا هذا إذ لا يجوز ذلك شرعاً ؛ وأنا آمركم : إما أن تكونوا في الجيش ، أو تكونوا في الحزب . ولا خيار آخر لكم في أن تكونوا عسكريين وفي الوقت نفسه حزبيين ، أو أن تكونوا كبقية الناس الآخرين[١] .

---

(١) بيان الإمام الخميني ـ قدس سره ـ بمناسبة عدم دخول الجيش والقوى المسلحة في الأحزاب .

البحث العاشر

خصائص المقاتل الإسلامي

علمنا من الدروس الماضية أنّ المقاتل الإسلامي لا بد أن تكـون له مميـزات خاصة ، دون سائر القوات المسلحة في العالم ؛ فهو يجاهد في سبيل الله لكي يثبت ويقرر الشريعة الإلّهية على الأرض ، لذا، فاننا نتناول الآن بعض الصفات التي أشير إليها في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، لكي يكون نبـراساً لكـل من يريـد أن يجاهد في سبيل الله .

١ ـ الإيمان بالله

هو أهم فارق للمقاتلين الإسلاميين عن غيرهم ، ونعني به ، الاعتقاد بأن الله تبارك وتعالى خلق كـل الاشياء ، كمـا يدل عليـه قولـه تعالى :

﴿ ربنا الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قـدّر فهدى ﴾[2] .

---

(١) : سورة طه ٢٠/٥٠ .

(٢) : سورة الأعلى ٨٧/١-٣ .

وأنّ الله أرسل رسله وأنبياءه لإرشاد الناس والحكم بالعدل فيما بينهم . وهكذا تكون عملية الجهاد استمراراً لهذا الخط ولاستقراره .

فحينذاك ، فاذا جاهد المسلم تحت راية (لاإله إلا الله) ومع خالص النيـة . صادق القصد ادرك فلاحاً ونجاحاً ، فهو المجاهـد في سبيل الله ، حقـاً ونلحظ هذا المعنى من سيرة الرسول (ص) حين أمر جيشه بالتحرك إلى ساحة القتال :

فعن علي بن إبراهيم ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله (ع) قال : إنّ النبي (ص) كان إذا بعث أميراً له على سريّة أمره بتقوى الله عز وجلّ في خاصة نفسه ، ثم في أصحابه عامة ، ثم يقول : « أغز باسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله »[١] .

ويستفاد هذا المعنى أيضاً من التوجيهات القيمة لمولانا علي بن أبي طالب (ع) حين أرسل معقل بن قيس الرياحي إلى الشـام في ثلاثـة آلاف من الجنود . فقـال ـ (ع) ـ

«اتق الله الذِي لا بُدَ لَـك من لِقائِهِ . . . فَإذا وَقَفْتَ حَيْنَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أو حِينَ يَنْفَجِرُ الفجر فَسِرْ على بَرَكَةِ الله »[٢] .

٢ ـ « نشر العقيدة الإسلامية »

يستهدف المقاتل الإسلامي في جهاده : إيقاظ الناس من الغفلة ، وازالة كل ما يصد عن سبيل الله ، وتخليص المستضعفين ، وتثبيت الحكم الإسلامي ؛ وهذا مـا يحقق للمجاهد في سبيل الله . الانتصار والغلبة ، كما وقع لرسول الله (ص) في غزوة بدر ، قال الله العظيم .

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذِلَّةٌ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾[٣] .

---

(١) الفروع من الكافي ج ٥ ص ٢٩ ح ٨.
(٢) نهج البلاغة ، الرسالة رقم ١٧ .
(٣) آل عمران ١٢٣/٣ .

وقد لا يتحقق ذلك للمجاهد كما حدث لرسول الله (ص) في غزوة أُحد يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون** ﴾[١] .

٣ـ التفكير بالعاقبة

ينظر المجاهد في سبيل الله إلى الحياة الدنيا فيراها . مؤقتة حيث لا يخلد فيها أحد ، بل لا يراها بحد ذاتها ذات قدر وشأن عظيمين ، بل مقدمة للحياة الأبدية عند مليك مقتدر وهكذا تصبح الدنيا فإنها مزرعة لدار القرار ، الأمر الذي يدعو المجاهد إلى الاستبسال والشجاعة ، فلا خوف ولا وجل ، بل طاقة يبذلها في سبيل تحقيق واجب شرعي ، أمر بتحقيقه حيث أنّه تكليف شرعي له .

ويؤيد ذلك ما صدر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ (ع) ـ في أحرج الأوقات حينما دخل عبدالله بن عباس عليه ، عازم على الخروج لقتال أهل البصرة .

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنه :

دخلت على أمير المؤمنين (ع) بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ، فقال (ع) :

« والله لهي أحب إلي من امرتكم ، إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً . . . »[٢] .

هذا موقفه (ع) في شأن الحكومة عند سيطرته على دفة الحكم فينبغي على المجاهدين في سبيل الله عند قتال العدو أن يفكروا برضوان الله والحياة الأبدية ؛ ألم ينشد سيد الشهداء أبو الأحرار الحسين بن علي (ع) في ساحة كربلاء :

وإن كانت الأبدان للموت أنشئت فقتل امرىء بالسيف في الله افضل[٣]

كما يستفاد ذلك مما ورد في شأن نزول هذه الآية الشريفة ﴿ **ولا تحسبّن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً** ﴾ .

---

(١) التوبة ١١١/٩ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٣٣ .

(٣) المناقب لابن شهر اشوب ج ٤/ ٩٥ .

إذ جاء في الحديث الشريف : عن طلحة بن خراش ، قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : لمّا قتل عبدالله بن عمرو بن حزام ، يوم أُحُد لَقِيني رسول الله (ص) فقال : يا جابر ، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ وقال يحيى في حديثه : فقال : يا جابر ، مالي أراك مُنكسراً ؟ قال قلت : يا رسول الله ، استشهد أبي وترك عيالاً ودَيناً .

قال (ص) : أفلا أُبشّرُك بما لقي الله به أباك ؟

قال : بلى يا رسول الله ، قال :

ما كلّم الله أحداً قط إلّا من وراء حجاب ، وكلّم أباك كفاحاً ، فقال : يا عبدي ، تمنَّ عليّ أُعطِكَ ، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، فقال الرّب سبحانه : إنه سبق منّي أنّهم إليها لايرجعون ، قال : يا ربّ ، فَأَبْلِغ مَنْ ورائي ؛ قال : فأنزل الله تعالى :

﴿ ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون ﴾[1] .

يستنتج من هذا كلّه ، أن المقاتل الإسلامي لا بد أن يفكر في العاقبة ويعتقد الحياة الأبدية بعد الموت ، وإذ كان كذلك ، أصبح الموت عنده أحلى من العسل .

٤ ـ الإيمان بالإمدادات الغيبيّة .

للحرب حالات متفاوتة ، من تقدم وتقهقر، وكر وفر ، ربما تكون فيها حالة التقدم ، وربما تكون التقهقر ؛ وعند الانسحاب لا يحافظ على الجيش والمعدات سوى الروحيات والنفسانيات ، واطمئنان قلوب المقاتلين ، وإذا كان المقاتلون معتقدين بأن الله عزّ وجلّ ينصرهم ويمدّهم ، فإنهم يقاومون ويواصلون القتال ، ولا يرهبون العدو : عديداً وعدة . إن هذه الحالة تمنع العدو من التقدم ، ويقضي عليه اليأس ، وتفسح المجال لالتحاق فئة أخرى بالمقاتلين ، وهذه الحالة تنشأ من الإيمان بالإمدادات الغيبية الإلّهية حينما يقع المسلمون في عسر وحرج .

---

(١) آل عمران ٣/١٦٩ ، عن سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٨ ح ١٩٠ .

تستفاد هذه الميزة من الآيات الكريمة ، وسنذكرها في الدروس الآتية التي تتعلق بالإمدادات الغيبية ، ولكن نكتفي هنا بواحدة منها : قال عزّ وجلّ :

﴿ إذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم ، أنّي ممدُّكم بألفٍ من الملائكةِ مردِفين * وما جعَلهُ الله إلاّ بُشرى ولتطمئِنَّ به قلوُبكُم ، وما النّصرُ إلاّ من عندِ الله ، إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾[1] .

٥ ـ التحرر من أنواع الانتماء

وجب على المقاتل الإسلامي أن يبذل قصارى جهده تحت إمرة قائد الأمة الإسلامية حيث تبلورت أهداف الإسلام وإعلاء كلمة الحق به . مضافاً إلى ذلك : أن ذلك يكون سبباً لعزّة القائد وقوة شوكته ، كما عبّر عنه أمير المؤمنين ـ (ع) ـ حيث كتب إلى مالك الأشتر النخعي .

« فالجنود بإذن الله ، حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعزّ الدين ، وسبل الأمن » . . .[2] فلا يجوِّز الشارع أن ينتمي المقاتل الإسلامي إلى فئة خاصة أو حزب خاصّ ، لأن الجيش عندما ينتمي أفراده إلى جهة خاصة لينتهي الأمر إلى الصراع والتنازع بينهم ، وحينذاك لا بدّ أن تقرأ الفاتحة على الجيش وعلى قدرته ، وعلى الأهداف المرجوة منه ؛ وقد أشار إلى ذلك الإمام الخميني ـ قدس الله نفسه الزكية ـ حيث خاطب الجيش في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بما مر معنا آنفاً ! . . .

ويستفاد هذا المعنى من خطبة مولانا أمير المؤمنين ـ (ع) ـ حيث قال :

« اليمين والشمال مضلّة ، والطريق الوسطى هي الجادّة ، عليها باقي الكتب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنّة وإليها مصير العاقبة »[3] .

٦ ـ الإيمان بوجوب إطاعة القيادة

لا بد أن يكون المجاهد في سبيل الله مطيعاً للأوامر التي تصدر عن القيادة

(١) سورة الأنفال ٨/الأيتان ٩و١٠ .

(٢) نهج البلاغة الرسالة ٥٣ .

(٣) نهج البلاغة خطبة ١٦ .

الإسلامية ، فإن لم يفعل فالنتيجة الفشل الذريع في المخططات الحربية عند القتال ، وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إلى ذلك في رسالة إلى أمرائه في الجيش :

« ولي عليكم الطاعة وألّا تنكصوا عن دعوة ، ولا تفرّطوا في صلاح ، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق ؛ فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك ، لم يكن أحد أهون عليّ ممّن إعوَّج منكم، ثم أعظم له العقوبة ، ولا يجد عندي فيها رخصة ؛ فخذوا هذا من أمرائكم وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم »[١] .

ويدلُّ على وجوب الاطاعة عموماً قوله تعالى :

﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[٢] . وكذلك الأحاديث التي أُمر فيها بطاعة الفقيه العادل الجامع لشرائط النيابة العامة لبقية الله الأعظم ـ عجل الله فرجه ـ كما جاء في توقيعه (ع) ، لمحمد بن عثمان العمري رضي الله عنه :

« وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله عليهم »[٣] .

---

(١) نهج البلاغة ، الرسالة ٥ .
(٢) النساء : ٤/٥٩ .
(٣) بحار الأنوار ج ١٨١/٥٣ .

البحثُ الحادي عشر

تتمة خصائص المقاتل الإسلامي

٧ ـ الإخلاص

إن المجاهدين في سبيل الله عند مسيرهم إلى المعركة ، يرجون احدى الحسنيين : الانتصار والغلبة ، أو القتل في سبيل الله ، وإذا كان الأمر كذلك فليس لهم أن يفكروا بغير إعلاء كلمة الله دون الأهداف الدنيوية ، كاكتساب الغنائم ، أو إظهارالشجاعة، أو نيل الشُهرة ، والجدير بالذكر هنا ، ما نقله مولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) من قوله :

« إنّما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى ؛ فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله ، ومن غزا يريد عَرَضَ الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلاّ ما نوى »[1] .

على هذا الأساس لا بد أن يكون المجاهد مخلصاً لله فلا يشرك في عمله شيئاً ، وأن يكون مقاوماً شرساً في مقارعة الباطل ، استجابة لأمر الله تبارك وتعالى بالصبر في المعركة والصمود حيث قال :

﴿ يا أيّها الذينَ آمَنوا إذا لقِيتُمْ فِئَةً فاثبتُوا ، واذكُروا الله كَثيراً لَعَلْكم تُفْلحون ﴾[1].

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ج ٣٥٨/١ .

(٢) الأنفال : ٤٥/٨ .

٨ ـ رحماء مع المؤمنين

ينبغي على المقاتل الإسلامي أن يكون رحيماً ورؤوفاً باخوانه في المعركة وغيرها ، فهو بذلك يقتفي اثر النبي ـ (ص) ـ وأصحابه الكرام في مكارم الأخلاق ، خصوصاً في المعركة التي يكتسب فيها رضوان الله بالجهاد في سبيله والتضحية ، وقد ميّز الله تعالى نبيّه الأعظم ـ (ص) ـ بهذا الوصف الحميد حيث يقول :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾(١) . . .

فالمجاهد الإسلامي يعلم أنّ السبب الأساسي لتجمع الناس حول النبي (ص) ودخولهم في دين الله أفواجاً ، هو رأفة محمد (ص) بقومه ورحمته ، اياهم ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ، ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك ﴾(٢) . . .

هذا هو السر لإيثار المقاتلين الإسلاميين لهذا النهج في زمن النبي (ص) في غزوات كثيرة ، وهو يقتضي أن يكون المقاتل الإسلامي رؤوفاً بالمؤمنين ، وغليظاً على الكافرين والمشركين .

٩ ـ التضحية في سبيل القائد

كان القائد الإسلامي محوراً لجميع الشؤون الحكومية ، لاسيما الأمور التي ترتبط بالقتال ؛ وفي هذا المجال ، يشير إلى قول علي بن أبي طالب (ع) في تحريض الناس على الجهاد :

« إنَمّا أَنَا قُطْبُ الرَحىٰ تَدُورُ عَلَيَّ وأَنا بِمَكَاني ، فَإذا فارَقْتُهُ اسْتَحارَ مَدارُها واضْطَرَبَ ثِفالُهَا »(٣) .

---

(١) الفتح : ٤٨/٢٩ .
(٢) آل عمران : ٣/١٥٩ .
(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١١٩ .

بناء على هذا ، فان المقاتل الإسلامي يبادر لتنفيذ أوامر قائده ، والمحافظة على سلامة هذا القائد ، وافتدائه بنفسه اذا تتطلب الأمر ذلك ؛ كما فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعدة من الصحابة يوم أُحد حين اشتداد القتال ، إذ هجم جماعة من المشركين على رسول لله (ص) ، فأمرْ رسول الله (ص) بقوله : « احمل عليهم » ، فحمل علي بن أبي طالب (ع) عليهم ، وفرّقهم ؛ وقتل بعضهم ثم أبصر جماعة اخرى ، فقال له : « احمل عليهم » فقتل بعضهم وفرّقهم ؛ فقال جبرائيل : « يا رسول الله ، هذه المواساة[١].

فقال رسول الله (ص) : إنه منّي وأنا منه ، فقال جبرائيل : وأنا منكما .

قال أبو رافع : فسمعوا صوتاً : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي (ع)[٢].

نموذج آخر يوم الطفّ : لما حان وقت صلاة الظهر في يوم عاشوراء ، قال عمرو بن عبدالله الصائدي للحسين (ع) : « يا أبا عبدالله نفسي لك الفداء ، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله ، وأحب أن ألقي ربي وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها . فرفع الحسين (ع) رأسه ـ ثم قال : « ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلّين الذاكرين »[٣].

نعم ، هذا أول وقتها ، ثم قال : سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي ، وصلى الصحابة خلف الحسين صلاة الخوف ، بعد أن استقدم الحسين (ع) سعد بن عبدالله الحنفي إلى جانبه فاستهدفه الأعداء بالنبل يميناً وشمالاً وهو قائم بين يديه . حتى سقط رضوان الله عليه ، شهيداً ، دون سبط الرسول[٤].

وأمثال هؤلاء الفدائيين كثير ، سواء في أيام النبي (ص) ، او في زمن أمير المؤمنين (ع) وغيره . . .

---

(١) تحمل حادثة خطيرة .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٥٤/٢ . « شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، المجلد ١٤ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ » .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢٣٩/٦ ـ ٢٤٩ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٥/ ٤٣٩ ـ ٤٤١ . مقتل الحسين للمقرم / ٣٠٣ و٢٧٩ .

١٠ ـ النصر او الشهادة

المقاتل الإسلامي يسلك في ساحة القتال أقرب الطرق إلى الله ، مؤمناً بإحدى الحسنيين بالنصر أو الشهادة، حيث قال عزّ من قائل :

﴿ قلْ هل تربّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾[1] . .

وهكذا يكون النصر للمجاهدين ولجند الإسلام أمراً محققاً .

خطب مالك الأشتر النخعي في الجيش ـ فقال رضي الله عنه :

« فما يشكّ في قتال هؤلاء إلّاميت القلب ، فإنّما أنتم على إحدى الحسنيين ، إما الفتح وإماّ الشهادة » .

١١ ـ حفظ الأسرار

يحرص المجاهد الحقيقي على حفظ الأسرار العسكرية . احدى مقومات النصر ، فإذا عرف العدو عدد القوات العسكرية وعدّتها ، استفاد من ذلك كثيراً ، وهذا البحث يتعلق بالاستطلاع وبث العيون ، والرصد عنها ، ولكن من أجل الأهمية نقول : لا بد أن يعلم كل من المقاتلين الإسلاميين أن حفظ الأسرار العسكرية واجب ، وافشاءها حرام ، حتى ولو لم تكن ذات أهمية قصوى .

١٢ ـ صفات أخرى للمجاهد الإسلامي

إنّ المجاهد في سبيل الله يخوض المعركة بمعنويات مرتفعة في مستوى عال ، فهو يبيع نفسه لله ، الذي اشترى منه نفسه ؛ لأجل ذلك فإنه يتمتع بالكثير من السجايا الحسان ، والفضائل التي يتفرع منها خير كثير ، ولن نعددها فيطول بنا هذا البحث ونناى عن الغرض من هذا الكتاب ، لذلك ، فإننا نكتفي بما قال الله عزّ وجلّ في سورة التوبة معدداً صفات المجاهدين في سبيل الله . ومثنياً عليهم عظيم الثناء ، قال عز من قائل : **﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون**

---

(١) سورة التوبة ٩/٥٢ .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشّر المؤمنين ﴾[١] .

شرح موجز لهذه الصفات الآنفة الذكر في الآية الشريفة :

التائبون : أي الراجعون إلى طاعة الله والمنقطعون إليه ، النادمون على ما فعلوه من القبائح .

العابدون : الذين يعبدون الله وحده في السراء والضراء ، ويتذللون له بطاعته في أوامره ونواهيه .

الحامدون : الذين يحمدون الله على كل حال .

السائحون : هم الذين يسيحون في الأرض فيعتبرون بعجائب خلق الله .

الراكعون الساجدون : المؤدون للصلاة المفروضة ومن أركانها الركوع والسجود .

الآمرون بالمعروف : هم الذين يدعون الناس إلى الخير .

الناهون عن المنكر : هم الذين يمنعون الناس عن القبائح والمفاسد .

الحافظون لحدود الله : أي القائمون بطاعة الله بتأدية فرائض الله وأوامره واجتناب نواهيه »[١] .

لأن حدود الله تتناول جميع القوانين التي تتعلق بالمجتمع الإنساني .

تنبيه : إن الاوصاف التسعة . في الآية الشريفة يمكن ان تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

١ ـ الستة الأولى تتعلق بتربية النفس وتصفيتها لبلوغ قمة الكمال .

٢ ـ السابع والثامن منها يتعلقان بالأمور الاجتماعية التي لا بد أن يتدخّل فيها المؤمن المجاهد . كي يتوجه المجتمع الإنساني في سبيل الخير والصلاح والبر ، بعيداً عن الرذائل والفواحش ، وعن الفساد والطغيان .

---

(١) سورة التوبة : ١١٢/٩ .

(٢) مجمع البيان ، المجلد الثالث/ ٧٤/٦.

٣ ـ والتاسع منها يتعلق بمشاركـة جميع الأفـراد في المجتمع للمحـافظة على كيان الإسلام وصيانة حدوده .

البحث الثاني عشر

صفات القائد

لا شك بأن أمير الجيش هو أحد الأركان الأساسية في الحرب ، والأهم من ذلك علاقة الآمر بالجنود خصوصاً ، إذا كانت هذه العلاقة وثيقة العرى لأنّ لها دوراً جاداً في كيفية عمل المجاهدون في معركة القتال ، ومن ثم لو استثمر القائد علاقات المودة بينه وبين الجند فإن الأمر الذي سيؤدي إلى انتصارات كبيرة ، فعلى هذا الأساس لا بدّ أن يتمتع الآمر بصفات عالية ، الأمر الذي ينعكس على الجنود تأثيراً نفسياً مباشراً ؛ ونجد هذه الأوصاف في كلمات مولانا أمير المؤمنين (ع) حيث يحدّث بها أمراء جيشه ، أو في بعض كتبه إلى ولاة الأمصار .

ثم إن بعض هذه الصفات تختص بالقائد وحده ، بينما يتناول بعضها الآخر القائد والجند معاً . وها نحن نتناول تلك التي لها دور في عملية الجهاد.

١ ـ الايمان بالله .

وهو شرط عام وأساسي للمقاتلين الإسلاميين ، لاسيما في الامر الذي يقود الوحدات في ميادين الخطر لتحقيق أهداف معينة ، والإيمان بأنّ الله عزّ وجلّ خالق كل شيء، وقد أوجب الجهاد لإعلاء كلمته وعزة دينه ، وهكذا ، فالجهاد في سبيل الله لتحقيق ارادته عزّ وجلّ ، وتنفيذ مشيئته . فإن مولانا لما ولّى أمير المؤمنين (ع) مالك الأشتر النخعي على مصر ، عهد إليه وإلى أهل مصر بقوله :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم . . . أمّا بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروّع »(١) .

فإن قوله « عبداً من عباد الله » يُشير إلى أن الإيمان بالله هو أول صفات الآمر وصفته الرئيسية الأولى .

٢ ـ استيعاب الأمور والقدرة على التنفيذ

من الشرائط الضرورية للآمر : الوعي والكفاءة ، والقدرة على التنفيذ ، إذ لو لم يكن كذلك ، فلن يكون قادراً على تنفيذ واحدٍ من التخطيطات العسكرية ، سواء في حالة الدفاع أو الهجوم.

إن القرآن الكريم يصف طالوت تجاه جالوت بقوله عزّ وجلّ :

﴿ **إنّ الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطةً في العلم والجسم** ﴾(٢).

وهكذا ، فاليقظة والعلم والمقدرة الجسدية ، من أهم ما يتمتع بهما الآمر ، وقد صرح بهما مولانا علي بن أبي طالب (ع) :

« أيها الناس ، إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر الله »(٣) .

٣ ـ الشجاعة

لا بدّ أن يتصف القائد بصفات أساسية ، في طليعتها منها الجرأة والشجاعة ، لأنّ عملية الجهاد نفسها تحتاج إلى الجسارة وشدة القلب . فلو هجم العدو هجوماً سريعاً ، فعلى الأمير الشجاع أن يتدبّر الأمور ويتصدى للهجوم دون خوف أو وجل ، بل ربّما يهاجم العدو هجوماً مضاداً ، مضافاً إلى ذلك أن يخوض الحرب بكل

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٣٨ .
(٢) سورة البقرة : ٢/٢٤٧ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٢ .

طاقاته دون أن يفكر بالاستسلام أو التسليم أو المفاوضة السياسية ؛

قال أمير المؤمنين (ع) في شأن رسول الله عند اشتداد القتال :
« كنّا إذا احمّر البأس اتقينا برسول الله (ص) فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدو منه »(١) .

كما قال (ع) عن نفسه :
« لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّاً ، ولا تفرّقهم عنّي وحشة »(٢) .

وفي موضع آخر ، يقول ، (ع) :
« إنّي والله لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ، ما باليت ولا استوحشت وإنّي من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق »(٣).

٤ ـ الأمانة :

من الممكن أن يكون بين يدي أمير الجيش قوات كثيرة من الجنود يصلون إلى عشرات الألوف أو مئاتها ، تعداداً . بالاضافة إلى العدة الوافرة ؛ فلو استخدم هذه القوات والمعدات في غير ما أعدت له ، لكانت النتيجة ، بطبيعة الحال ، عكسية انها « الأمانة » .

اذن ، وقوله (ع) : « أنقاهم جيباً » يقصد به الأمانة ، كما ورد في شرح ابن الميثم : ناصح الجيب : كناية عن الأمين ، اشارة إلى أمر علي بن أبي طالب (ع) إلى مالك أن يولي أمر الجيش من جنوده أكثرهم أمانة وأسرعهم إلى العمل بأوامر الله ورسوله وامامه(١) .

وإذا كان كذلك ، فيمكن أن يأتمنه على القضايا السرية ، ففي كتمانها تتم

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٩ .
(٢) نهج البلاغة : الرسالة ٣٦ .
(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٦٢ .
(٤) نهج البلاغة : شرح ابن الميثم ج ١٦٠/٥ .

الاستفادة منها ويصل المسلمون بذلك إلى الغلبة والانتصار .

٥ ـ الكفاءة :

لا بّد أن يكون الآمر أكفأ الأفراد في الجيش لكي يتخذ الموقف الملائم كما تقتضيه طبيعة الحال ؛ كما وقف الإمام علي بن أبي طالب تجاه معاوية وأصحابه الموقف المشرف ، عندما أشار عليه أصحابه بقولهم له : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، فقال :

« لا ، خلوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون ، سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى ، فإن أجابوا وإلاّ ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله » .

قال نصر : فوالله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام ، وروايا‌هم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ، ما يؤذي إنسان إنساناً[١] .

لأجل ذلك يقول (ع) : لمالك عند وصف آمر الجيش : « أفضلهم حلماً » أي عقلاً ؛ ثم يوضح (ع) هذا الكلام بالجمل التالية ، فكل منها تحدد صفة مستقلة :

أ ـ« ممن يبطىء عن الغضب » لأن سريع الغضب ، يخرج عن طوره فلا يتبصر مواقع الهدى من مصالح الأمة ومفاسدها . وقال (ع) في موضع آخر :

« الغضب يفسد الألباب ويبعد عن الصواب »[٢] .

كما قال أيضاً محذراً من الغضب : « احذروا الغضب فإنه نار محرقة »[٣].

على هذا الأساس . فمن صفات الأمير التأني والحذر ، لا العجلة ولا سرعة الغضب فالأمور العسكرية تقتضي ذلك ، اذ أن الخطأ الأولي في الحرب خطأ قاتل ، سرعان ما يؤدي إلى انهيار الجيش كله .

ب ـ « ويستريح إلى العذر » أي : إن من الطبيعي إن يخطىء الجندي ، أو يتدخل في ما لا يعنيه ، لا خيانة ، بل غفلة ، أو جهلاً ، أو سوء تقدير. فالقائد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣/٣٣١ .
(٢) غرر الحكم ج ١/٣٥٧ .
(٣) غرر الحكم ج ٢/٢٧٣ .

الحكيم يقدر الأمر حق قدره ، ويستمع إلى العـذر المقبول ، أمـا لو تم ذلـك بقصد الخيانة مع العلم بها أو لهدف آخر ، فهو يؤاخذ الفاعل حسب القوانين الجزائية في الإسلام .

قال علي (ع) : « كن بَطِيء الغضب ، سريع الفيء ، محباً لقبول العذر »[1] .

ج ـ « **ويـرأف بـالضعفـاء** » : على الآمـر ان يكـون رؤوفـاً ورحيماً بـالمؤمنين وبجنوده ، وفي الوقت نفسه قوياً وقادراً يغضب تجاه الظالمين والمعتدين ، كما قال الله تعالى في شأن النبي (ص)

﴿ مُحَمدٌ رسولُ الله والذينَ معه أشدّاءُ على الكفَّارِ رُحَمَاءُ بينهم ﴾[2] .

د ـ « **ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف** : **أي** : الأمير الأكفأ يكون ثابتاً امام الصعوبات والأمور الشداد ، فلا يُهزم أمامهـا ولا ينسحب أبداً وهـو الذي يـأمر جنوده بالثبات والصلابة ، وعليه أن يتوجه ويلتفت إلى كلّ القضايا ؛ ولو كان متوانياً في الأمور ، سريع التأثر عند ظهور الخلافات ، فعليه أن لا يقبل تحمل المسؤوليـة أولاً ، كي لا يضيع على الآخرين حقوقهم قال علي (ع) :

« من أطاع التواني ضيع الحقوق »[3] .

وفي النهاية نقول : كما يجب توفّر صفـات الحميدة في الحـاكم الإسلامي في سبيـل إدارة الحكومة فينبغي توافرها في قائد الجيش . لأنّ إمرة الجيش هي جزء منها .

* * *

---

(١) غرر الحكم ج ٤/٦١٧ .

(٢) الفتح : ٤٨/٢٩ .

(٣) عرر الحكم ج ١/٣١٢ .

البحث الثالث عشر

واجبات القائد

إنّ واجبات آمر الجيش عظيمة وخطيرة ، فإذا عمل الآمر بتكاليفه أصبح ومن تحت قيادته أعزّة أقوياء مقاومين ، لا تهزهم العواصف المعادية من قبل الأعداء ، وهذا شيء لا يحتاج إلى البرهان .

أما مهمات القائد فكثيرة ، ولا يمكن أن نوضّح جميعها هنا ، إذ يأتي بعضها في الاستطلاع ، وبعضها في أسباب النصر ، وبعضها في مواضع أخرى ؛ ونذكر هنابعض التكاليف الرئيسية والضرورية للقائد ، والتي ليست موضع شكّ من أحد .

١ ـ المعرفة الدقيقة « بجيشه وجيش العدو »

الآمر المجرب يدرس عدد القوات المسلحة التي هي تحت إمرته ، لكي يعرفها كيفاً وكماً ، حيث يفوّض إلى كل فرد أو كل وحدة ما يناسب شأنه ، وحينذاك يستفاد من المعدات الحربية بصورة صحيحة ، لأن الحرب في هذه الأيام ذات تقنية عالية ، وكل أمر منها يحتاج إلى التعليم والتعلم خصوصاً في العمليات كالهجوم والكمين ، والعمليات ضد الأسلحة الكيمياوية وغيرها .

وعلى الآمر أن يدرس كل ما يتعلق بالعدو عدة وعدداً وكيفية تحركاته ، وكيفية الاستفادة من الفنون الحربية وغيرها ، أجل ، يمكن أن تحتاج معرفة بعضها إلى الاستطلاع وإرسال الجواسيس وغيره ، وسنبحث كّلاً منها في محله إن شاء الله .

لقد حدّد رسول الله (ص) عدّوه قريش ، اليهود ، الروم . . . ثم درس أسلوب التعامل معه ، وكذلك اليهود عندما ظهرت عدواتهم ونقضوا عهدهم وحملوا السلاح ضده ، وكذلك في مواضع أخرى كالروم ، فقد كان يرى في هؤلاء الأعداء خطورة كبيرة على مسيرة الثورة الإسلامية ، فاليهود يملكون العدة والعدد والنفوذ السياسي في المدينة المنورة ، لذا ، كان النبي (ص) يخطط لتأجيل العمليات العسكرية ضد العدو حتى تتاح له الفرصة للاستعداد الكافي لمواجهته ، كما عمل بهذه الصورة حيث واجه جيوش الروم دون التورط معهم في حرب حاسمة ، كما فعل مع الأعداء السابقين [١] وكان (ص) أيضاً : يدخل مع العدو في حروب محدودة ، تدريباً لجيشه واستزادة لقدراته العسكرية .

٢ ـ تعليم الجنود وتدريبهم

يحتاج القيام بالأعمال القتالية بأصنافها إلى تعليم وتدريب ، خصوصاً في هذا العصر الذي تكون الحرب فيه مسألة مبهمة غامضة في سيرها ونهايتها ، كما بالنسبة إلى أنواع الأسلحة وكيفية استخدامها ؛ من أجل ذلك وجب على القائد أن يعلم الجنود في بداية حياتهم العسكرية ، ولمدة معينة ، بعض الأمور العسكرية ومثل عبور الموانع واجتيازها ، والرماية وكيفية التعامل مع الأسلحة الخفيفة بالاضافة إلى الممام بالرموز في الحرب . (الشيفرة) .

وأمّا تعليم الفنون الحربية الخاصة وتنفيذها فيحتاج إلى سنة واحدة بل أكثر مثل الحروب النظامية وغير النظامية ، وكيفية الاستفادة من المدافع والدبابات وغيرها . مضافاً ، إلى ذلك إنّ الحروب البرية تختلف عن الحروب البحرية ، وكليهما يفترقان عن الحرب الجوية ومن ثم اهتم النبي (ص) بالأمور التي تتعلق بالحرب ، على سهولتها أيامذاك . فالسيف والترس والرمح والقوس والنبل ، عدة الحرب . كما والخيل والإبل وما شابه من وسائلها ، لأجل ذلك كان تدريبهم منحصراً في هذه

(١) المغازي للواقدي ١/١٧٦ ، وتاريخ الطبري ٢/٦ .
والإدارة العسكرية في حروب الرسول/١١٥ للدكتور محمد رضا هروتر . (بتصرف) .

الأدوات والوسائل ، وقد روي أنه (ص) قد اشترك في بعض السباقات وحث أصحابه عليها . وجعل للسابقين منهم جوائز : يؤيد ذلك ما ورد من الأحاديث الشريفة نذكر بعضها .

١ ـ عن عمران بن موسى ، عن الحسن بن طريف ، عن عبدالله بن المغيرة رفعه ، قال : قال رسول الله (ص) : في قول الله عزّ وجلّ . ﴿ وأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ ﴾ قال : الرَّمْي[١] .

٢ ـ محمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص ، عن أبي عبدالله (ع) قال : « لا سَبْقَ إلاّ في خُفٍ[٢] ، أو حافِرٍ[٣] ، أو نَصْلٍ[٤] .

٣ ـ محمد بن علي بن الحسين قال : قال الصادق (ع) : «إن المَلائِكَةَ لَتَنْفِرُ عِنْدَ الرِهانِ وَتِيقَةَ لِلْمُسارِعَةِ ، وَتَلْعَنُ صاحِبَهُ ، ما خلا الحافِرَ والخُفَ والرِّيشَ[٥] والنصل »[٦] .

٣ ـ حفظ الأسرار العسكرية « الكتمان »

على الآمر أن يكتم الأسرار العسكرية من قبيل الخريطة والخطط وعدد الجند، الأفراد والأسلحة ومستودعاتها، والأخبار المتعلقة بها، وعليه أن يوصي الجنود بالمحافظة على ما يقع تحت أيديهم من أسرار عسكرية وألاّ ينقلوها إلى الغير ـ مهما كانت بسيطة ـ لأنّ العدو يرسل الجواسيس ويبث العيون في البلاد بغية الاستخبار؛ فعلى هذا كانت الرسائل التي تصدر عن الإدارات والمعسكرات غير مكشوفة بل ممهورة بمهر خاص ، كما هو معتاد بقولنا : مكتوم ، أو سري ، أو سرّي جداً ، كما تراعي السرّيّة

(١) وسائل الشيعة ج ٦/٣٤٨ ح ٣.
(٢) الخف : كناية عن الابل .
(٣) الحافر : كناية عن الفرس والحمار .
(٤) النصل : حديدة السهم والرمح .
(٥) الريش : السهم .
(٦) وسائل الشيعة ج ٦/ ٣٤٧ ح ٦ .

في نقل الأخبار من مكان إلى مكان آخر ، وهذا الأمر أي كتمان الأسرار ، يرجع إلى زمن النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع) ، لاسيما في أمور الجيش بل ، إلى عهود ، قبلهما ، ساحقة .

كتب علي (ع) إلى أصحابه الذين كانوا يحرسون الثغور :

« ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرّاً إلا في الحرب »(١)

٤ ـ توجيه الهدف وتحريك العواطف

على الآمر أن يبيّن هدف الحرب لجنوده ـ فإذا اقترن جهاد الجند بالوعي والإيمان لخلق لديهم الشجاعة والمقاومة ، وأوصلهم إلى الانتصار ، ولكن إذا لم يطلّعوا على الهدف من الحرب ، لأصبحوا متراخين دون حافز .

وكان رسول الله (ص) يبين أهداف الجهاد لجيشه ولعموم الناس ، لاسيما عند تحريض الجيش على القتال ؛ وكانت تلفتهم هذه الجملة : « اغزوا باسم الله وبالله وفي سبيل الله »(٢).

وهكذا على الآمر الا يغفل عن تحريك العواطف ، كما فعل مولانا علي بن أبي طالب عند غزوة نعمان بن بشير صاحب معاوية فقال (ع) :

« أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ، وَلاَ حَمِيَّةٌ تُحْمِيكُمْ أقوُم فيكم مُستصرِخاً ، وأناديكم متَغَوِّثاً ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً !؟(٣) » .

وإذا كان التحريض والتهييج نحو الدين والحميّة فَإنّ أثره يبقى في المجاهدين حتى يحققوا الأهداف ، لأنهم يوقنون حقاً بأن جهادهم هو في سبيل الله .

قال علي (ع) في صفين : « أين المانعُ للذمار ، والغائرُ عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ ، العار وراءكم ، والجنة أمامكم »(٤).

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٥٠ .
(٢) فروع الكافي ج ٥/ ص ٢٩ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٧١ ..

٥ ـ تشجيع القوات

إن تحريض القوات الفعالة وتشويقها ينتهي بتفجير الطاقات فيها ، وخلق روح قتالية مندفعة بحماس جياش لا يهدأ حتى تحقيق الأهداف كاملة . وإذا كان التشجيع بأمور جزئية أو مادية صرفة ، فإن أثره يزول بسرعة ؛ والنبي (ص) بكونه أمير جيش للإسلام كان يحث القوات المسلحة في غزوات كثيرة كما فعل في غزوة أُحد ؛ ويرغبها في الجهاد فقد أعطى عليّاً (ع) سيفه المشهور بـ «ذي الفقار» , بعدما قال جبرئيل في شأن علي (ع) « إن هذه هي المواساة ، وسُمع ذلك اليوم مراراً هذا الصوت بين الأرض والسماء ».

« لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلاّ علي »[1] .

كما أعطى أبا دجانة سيفاً آخر ، فهو لشجاعته وشدته على الأعداء ، فكان يزهو به ، ويمشي به البختري بين الصفين . ولما رأى رسول الله (ص) ذلك . قال : « إنها لمشية يبغضها الله إلاّ في هذا الموطن »[2].

كما كتب أمير المؤمنين في عهده إلى مالك الأشتر النخعي حول تشجيع القوات المسلحة بما أنّه تكليف للآمر : « وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّناء عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذوو البَلاءِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِكرِ لِحُسْن أفعالهم تهزّ الشجاع ، وتحرضّ النّاكل ، إن شاء الله »[3] .

يعلم من هذه الشواهد أن تشجيع القوات المسلحة من التكاليف الضرورية للآمر ، ويقابل ذلك ، تأنيب المتخلفين ، وتقريع الناكلين عن الحرب وعمّا به يؤمرون ! . .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٥١/١٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٧١/٣ .
(٣) نهج البلاغة الرسالة ٥٣ .

البحث الرابع عشر

تتمة واجبات القائد

٦ ـ التنسيق بين الوحدات

على الآمر أن يحدد مهمات الوحدات حسب حالها ، وفقاً للمهمة وطبيعة المعركة والأرض ، التي ستجري عليها ، وطبيعة المقاتلين ؛ ثم عليه أن ينسق بين المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة ، قبل البدء بالعمليات العسكرية وإذا ما تمّ ذلك تصبح القيادة ، والسيطرة على القوات المسلحة سهلة ، ويحقق الآمر أهدافه المحددة سريعاً .

فقد نظم رسول الله (ص) جيش الإسلام عند فتح مكة ، فقسّم القوات حسب الحاجة ووضع لها التخطيط المناسب ، ونظم المهاجرين في ثلاث كتائب ، تضم كلّ منها ثلاثمئة مقاتل ؛ والأوس في ستّ كتائب ، في كل منها ثلاث مئة وخمسين مقاتلاً . وهكذا نظم سائر الفئات والوحدات[1] ، وقد راعى رسول الله (ص) هذا الأمر في سائر الغزوات ، كغزوة الأحزاب وأُحد وحنين وغيرها .

٧ ـ تخطيط المواضع

على الآمر أن يخطط المواضع قبل القتال ، كتحديد الحصون وتحديد كيفية

---

(١) السيرة لابن هشام ٦٩/٣ وما بعدها ، والطبري ٥٠٧/٢ ، والإدارة العسكرية/ ١٢٧ .

استبدال القوى عند الحاجة ، أو تخطيط الانسحاب التكتيكي ، وإيجاد الموانع في المواضع التي يمكن أن ينفذ العدو منها .

ولأهمية هذا التكليف ربما يطبق الآمر خطة حربية في أماكن مختلفة عدة مرات ، كي يكون مشرفاً على العدو وقواته ومعداته ، فيكون متأهباً لموقفي الهجوم أو الدفاع .

لقد حضر رسول الله (ص) وأصحابه الخندق قبل غزوة الأحزاب من الجهتين الشمالية والغربية للمدينة ، وذلك لمنع الأحزاب من الهجوم والوصول إليها ، فقد أمر أصحابه بحفر الخندق على طول جبهة القتال في أرضٍ ملائمة ؛ واستخدموا في الحضر مجارف من حديد [1] ؛ كما هيّأوا المواد الغذائيّة لكي يقاوموا عند هجوم الأحزاب ، ووفق هذه التخطيطات استطاع النبي وأصحابه أن يقاوموا الأحزاب مدة طويلة ، ثم أحرزوا بعد ذلك نصراً عظيماً .

وهكذا كان النبي - (ص) - يخطط للدفاع او الهجوم في كثير من غزواته ، مثل غزوة أحد ، وبني لحيان والحديبية وغيرها[2] .

٨ - رفع المعنويات

على أمير الجيش أن يهتم بمعنويات جيشه في كل الأحوال ، إذ لو تفشّت بينهم حالة الغرور أو حالة اليأس لما يبلغهم عن العدو ، لا يلتفتون عندئذ إلى نقاط ضعفهم ، ولا يستفيدون من طاقاتهم ، وتشيع في نفوسهم أهداف وهمية لا قيمة لها . فانهم يهجمون مع الغرور مما يلحق بهم الهزيمة ، ولا يستطيعون غلبة ولا انتصاراً .

في مثل هذه الحالات على الآمر أن يذّكرهم بالأهداف العالية للجهاد في سبيل الله ، وأن يحذّرهم من الغرور والكبر واليأس ، ويحضهم على الجهاد والقتال ، ويذكرهم بما ينتظرهم من انتصارات .

---

(١) السيرة لأبن هشام ج ٢٣١/٣ ، الواقدي ٤٤٥/٢ .
(٢) السيرة لابن هشام ج ٢٩٢/٣ و٣٢١ .

هنا نأتي بمقتطفات من كلام الإمام القائد نائب الحجة الخميني العظيم ـ قدس سره ـ الذي ألقاه في مرحلة حساسة عند انهزام مؤقت ، لأجل رفع الروح المعنوية في صفوف المقاتلين ؛ فقد قال : قدس الله سره :

« إن الحرب كرّ وفَر ، وإنني أقول للقوات المقاومة على الحدود ، التي تضحي بأنفسها ، من القبائل أو الناس العاديين غير العسكرين ، أو العسكريين والقوى المسلحة الأخرى مثل قوات الحرس والشرطة ، أقول وأبشّر كل هؤلاء بأنّ إيران من ورائكم ظهرياً ، لا تلتفتوا إلى الأقاويل التي قد تقال أحياناً ، وربما تكون مغرضة .

إن على القوات المضحية الآن على الحدود أن تتكل على الله تبارك وتعالى ، وأن يكون في علمها بأنه ليس هناك في جميع أنحاء العالم جيش يتمتع بكل هذا التأييد الشعبي العظيم[1] .

وبعد عمليات « الفجر » المظفرة ، على أعتاب السنة الخامسة للثورة الإسلامية المباركة في إيران ، قال أعلى الله شأنه :

« انني أكرر هذا الموضوع الذي طالما قلته وكررته ، بأنّ على الشعب المجاهد العزيز ، والمقاتلين المجاهدين في سبيل الله ، منهم خصوصاً ، أن ينتبهوا بأن غرور الانتصار آفة يوجدها الشيطان الباطني في عباد الله لكي يحرفهم عن طريق الحق ، فيضعف بالتالي الجهود التي يبذلونها في سبيله تعالى .

وإذا ظهرت هذه الحالة الشيطانية ـ لا سمح الله ـ في الجبهات ، فإن ذلك سيؤدي إلى إيقاف الانتصارات ، وربما تنتهي مع هذا الفكر الشيطاني في النهاية إلى الهزيمة .

وعندما تجتذب هذه الآفة الضمائر ، حيث يغفل الإنسان عن نفسه وعن ربه ، ويتصور بأن الانتصارات والاقتدارات من صنع نفسه ، وينسى أن السبب الأساسي هو الله تعالى الممسك بزمام الأمور، وأن كلّ ما هو كمال واقتدار وجمال ، من عنده تعالى[2] . . .

---

(١) جريدة الجمهورية الإسلامية العدد ٤٧٠ ـ ٩/٢٧ / ١٣٥٩هـ . ش .

(٢) جريدة الجمهورية الإسلامية : العدد/١٠٧٥ ـ ١١/٢٢ / ١٣٦١ هـ . ش.

٩ ـ المشاورة والأخذ بالآراء

على أمير الجيش أن يتشاور مع المجربين والموثوقين والمؤتمنين والمقربين والمحبين للقائد الإسلامي والحكومة الإسلامية في ما يتعلق بأمور الحرب ، وألا يقطع رأياً دونهم . لكي يستفيد من آرائهم ونظرياتهم ، ويصل إلى الحق والصواب .

قال مولانا علي بن أبي طالب (ع) : « من استبد برأيه هلك »(١) .

وقال (ع) : « من شاور ذوي الألباب دُلّ على الصواب »(٢) .

كما قال (ع) في موضع آخر : « لا مظاهرة أوثق من المشاورة »(٣) .

جاء في تفسير هذه الآية الشريفة ﴿ وشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾(٤) : المقصود بالأمر هو الحرب ، لذا جرت عادة النبي (ص) على مشاورة أصحابه ، والأخذ بآرائهم في إعلان الحرب ، وقتال العدو ، وتمركز القوات ، كما حدث في غزوة بدر ، والبقاء في المدينة أو الخروج منها ، لمواجهة قريش في غزوة أحد ، وحفر الخندق في غزوة الأحزاب ، ومصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة ، وهكذا في السلام أو القتال في غزوة الحديبية(٥) .

أجل ، لأعضاء الشورى دور خاص في اتخاذ القرارات الخطيرة ، فإن كانوا صلحاء يوصلون القائد إلى الحق والصواب ، وإن كانوا غير ذلك يفسدون الأمور ، ومن أجل ذلك قال الصادق (ع) : « شاوِر في أُمورِكَ مٰا يَقْتَضي الدّينُ مَنْ فيهِ خَمْسُ خِصٰالٍ : عقلٌ ، وعِلْمٌ ، وَتَجْرِبةٌ ، ونُصحٌ ، وَتَقْوى »(٦) .

وتحذّر الأحاديث من مشاورة الصديق الجاهل ، كما قال علي (ع) :

« مُشٰاوِرَةُ الجٰاهِلِ المُشْفِقِ خَطَرٌ »(٧) .

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ١٦١ .

(٢) الحياة ج ١/ ١٦٥ .

(٣) غرر الحكم ج ٦/ ٣٨٩ .

(٤) آل عمران : ٣/١٥٩ ـ المغازي للواقدي ج ١/ ٣٢٤ .

(٥) المغازي للواقدي ج ١ /٤٤٥ ـ ٥٣ (٢/ ٥٨٠) .

(٦) بحار الأنوار ج ٧٥ / ١٠٣ .

(٧) غرر الحكم ج ٤/ ١٤٦ .

١٠ ـ مواساة الأفراد

كما قلنا سابقاً : إنّ وجود العلاقة الوثيقة بين الآمر وجيشه من الضروريات ، وهي تزداد رسوخاً إذا واسى « الآمر أفراد الجيش شخصياً كأن يساعدهم بالمال ، أو على الزواج ، أو السكنى ، أو غيرها ، بحيث يفكّر المأمورون حينئذ يكون همّ المجاهدين شيئاً واحداً وهو قتال العدو والوصول إلى الانتصار . وقد كفاهم الآمر قضاء أمورهم التي تشغل بالهم .

كتب مولانا علي بن أبي طالب (ع) لمالك الأشتر النخعي ، كي يختار أمير الجيش .

«وليكن آثر[١] رؤوس جندك عندك من واساهم[٢] في معونته، وأفضل عليهم مِن جِدَتِه[٣] ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم[٤] ، حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ ، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم[٥] على ولاة الأمور ، وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسَحْ في آمالهم »[٦].

هذه عدة من وظائف الآمر في الجيش ذكرناها هنا ، وسيلي بعضها الآخر في أسباب الانتصار إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) أي : أفضل وأعلى منزلة .
(٢) أي : ساعدهم .
(٣) أي الغنى .
(٤) من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد خلوة من الرجال .
(٥) حفظهم وصيانتهم .
(٦) نهج البلاغة الرسالة ٥٣ .

البحث الخامس عشر

التعبئة العامة

إن نار الحرب إذا استعرت ، تلتهم كل ما يعترضها ، لاسيما إذا كان العدو وحشياً لا يتقيد بآداب الحرب وأصولها الإنسانية ، مضافاً إلى ذلك أن هدف العدو في الحرب الغلبة والانتصار ، مهما كانت الوسيلة لتحقيق ذلك ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يوقفه ولا يمنعه إلّا شيء واحد ، وهو قيام الناس جميعاً من الرجال والنساء ، بكل طاقاتهم وما تملك أيديهم من الأموال والأسلحة للمشاركة في الجهاد ، وهذا يسمى بالتعبئة العامة .

أمّا إذا اكتفي في الحرب بكوادر الجيش من الضباط والرتباء ومن تحت إمرتهم ، فلا يمكن الوصول إلى الغلبة والنصر ، وتستمر الحرب حتى تنتهي إلى المفاوضات السياسية، أو الاستسلام أو الهزيمة .

ولذا يجب على الحكومة الإسلامية تعليم الناس وتدريبهم على الشؤون العسكرية الأولية أينما كانوا يعملون : في المعمل أو المصنع أو السوق ، أو في البناء أو الزراعة ، وغير ذلك .

وجوب التدريب العسكري للمواطنين

لقد خاطب القرآن المجيد جميع المؤمنين وأمرهم بالجهاد .

﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير

لكم إن كنتم تعلمون ﴾[١] .

الخفاف والثقال : مفردهما خفيف وثقيل ، والثقيل بقرينة المقاوم كناية عن وجود الموانع الشاغلة الصارفة للإنسان عن الخروج إلى الجهاد .

أمر الله تبارك وتعالى ، بالنفر خفافاً وثقالاً ، أي أوجب عليهم الجهاد ، فلا عذر للتباطؤ أو التخلف .

وفي آية اخرى : هدد الله المسلمين بالعذاب في الدنيا والآخرة ان تركوا الجهاد ، اذ قال عزّ وجلّ : **﴿ إلّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً ، والله على كل شيء قدير ﴾**[٢] .

اجل ! . . . على المسلمين أن يتعلموا الرمي والسباحة ، ويُعلّموهما بالتالي ، أبناءهم ، لأهميتها ونذكر هنا حديثاً ؛ بالاضافة إلى ما سبق وذكرناه من أحاديث ، آنفاً :

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب (ع) قال : قَالَ رَسُولُ الله (ص) : « عَلِّمُوا أَبْنَاءَكُمْ الرَّمْيَ وَالسِّبَاحَةَ »[٣] .

ومن ثم ، لو عمل المسلمون بهذه الأوامر ، وتعلموا الفنون الحربية فكانوا مهيّأين للقتال ، فصاروا جنوداً للإسلام حقاً ، ولن يتمكن أيّ جيش في العالم أن يصمد تجاه القوات المسلحة الإسلامية ؛ مضافاً إلى ذلك أن تكاليف الحرب باهظة ، واعباءها جسيمة . فإذا اسهم كافة المسلمين فيها بأموالهم وأنفسهم وما لديهم من طاقاتهم ، لتوزع العبء عليهم جميعاً ، وسهل احتماله ، مهما طالت الحرب .

كان النبي (ص) يدعو جميع المسلمين عند جهاد العدو ، ويطلب منهم أن يشاركوا بأموالهم وأنفسهم ، وأجاب المسلمون كلهم نداء رسول الله ، وشاركوا في

(١) سورة التوبة : ٩/ ٤١ ، تفسير الميزان ج ١٠/ ٢٧٩ .
(٢) التوبة : ٩/ ٣٩ ، تفسير الميزان ج ١٠/ ٢٧٩ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢/ ٥١٦ .

الجهاد والقتال فحققوا انتصارات كبيرة ، ثم إنّهم بعد مدة قصيرة رفعوا راية الإسلام في كثير من البلاد ، حتى صار المسلمون أيامذاك أعظم قوة في العالم ، كما صَرَّحَ به التاريخ في غزوة بدر وتبوك .

مشاركة الجميع في الغزوات

نقل في الكامل في التاريخ لابن الأثير :

« فلما سمع بهم رسول الله (ص) ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها[١] ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك لأنهم لن يظنوا أن رسول الله (ص) يلقي حرباً »[٢] .

وكذلك نقل في كتاب « المغازي للواقدي » ما هو نصه :

« وحضّ رسول الله (ص) المسلمين على القتال والجهاد ، ورغّبهم فيه ، وأمرهم بالصدقة وحمل صدقات كثيرة . . . بعض الأصحاب أتى بنصف ما لهم ، وبعضهم أتى بثلث [ماله]، وحمل عباس بن عبد المطلب إلى رسول الله (ص) مالاً ، وهكذا حمل سعد بن عبادة مالاً ، وتصدق عاصم بن عدّي بتسعين وسقاً تمراً . . . حتى كفى ذلك الجيش مؤونتهم »[٣] .

يذكر التاريخ أن المسلمين في أيام النبي (ص) كانوا يشاركون في الجهاد ، فيجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، وأنفق بعضهم الأشياء اليسيرة التي لا يمتلكون سواها ، وهذا هو معنى « التعبئة العامة عند الحرب » .

ونستشهد هنا بمقتطفات من كلام قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني حول « التعبئة العامة » وتفسير هذه الآية الشريفة ﴿ **وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ . بقوله ؛ قدس الله سره :

---

(١) ان تصلوا إلى غنائم زيادة عن حصتكم .
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ـ غزوة بدر .
(٣) المغازي للواقدي ج ٣ ـ غزوة تبوك .

« باسمه تعالى »

« إن هذه الآية مع ألطف وأقصر بيان ، احتوت على عدد من الأحكام الأساسية التي هي جميعاً تتفق مع مصلحة البلاد وصلاحها .

فهي تقول :

عليكم أن تقدموا وتبذلوا كل ما تستطيعونه في هذا السبيل ، فالعمال يستطيعون في أوقات فراغهم أن يجتمعوا للتزود من التعليمات العسكرية ـ كل في مدينته ـ في مؤسسة مناسبة ، حيث يقومون بنشاط معنوي ورياضة روحية ، يساعدانهم على تنمية قواهم المادية بصورة اختيارية لتمضية أوقات الفراغ .

وإن الإسلام الذي حرّم وبشدة كل الألعاب التي تشمل الربح والخسارة ، ولكنه ، ومن أجل تقدم وتطور هذا الهدف ، أجاز الربح والخسارة في سباق الخيل والرماية ، وهما من التدريبات العسكرية الهامة ، وأعطى الاختيار الشرعي للربح والخسارة ، حيث قال رسول الله (ص) : « كُل لَهْوِ المُؤْمِنينَ بَاطِلٌ إلاّ في ثَلاثٍ : فِي تَأديبِهِ الفَرَسِ ، وَرَمْيِهِ عَنْ قَوْسِهِ[١] و . . . »[٢] .

وفي مكان آخر ، يتفضل الإمام قائلاً :

« على هؤلاء المليون شاب الذين باستطاعتهم القيام بعمل ما ، أن يهيئوا أنفسهم .

عليهم أن ينتبهوا إلى ذلك اليوم الذي يهاجمهم فيه العدو ، فيجب تهيئة المعدات والتجهيزات كي يرهبوا به عدوهم ، كما يجب تهيئة القوات الشعبية والقوات العسكرية ، وقوات التموين والميرة ، والقوات المتطوعة كذلك يجب أن تتعبأ وبشكل مكثف القوات المؤمنة » .

وتفضل الإمام القائد بالبيان القيّم التالي بمناسبة أسبوع قوات التعبئة ، فخاطب الأمة الإسلامية وجيش العشرين مليوناً قائلاً :

«وانني آمل من كل ما تمّ القيام به الأشراف من الرجال والنساء، من تأدية ما كلفوا به من مهمات ، أن تنجح بتأييد من الله تبارك وتعالى قوات التعبئة في جميع المجالات في التدريب العسكري والأيديولوجي والأخلاقي والثقافي ، وأن ينهوا

(١) وسائل الشيعة ح ١١/ ١٧٠/ ب ٥٨/ ح٣ .

(٢) كشف الأسرار/ ٢٤٣ .

الدورات التعلمية والتمرينات العملية والعسكرية والصاعقة والغذائية بصورة جيدة ولائقة بشعب مسلم ناهض .

ابذلوا جهودكم حتى تكونوا أكثر فأكثر قوةَ ، في العلم والعمل وبالاتكال على الله تعالى تجهزوا بالسلاح والصلاح ، إذ إن الله العظيم معكم ، لأن اليد المقتدرة التي هزمت القوى الشيطانية ، تحمي وتساند المجتمع الإلّهي »[1] .

وقال سماحة آية الله الشيخ المنتظري ـ حفظه الله ـ في تفسير الآية الكريمة : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباطَ الخيل . . .** ﴾ .

الآية تتضمن نكاتٍ ينبغي الإشارة إليها ، فلنذكر بعضها :

١ ـ الواجب هو إعداد القوة بمفهومها الوسيع ، وهي كل ما يتقوى به على حفظ النظام والدفاع عنه من أنواع السلاح وإنشاء الجامعات ، والمعاهد الحربية ، ومصانع الطيارات والهليوكوبترات العسكرية ، وتربية الرجال المدربين والإخصائيين في الفنون العسكرية ونحو ذلك ، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والزمان والبلاد .

وقد كانت الخيل أقوى المراكب وأسرعها في تلك الأعصار ، وكان من أهم القوى حينئذ مرابطة الفرسان في ثغور البلاد ، وفي كل عصر يكون حفظ الثغور في أعلى مراتب الأهمية .

٢ ـ المخاطب في الآية هو الأمة لا النبي (ص) أو إمام المسلمين فقط ، فتشعر الآية بأنّ المسؤول في هذه المهمة كل فرد من آحاد المسلمين أن يقوم بذلك قدر استطاعته ، فيتدرّب في بعض ما يتعلق بالحرب وينفق في سبيله ، وإن كان التصدي لبعض شؤونها المهمة وتنظيم برامجها من وظائف الحكومة بما أنها ممثلة جميع الأمة ، ولها أن تفرض التجنيد الإجباري والتدريب العسكري إذا رأته صلاحاً للإسلام والمسلمين .

٣ ـ إنّ إعداد القوة ليس لإشعال نار الحرب ، وليس التكليف منحصراً في مواجهة العدو عند الهجوم ، بل الهدف منه إخافة العدو الموجود أو المفروض المحتمل ، لكي يحصل الأمن في البلاد ، وتطمئن النفوس في عقر دارها ، ويطلق على هذا : السلم المسّلح[2].

(١) منتخبات من رسالة الإمام الخميني ـ ره ـ بمناسبة أسبوع التعبئة عام/ ١٣٥٨ هـ ش .

(٢) « دراسات في ولاية الفقيه » ج ٧٥٦/٢ .

البحث السادس عشر

المصادر المالية في فريضة الجهاد « تكاليف الجهاد والمجاهدين »

إن العمل الجهادي بنوعيه : الابتدائي والدفاعي ، يحتاج إلى مبالغ طائلة وعظيمة ، على القيادة واجب توفير المصادر لتغطيتها لذلك ، كي تحقق النصر على الأعداء ، من خلال تحقيق مستلزمات المقاتلين ، لجهة توفير السلاح لهم ، واستقصاء المعلومات عن العدو ، ومداواة جرحاهم ، ودفع رواتبهم ودفع الحقوق لأسر الشهداء والأسرى ، وتأمين المال للاستطلاع والاستخبار للصالح الوطني العام .

فكل هذه التكاليف تحتاج إلى مخزن كبير معين لا ينضب تعتمد عليه الدولة في مشاريعها الجهادية من أجل اعلاء كلمة الحق عالياً ، وتحقيق السعادة لأبناء البشرية جمعاء ، وهنا لا بدّ للإنسان من أن يتساءل : كيف للدولة أن تحقق ذلك ؟

وللجواب عن هذا السؤال يجدر الالتفات إلى هذه الأمور الثلاثة :

الأول ـ الجهاد : هو تكليف إلّهي عام يشمل المسلمين كافة ، بل ربما يشمل الناس أجمع ، مسلمين وغير مسلمين ، كما يبدو من الآيات الشريفة مثل :

﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله ، ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة : ٤١/٩ .

﴿ ولَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدتِ الأَرْضُ ﴾[١].

ومن ثم رأى الفقهاء، ـ رضوان الله عليهم ـ أنّ الجهاد واجب عيني ، ما لم يشارك فيه من به الكفاية لإعلاء كلمة الحق ، أو للدفاع عن المستضعفين والمحرومين ؛ فينبغي على المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم قدر الاستطاعة بل ، فوقها ، وقد جاء في تفسير الميزان في ذيل هذه الآية :

﴿ وأنفقوا في سبيلِ الله ، ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[٢].

« إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمر المؤمنين بإنفاق المال للقتال في سبيل الله .

وقيّد الإنفاق ههنا بكونه في سبيل الله ، الباء في قوله تعالى : بأيديكم إلى . . . زائدة للتأكيد ، وفيه وجوه أخرى ؛ ثم قال العلامة الطباطبائي :

أريد في الآية النهى عن كل ما يوجب الهلاك من إفراط وتفريط ، كما أن البخل والإمساك عن إنفاق المال عند القتال يوجب انهدام القوة وذهاب القدرة ؛ ثم ختم ـ سبحانه وتعالى ـ الكلام بالإحسان فقال : ﴿ وأحسنوا إن الله يُحبّ المحسنين ﴾ .

وليس المراد بالإحسان الكف عن القتال أو الرأفة بقتل أعداء الدين ، بل الإحسان هو الإتيان بالإنفاق على وجه حسن بالقتال في مورد الجهاد »[٣].

فالإحسان هو الإنفاق في سبيل الجهاد أكثر مما هو في غيره .

إضافة إلى ما ذكر يتعاظم فضل الإنفاق في الجهاد على غيره في الآيات التالية :

أ ـ ﴿ وما لكم ألاّ تُنفِقُوا في سَبيلِ الله ولله ميرَاثُ السموات والأرضِ ، لاَ يَسْتَوي مِنكمْ مَنْ أَنْفقَ من قبلِ الفتحِ وَقَاتلَ ، أُولئِكَ أعظَمُ دَرَجَةً من الذين أنفقوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلوا ، وكُلًّا وَعَدَ الله الحُسْنَى ، والله بما تَعْمَلون خبير ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة : ٢/٢٥١ .

(٢) سورة البقرة : ٢/١٩٥ .

(٣) تفسير الميزان ج ٢/ ص ٦٤ .

(٤) سورة الحديد : ٥٧/١٠ .

ب ـ ﴿ مَثَلُ الذَّين يُنفِقونَ أمْوَالَهُمْ في سبيلِ الله كَمَثَلِ حَبّةٍ أنبتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كلِّ سُنْبُلَةٍ مئة حبَّة والله يضاعِفُ لِمَنْ يشاءُ والله واسع عليم ﴾ (١) .

ج ـ ﴿ والَّذين يكنزونَ الذَّهَبَ والفِضَّة ولا يُنْفِقونها في سبيل الله فبشّرْهم بعذابٍ أليم ﴾(٢) .

ولا شك أن الجهاد هو أبين المصاديق لسبيل الله في الآيات الكريمة ، كما سيأتي بيانه في قول المعصوم ـ (ع) ـ .

د ـ ﴿ وأعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُم من قوةٍ ومِنْ رِباطِ الخَيلِ . . . وما تُنفِقُوا من شيءٍ في سبيلِ الله يُوَفَّ إليكم وأنتُمْ لا تُظلمون ﴾(٣) .

الثاني : من الوجوه التي تُصرف فيها الزكاة هو الجهاد ، كما أفتى به الشيعة والسنة ، حيث فسروا كلمة « في سبيل الله » في الآية التالية .

﴿ إنَّما الصَّدَقَاتُ للفُقَراء والمساكِينَ والعامِلينَ عَلَيْهَا والمؤلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفي الرِّقَابِ والغارِمينَ وفي سبيلِ الله وابنِ السَّبيلِ فريضةً من الله ، والله عليمٌ حكيم ﴾(٤) .

قال الحنفية في بيان « سبيل الله » : أراد بذلك أبو يوسف : منقطع الغزاة ، لأنه المفهوم عند إطلاق هذه الكلمة ، والمراد بمنقطع الغزاة : الذين عجزوا عن اللحاق بجيش الإسلام لفقرهم بهلاك النفقة أو الدابة أو غيرها .

قال المالكية : نقل القاضي ابن العربي في أحكام القرآن عند تفسير «وفي سبيل الله » عن مالك قال : « سبل الله كثيرة ، ولكني لا أعلم خلافاً في أن المراد بسبيل الله ـ ههنا الغزو من جملة ـ سبيل الله .

وعن محمد بن الحكم قال : يعطى من الصدقة الكراع والسلاح وما يحتاج إليه من آلات الحرب وكفّ العدو عن الحوزة ، لأنه كله في سبيل الغزو ومنفعته .

---

(١) سورة البقرة : ٢/٢٦١ .
(٢) سورة التوبة : ٩/٣٤ .
(٣) سورة الأنفال : ٨/٦٠ .
(٤) سورة التوبة : ٩/٦٠ .

وقد أعطى النبي ـ (ص) ـ من الصدقة مائة ناقة في نازلة سهل بن أبي حثمه ، إطفاءً للثائرة .

وفي مذهب الشافعية : إن سبيل الله كما في المنهاج للنووي وشرحه لابن حجر الهيثمي : هم الغزاة المتطوعون الذين لا يتقاضون راتباً من الحكومة .

ونص الشافعي في الأمّ : ويعطى من سهم في سبيل الله ، من غزا من جيران فقيراً كان أم غنيّاً .

ومذهب الحنابلة كمذهب الشافعية : « إن المراد بسبيل الله هو الغزاة »[1] .

ونقل أيضاً في الفقه على المذاهب الأربعة ما هو متفق عليه بين المسلمين حيث جاء فيه :

« وفي سبيل الله : هو الغازي إن لم يكن هناك ديوان ينفق منه عليه ، ويعطى ما يحتاج إليه من سلاح أو فرس أو طعام أو شراب ، وما يفي بعودته »[2] .

وقال صاحب الجواهر ـ (ره) :

« السادس أو السابع في سبيل الله » ، وهو في (المقنعة) و(النهاية) و(المراسم) و(الإشارة) على ما حكي عن بعضها : « الجهاد السائغ خاصة » . . . قال العالم ـ (ع) ـ فيما رواه عنه عليّ بن إبراهيم في تفسيره : وفي سبيل الله : قوم يخرجون إلى الجهاد وليس عندهم ما ينفقون ، أو قوم من المؤمنين ليس عندهم ما يحّجون به ، وفي جميع سبل الخير ـ فعلى الإمام ـ (ع) ـ أن يعطيهم من مال الصدقات حتى يقوموا على الحج والجهاد »[3] .

الثالث : وهو بذلك بيت المال أو تصريفه بمقدار الحاجة في سبيل الأعمال الجهادية والعسكرية ، حيث إنه يكون منبعاً أساسياً وتجتمع فيه الانفال (وهي الأراضي الموات ، ورؤوس الجبال . وإرث من لا وارث له ، والمعادن التي لم تكن لمالك خاص ، تبعاً للأرض أو بالأحياء) والأخماس والزكوات والصّدقات والضرائب

---

(١) فقه الزكاة ج ٢/ ص ٦٣٥ ـ إلى ـ ٦٤٢ « دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة » المؤلف الدكتور يوسف القرضاوي .

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١/ ٦٢٤ .

(٣) « جواهر الكلام ج ١٥/ ٣٦٨ » وسائل الشيعة ج ١٤٥/٦ ، الحديث ٧ .

بأنواعها ، مع العلم بأنّ لكل من هذه العناوين مشاريع خاصة ، على الحاكم الإسلامي أن يصرف في الشؤون المعتبرة فيها ، كما تدل عليها الآيات الكريمة التالية :

منها : ﴿ فأنّ لله خُمُسَه وللّرسولِ ولِذِي القُرْبى واليَتَامَى والمساكينِ وابنِ السّبيلِ . . . ﴾[1].

ومنها : ﴿ إنّما الصّدَقَاتُ للفُقَراءِ والمساكينِ والعامِلينَ عليها . . . ﴾[2] .

ومنها : ﴿ يسألونكَ عن الأنْفَالِ ، قل الأنفالُ لله والرّسولِ . . . ﴾[3] .

جاء في توضيح الأنفال في تحرير الوسيلة :

« وهي ما يستحقه الإمام ـ (ع) ـ على جهة الخصوص لمنصب إمامته ، كما كان للنبي ـ (ص) ـ لرئاسته الإلّهية »[4] .

فالحاصل . أنّ بيت المال يصرف في الدفاع والجهاد في الضرورة ، حيث إنه لو لم يصرف في سبيل إعداد السلاح والمعدات وفي سبيل تجهيز القوات المسلحة لربما أطمع العدو أن يدمر كل شيء في أرض الإسلام بأسلحته الفتاكة ، ويطيح بالحكم الإسلامي ، فلا مجال عندئذ لمجرد التفكير في مشاريع اسلامية جهادية أو غيرها .

فتكون هذه الأمور الثلاثة مصدراً مالياً لتأدية الجهاد ، لاسيما الثالث منها ، قبل هذا الاصطدام مع العدو ، وأمّا بعد الحرب والانتصارات فتقسم الغنائم وفق ما ورد من الأحكام الشرعية بشأنها .

---

(١) سورة الأنفال : ٨/٤١ .

(٢) سورة التوبة : ٩/٦٠ .

(٣) سورة الأنفال : ٨/١ .

(٤) تحرير الوسيلة ج ١/٣٣٦ .

البحث السابع عشر

التخلف عن الجهاد

إن خوض المعركة الجهادية يستوجب عشق الملكوت الأعلى والانخطاف إليه لأنّ المجاهد الذي يخوض القتال انما يحارب ويقاتل أعداء الله فهو يناضل ويضحّي بنفسه وماله في سبيلِ إعلاء كلمة الحق ، فيؤوب بالظفر والنصر وقد يقتل فينتهي إلى سعادة الشهادة ومن ثم ، فمن لم يعشق لا يستطيع أن ينـزل محطّ العُشاق ، ومنـزل الأبطال، ومحّل ظهور الإيمان .

لذا عندما يُعلن نفير الجهاد وقتال أعداء الله ينقسم المسلمون إلى قسمين :

١ ـ طائفة منهم يحضرون في المعركة ويبايعون الله بما حباهم من الأموال والأنفس ، فإذا لم يوفّقوا للحضور في القتال تألّموا وحزنوا كما يبين القرآن حال من لم يوفق أن يشارك في غزوة تبوك ، بعد ما قال الرسول (ص) ؛

« لا أجد ما أحملكم عليه »[١] ؛ قال الله عز وجل ؛ واصفاً حالهم :
﴿ **تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حُزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون** ﴾[٢] .

جاء في تفسير مجمع البيان : « إن هذه الآية نزلت في البّكائين ، وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب، وعتبة بن زيد، وعمرو بن ثعلبة وابن غنمة، وهؤلاء من بني النجار. وسالم بن عبير، وهرم بن عبدالله، وعبدالله بن عمرو بن عوف،

---

(١) و(٢) سورة التوبة الآية/٩٢

وعبد الله بن معقل من مزينة ؛ جاؤوا إلى رسول الله ـ (ص) فقالوا : يا رسول الله (ص) أحملنا فإنه ليس لنا ، ما نخرج عليه ، فقال ـ (ص) : لا أجد ما أحمل عليه »[1] .

ب ـ وطائفة أخرى يتخلفون عن فريضة الجهاد ، ويعتذرون بأمور واهية مختلفة ، كحرارة الجو ، أو برودته ، أو يتعللون بأسباب مادية تافهة ، يبتلي بها كل الناس كالحصاد وجني الفواكه وغيرها . . . إن القرآن أنّبهم تأنيباً كبيراً ووبّخهم أشد التوبيخ .

ويجدر أن نذكر بعض ما جرى إبّان غزوة تبوك . فإن النبي (ص) « أمر المسلمين بالجهاد فخرجوا من المدينة إلاّ أشخاصاً معينين ، منهم ـ كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، تخلّفوا عن أمر رسول الله وفريضة الجهاد ، لانفاقاً ، بل توانياً وتكاسلا .

قال الحسن : . . . وتخلف هؤلاء ، وكان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له ، والآخر لأهله والآخر طلباً للراحة ، ثم ندموا : فلما قدم النبي (ص) المدينة جاؤوا إليه واعتذروا ، فلم يكلمهم النبي (ص) وأمر المسلمين بمقاطعتهم ، فهجرهم الناس حتى الصبيان ، وجاءت نساؤهم إلى رسول الله (ص) فقلن له : يا رسول الله ، نعتزلهم ؟ فقال : لا ، ولكن لا يقربوكنّ .

فضاقت عليهم المدينة ، فخرجوا إلى رؤوس الجبال ، وكان أهاليهم يأتونهم بالطعام ولا يكلمونهم ، فقال بعضهم لبعض : لقد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد منهم ، فهلاّ نتهاجر نحن أيضاً ؟ فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك الحال خمسين يوماً ، يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه ، فقبل الله توبتهم وأنزل فيهم هذه الآية :

﴿ وعلى الثَّلاثَةِ الذين خُلِّفُوا حتى إذا ضاقَتْ عليهم الأرض بما رَحُبَتْ ، وضاقَتْ عليهم أَنْفُسُهُم ، وظنُّوا أن لا ملجأ من الله إلاَّ إليه ، ثمَّ تَابَ عليهِمْ ليتوبُوا ،

---

(١) تفسير مجمع البيان ج ١١٨/٣ .

إنّ الله هُوَ التَّوابُ الرَّحيمُ ﴾(١) .

وهكذا يتبين لنا أنّ التخلف عن الجهاد من الذنوب ، وعلى صاحبه أن يتوب إلى الله ، فيتوب عليه إن علم صدق قلبه وسريرته ؛ ومن جهة أخرى ، إذا تخلف شخص عن الجهاد لمرضٍ في قلبه . يقاطعه المسلمون ولا تقبل توبته ، وعبر عن هؤلاء في الآية الشريفة بالفاسقين . قال الله العلي العظيم :

﴿ ولا تُصَلِّ على أحَدٍ منهم مَاتَ أَبَداً ، ولا تَقُمْ على قَبْرِه ، إنَّهم كَفَروا بالله وَرَسُولِهِ ، وَمَاتوا وهمْ فَاسِقون ﴾(٢) .

نزلت هذه الآية بينما كان النبي (ص) في سفره إلى تبوك ، ومن ثم عاد إلى المدينة في سنة ثمان(٣). وعلى هذا فإن الأحكام المذكورة في الآية تتعلق بالمنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك .

نعم ، ينبغي على الحكومة الإسلامية أن تقف من المتخلفين عن الجهاد كما فعل رسول الله (ص) وأصحابه ، لعلّ نبذ المجتمع لهم ، وطرحه اياهم من بين صفوفه يؤثران عليهم ،أثراً إيجابياً فيلتحقون بصفوف المجاهدين .

كان مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يوّبخ أهل العراق لتركهم القتال والتخلف عن المواقع ، وكان (ع) يشكو منهم في أواخر عمره الشريف ويلومهم ويقرعهم أشد التقريع وآلمه (ع) لنستمع إليه (ع) ، يقول :

« فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ(٤) ، أمهلنا يسبخ(٥) عنّا الحر ؛ وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم : هذه صِبارّة القُرّ(٦) ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد ؛ كل هذا فراراً من الحر والقرّ ، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ

---

(١) مجمع البيان ج ٥٦/٣ ضمن تفسير الآية ١١٨ من سورة التوبة .
(٢) سورة التوبة : ٨٤/٩.
(٣) تفسير الميزان ج ٣٦٧/٩ .
(٤) شدة الحر .
(٥) يجفف ويسكن .
(٦) شدة البرد .

تفرون ، فأنتم والله من السيفِ أفَر ! يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال ، وعقول رَبّاتِ الحجال[١] ، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة ـ والله ـ جرت ندماً ، وأعقبت سَدَماً[٢] ؛ قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً[٣] وشحنتم[٤] صدري غيظاً »[٥] .

ومنها : تأنيبه (ع) أهل العراق لأنهم والنصر يكاد يتمّ ، نكصوا على أعقابهم وتركوا القتال فقال (ع) :

«أما بعد يا أهل العراق ، فإنّما أنتم كالمرأة ا لحامل ، حملت فلما أتمّت أملصت [٦] ، ومات قيّمها [٧] ، وطال تأيّمها [٨] ، وورثها أبعَدُها [٩] » .

هـذه بعض مواقف التوبيخ والتأنيب التي صدرت عن الله ورسوله والأئمة المعصومين ، وهي حجة على المتخلفين عن الجهاد .

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن المتخلفين عن الجهاد لم يدخل الإيمان قلوبهم فهم ، بالتالي ، غير مؤمنين حقاً ، اذ في الجهاد بذل ومشاق وتضحيات ، يقبل عليها المؤمن قانعاً بذلك ، بل ، ومتحمساً . وهذا نقيض حياة الرضى بالراحة والخلود إلى الدعة . قال الله العلي العظيم :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم[١٠] من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفور

(١) جمع حجلة وهي القبة ، يزين بالستور « ربات الحجال : النساء » .
(٢) الهمّ مع أسف أو غيظ .
(٣) ما في القرحة من الصديد .
(٤) ملائم .
(٥) نهج البلاغة الخطبة « ٢٧ » .
(٦) أسقطت وألقت جنينها ميتاً .
(٧) زوجها .
(٨) ترملها
(٩) نهج البلاغة الخطبة « ٧١ » .
(١٠) لا ينقصكم .

رحيم ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ﴾[١] .

(١) سورة الحجرات ٤٩/١٤ و ١٥ .

البحث الثامن عشر

الفرار من ساحة القتال

على المقاتل الإسلامي أن يناجز أعداء الله ، ويقارعهم بحد السيف ، فلا انسحاب من المعركة ولا فرار . اذ ينتهي الأمر بذلك إلى هزيمة المسلمين والقضاء على الإسلام . مضافاً إلى ذلك وقد صنف القرآن الكريم الفارين في عداد المغضوب عليهم ، كما يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ يا أَيُّها الذِّينَ آمَنُوا إذا لقيتُم الذِّينَ كَفَروا زَحْفاً فلاَ تُولُّوهم الأدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ من الله ، وَمَأواهُ جَهنَّمُ وَبِئْسَ المَصيرِ[1] ﴾ .

الملاحظة الملفتة للنظر في الآية الشريفة ، هي أنّ الله تبارك وتعالى قال في الفارين من الزحف : (فقد باء بغضب من الله) وقد ورد هذا التعبير القرآني بصدد الأشخاص الذين ارتكبوا الكبائر من الذنوب ، كمن قتل إنساناً مؤمناً عمداً ، كما نرى في هذه الآية :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فيها وَغَضِبَ الله عَليه وَلَعَنهُ وأعدَّ لهُ عذاباً عظيماً ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال : ٨/١٥ و ١٦ .

(٢) سورة النساء : ٤/٩٣ .

كما استخدم هذا التعبير أيضاً للأشخاص الذين قتلوا أنبياء الله بغير الحق ، حيث قال عزّ من قائل :

﴿ وضُرِبَتْ عليهِم الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ ، وَبَاؤوا بِغضَبٍ من الله ، ذَلِكَ بأنّهم كَانوا يكفرون بآيات الله ، ويقْتُلون النبيينَ بغيرِ الحقِّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانوا يعتدون ﴾(١) .

جاء في تفسير هذه الآية ما نقل عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ .

قال : رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، ثم قرأ : « الذين يقتلون النبيين بغير الحق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، ثم قال : يا أبا عبيدة ، قتلت بنو « إسرائيل » ثلاثة وأربعين نبياً في ساعة ، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عُبّاد بني إسرائيل ، فقتلوا من أمروهم بالمعروف ، ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعاً آخر النهار من ذلك اليوم ، هو الذي ذكره الله »(٢) .

أجل ، لقد نعت القرآن هؤلاء بأنهم رجس(٣) ، أي نجس ؛ قال الله تعالى :
﴿ سَيَحْلِفونَ بالله لَكُمْ إذا انقَلَبْتُم إليهِمْ لِتُعرِضوا عنهم ، فأعْرِضُوا عنهم ، إنَّهم رِجْسٌ ومأواهُمْ جهنَّمُ جزاءً بِمَا كَانوا يَكْسِبونَ ﴾(٤) .

على هذا الأساس ، أجمع الفقهاء على « حرمة الفرار من الزحف » كما قال صاحب الجواهر : « صرح على حرمة الفرار من الزحف إذا كان العدو على الضعف أو أقل ، الشيخ والفاضلان والشهيدان وغيرهم ، بل لا أجد فيه خلافاً كما اعترف به في (التنقيح) ، وإنهم اعتبروه من جملة الذنوب الكبيرة ـ كما استفادت من الآية الشريفة **﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾**(٥) .

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٦١ .
(٢) تفسير الميزان ج ٣/ ١٢٧ .
(٣) رجس : نجس ، ومعناه أنهم كالشيء المنتن « الخبيث » الذي يجب اجتنابه .
(٤) التوبة : ٩/ ٩٥ .
(٥) الأنفال : ٨/ ١٦ .

كما يدل عليه أحاديث مختلفة وتتبّين فيها علة الحرمة :

منها : محمد بن علي بن الحسين بـإسناده عن محمـد بن سنان ، إنّ علي بن موسى الرضا (ع) كتب إليه في جواب مسائله : « وحرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الـدين والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة (ع) ، وترك نصرتهم على الأعداء مهدداً اياهم بمعاقبتهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية ، وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد ، لما في ذلك من جـرأة العـدو عـلى المسلمين ، ومـا يستتبـع ذلـك من السبي والقتـل وإبـطال دين الله عـزّ وجـلّ ، وغيـر ذلـك من الفساد [1] » .

يتضح من جميع ما ذكرنا أن الفرار من الزحف عمل قبيـح محرّم ، بـل ، من الذنوب الكبيرة ، للفّار عذاب أليم ، إن مولانا علي بن أبي طالب (ع) أنّب الفارين من معركة صفين من جيشه ، كاليعافير[2] ، قال (ع) :

« وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة ، لا تَسلمَوا من سيف الآخرة ، وأنتم لهاميم[3] العرب والسنام الأعظم ، إنّ الفرار موجدة[4] الله ، والذل الـلاّزم ، والعار الباقي ، وإنّ الفار لغير مزيد في عمره ، ولا محجوز بينه وبين يومه »[5] .

وكان ولا غرو أن يكون صاحب هذا القول لأمير المؤمنين (ع) الذي كـان في ساحة القتال ثابتاً كالجبل الراسخ ، قال (ع) يصف شأنه في الحروب :

« إنّي لم أفّـر من الـزحف قط ، ولم يبـارزني أحـد إلا سقيت الأرض من دمه »[6] .

وفي النهاية نذكر حديثاً عن رسول الله (ص) حول تقبيح الفرار من الزحف ، إذ

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ /باب ٣٣/ ص ٩٢ .
(٢) ابن أبي الحديد ج ١٥/٨ ، اليعافير : ج . يعفور : الظبي .
(٣) الجواد السابق من الإنسان والخيل .
(٤) غضب الله .
(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٢٤ .
(٦) نور الثقلين ج ١٤٩/٢ .

إنه (ص) جعله في عداد الذنوب التي لا يغفرها الله ، مثل الشرك بالله ، قال رسول الله (ص) :

« ثلاثة لا ينفع معهنّ عمل ، الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف »(١).

الانسحاب التعبوي « التكتيكي »

إن خطة حكيمة يلجأ إليها الآمر وجنوده للإفادة منها . وربما يجب العمل به ، كما تشير إليه الآية الشريفة : **﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ ﴾**(٢).

الظاهر من الآية الشريفة أن الانسحاب في المعركة لا يجوز إلا عند التّحرّف أو التحيّز إلى فئة أخرى، لأهمية الموقفين اللذين نوضحهما باختصار :

« متحرفاً لقتال » : أي أن ينحرف وينعطف المقاتل ، من جهة إلى جهة أخرى مناوراً ليتمكن من النّيل من عدوه .

« أو متحيّزاً إلى فئة » : أي أن ينصرف المقاتل أو المقاتلون عن الانفراد بالعدو إلى فئة من قومه ، فيلحق بهم ويقاتل معهم ضدّ العدو(٣).

إن الفقهاء « رضوان الله تعالى عليهم » عددوا مصاديق للتحرف عن القتال كما نشاهد في جواهر الكلام :

١ ـ منها : أن ينسحب المقاتلون كي يصلوا إلى مكان سعة ، للتمكن من القتال بحرية أكثر بالنسبة إلى المكان الضيق الذي حاربوا فيه .

٢ ـ ومنها : أن ينسحب المقاتلون لاستدبار الشمس ، فاستدبارها في القتال خير من استقبالها ، كما ذكر في (القواعد) و(التحرير) و(التذكرة) و(التنقيح) و(الروضة) وغيرها .

---

(١) نهج الفصاحة الرقم/١٢٤١ .

(٢) سورة الأنفال : ٨/١٦ .

(٣) تفسير الميزان ج ٩ /٣٧ .

٣ ـ ومنها : أن يؤمن الماء إلى جانبه دفعاً للعطش المانع عن القتال ، كما صرح بها في (القواعد) و(التذكرة) و(المسالك) وغيرها .

٤ ـ ومنها : أن ينسحب عن المعركة لتبديل درعه ، كما صرح في (التنقيح) و(الروضة) و(المسالك) ؛ أو نزع شيء ولبس الدرع ، كما صرح في (الدروس) و(القواعد) و(المسالك)[1] .

٥ ـ ومنها : أن يكون الانسحاب خطة للكر على العدو من خلفه أو محاصرته ، وقطع الامدادات عنه .

نعم : كما ذكرنا في بداية هذا البحث قال الفقهاء : إذا كان عدد العدو ضعف عدد المسلمين أو أقل من ذلك ، فلا يجوز الفرار ، بل كان حراماً ، ولو تجاوز عدد العدو الضعف فلا يكون حراماً ، والشاهد على هذا رواية شريفة عن الحسين بن صالح عن الصادق (ع) قال :

« من فَرّ من رجلين من قتال في الزحف فقد فّر ، ومن فـّر من ثلاثة في القتال فلم يفر »[2] .

أمَّر رسول الله (ص) في غزوة مؤتة على جيش المسلمين جعفر بن أبي طالب ، ثم أوصاهم :

« إن أصيب جعفر فزيد بن حارثة ، وإن أصيب زيد فعبدالله بن رواحة ؛ فتجهز الناس وساروا حتى نزلوا إلى معان ، وهم ثلاثة آلاف ، ولكن عدد جيش العدو أكثر من مائتي ألف ، إذ سار هرقل إليهم مع مائة ألف من الروم وهكذا مالك بن رافلة مع مائة ألف ، ومعهم آخرون .

بدأت الحرب واشتد القتال ، وقاتل جعفر بن أبي طالب حتى شاط في رماح العدو ، وقتل في سبيل الله ، ثم أخذ زيد بن حارثة اللواء ، فقاتل حتى استشهد في سبيل الله ، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة ، وقاتل حتى قتل شهيداً ، فلما قتل عبدالله أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري وقال :

(١) جواهر الكلام ج ٢١/ ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١١/ ب ٢٧ ح/١ .

يا معشر المسلمين ، إصطلحوا إلى رجل منكم ، فقالوا : رضينا بك ، فقال ما أنـا بفاعـل ، فاصـطلحوا على خـالد بن الـوليد ، فلمـا رأى خـالـد أن نسبـة جيش المسلمين إلى جيش الروم لا تزيد عن ٢٪ حينئذ أمر بتغيير في قواته ، وانتقال الميمنة إلى الميسرة، والميسرة إلى الميمنة ، والقلب إلى الساق ، والساق إلى القلب ، كما أرسل كوكبة من الفرسان إلى مكان بعيد ، وقال لهم : « لا بد أن تلحقوا بنا مبكرين صـارخين بشعار « لا إلَـه إلا الله » لكي يفكر العـدو بأننـا أردفنـا بقـوات جـديـدة ، وبالتالي ، لا يهجمُ علينا »[١] .

وهكذا انسحب جيش الإسلام من معركة مؤتة ورجعوا إلى المدينة ، فلما رجع الجيش لقيهم رسـول الله (ص) والمسلمـون ، واستحسن (ص) من خـالـد هـذه المناورة ، وانسحابهم[١] .

على هذا ربما يكون الانسحاب جائزاً وحسناً كما يستفاد من موقف رسول الله (ص) من هذه الحادثة .

وهنا ، يمكن أن يُطرح السؤال : إذا كان العدو أكثر من الضعف ، ورغم ذلك قاوم الجيش الإسلامي حتى استحرَّ به القتل ، فهل بذلك مخالفة شرعية ؟ وللجواب عن هذا ، نشير إلى أن المقاومة والانسحاب أمران عـظيمان تقـع مسؤوليتهما على عاتق قائد الجيش الإسلامي ، سواء كثر العدو أو قل ، فإذا رأى القائد أو المقاتلون ، بأنّ حفظ بيضة الإسلام يستصرخهم أن يبذلوا دماءهم الزكيـة ، وَجَبَ عليهم إذن أن يقاتلوا ويقاوموا .

وإنّ ذلك لأمر جد عظيم لا يساويه شيء في العالم قال رسول الله (ص) :

« فوق كل ذي بِرّ بِرّ حتى يُقتَلَ في سبيل الله ، فإذا قُتِل في سبيل الله فليس فوقه برّ »[٢] .

الشهادة في هذا الحال هي فداء وإيثار في سبيل الإسـلام ، كما نشـاهد في

(١ ـ٢) المغازي للواقدي ج٢/ ٧٦٠ ـ ٧٦٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ / ٢٣٤ .
(٣) وسائل الشيعة ج ١١/ ب ١ ح ٢٠ .

واقعة كربلاء في يوم عاشوراء حيث إنّ الحسين (ع) وهو قائد الأمة الإسلامية في ذلك اليوم ، قاتل مع أصحابه الكرام رغم قلّتهم ضد الظالمين والمعتدين الذين كانوا أضعافاً كثيرة بالنسبة إليهم ، فأصبحوا بالتالي ، ذخراً وفخراً وشرفاً وكرامةً للإسلام وللأمة الإسلامية .

البحث التاسع عشر

الاستطلاع في الحرب

الاستطلاع جمع المعلومات عن العدو باستخدام جميع الطرق ووسائل الاستطلاع ، مثل الاستفادة من السكان المحليّين ، واستخدام أجهزة التنصت ، والاستفادة من الرصد ، وإرسال الأشخاص أو دوريات استطلاعية ، وسؤال الأسرى ، وغيرها .

ولا شك في وجوب معرفة العدو من جميع الجهات ، خصوصاً من حيث القدرات والمعدات ، كما أمر النبي الأعظم - (ص) زيد بن ثابت بأن يتقن لغة اليهود ، ويتعرّف على مراسلاتهم والرموز المستخدمة فيها ، للاستفادة عمّا لديهم من البرامج والمخططات المستقبلية ، وعن المعدات الموجودة عندهم [1] .

قال أمير المؤمنين (ع) في هذا الباب :

« استعمل مع عدّوك مراقبة الإمكان وإنتهاز الفرصة تظفر »[2] .

وتظهر أهمية الاستطلاع عندما يكون العدو بصدد الهجوم ، حينذاك على القائد أن يعرف عن العدو الأمور التالية : النية ، والأرض والتجمع ، والخطط « التكتيك » والمنطقة التي يجري فيها القتال ، وأنواع الأسلحة ، وكل ما يتعلق بقوات العدو إذ يتعذّر القتال دون المعرفة الكاملة بشؤون العدو .

---

(١) الجهاد في التفكير الإسلامي ص ٨٢ .

(٢) غرر الحكم ج ٢/١٩٢ .

ذكر بعض المؤرخين : أنّ المسلمين انهزموا في بداية الحروب الصليبية لجهلهم وعدم اطلاعهم على أوضاع القوات الصليبية ، ولكن بعد نهاية المرحلة الأولى من الحرب ، استطلع المسلمون ما لدى الصليبيين ، ثم قاتلوهم بعد ذلك وتغلّبوا عليهم .

جاء في التاريخ : لقد اهتم رسول الله ـ (ص) ـ بالاستطلاع أكثر من اهتمامه ـ (ص) بالأمور الحربية الأخرى ، لأن الحصول على المعلومات الكاملة عن العدو يؤدي إلى اتخاذ القرار الصحيح بعد التقدير السليم . تبدو هذه الحقيقة من خلال دراسة التاريخ الإسلامي حيث كان النبي ـ (ص) ـ يرسل بعض الأشخاص ، أو دوريات للاستطلاع قبل بدء الحرب ، وصار هذا أمراً معتاداً، جاء في الحديث:

عن الريان قال : سمعت الرضا ـ (ع) ـ يقول : « كان رسول الله (ص) إذا وجّه جيشاً فأمّهم أميراً بعث معهم من ثقاته من يتجسس له خبره »(١).

والجدير أن نذكر بعض ما حدث في زمن الرسول الأعظم ـ (ص) ـ والأئمة المعصومين :

أ ـ عن عروة قال : بعث رسول الله ـ (ص) ـ أصحاب الرجيع عيوناً إلى مكة المكرمة لكي يخبروه عما لدى قريش من القوات والمعدات ، كماً وكيفاً ، فسلكوا على النجدة للاستخبار حتى كانوا بالرجيع »(٢) .

ب ـ إنّ العباس بن عبد المطلب كان عيناً لرسول الله ـ (ص) ـ في مكة المكرمة ، بعدما هاجر النبي ـ (ص) ـ إلى المدينة المنورة ؛ فكتب العباس عند خروج قريش للهجوم على المدينة كتاباً مختوماً ، واستأجر رجلاً من بني غفّار ، ثم أرسله ، واشترط عليه أن يوصله إلى رسول الله ـ (ص) ـ بعد ثلاثة أيام ، فخرج الغفاري فقدم المدينة وواجه رسول الله ـ (ص) ـ على باب مسجد قباء ، فدفع الكتاب إليه ، فدخل الرسول ـ (ص) ـ إلى بيت سعد بن ربيع ، ثم قرأه بعض الصحابة ، فاستكتم ما فيه عن الآخرين ، حينذاك بعث رسول الله ـ (ص) ـ عينين

(١) وسائل الشيعة ج ٤/١ . = بحار الأنوار ج/١٠٠ ص ٦١ ح ٢ .
(٢) المغازي للواقدي ج ١ /٣٥٤

وكان اسمهما « أنساً ومؤنساً »[١] كي يستخبرا عما كتب العباس ، فاعترضا لقريش بالعقيق ، فسار إليهم حتى نزلوا بالوطاء[٢] ، فأتيا رسول الله - (ص) - فأخبراه[٣] .

ج - لما سمع رسول الله بعد فتح مكة بأن قبيلة هوازن استعدت للهجوم على المسلمين ، دعا عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي ، فأمره أن يدخل في هوازن حتى يأتي بخبر منهم ؛ فانطلق ابن أبي حدرد . فدخل فيهم ، فأقام ثم طاف في عسكرهم ، حتى رأى ابن عوف ، وكان عنده رؤساء هوازن وهو يتكلم معهم حول الهجوم على المسلمين ؛ حينئذ سمع ابن أبي حدرد أنه يقول لهم :

إنّ محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة ، وإنما كان يلقي قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فينتصر عليهم ، فصفّوا مواشيكم في السحر من ورائكم ، واكسروا جفون سيوفكم ، ثم تهجمون عليهم ، واعلموا أن الغلبة لمن هجم أولاً ،مضافاً لكم عشرون ألف مقاتل .

فلما سمع ووعى ذلك ابن أبي حدرد ، رجع إلى النبي (ص) فاخبره بكل ما سمع[٤] .

د - ومنها : ما أمر مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مالكاً الأشتر النخعي حين ولاه على مصر ، بعهده اليه :

« ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإنّ تعاهدك في السر لأمورهم حَدوة لهم على استعمال الأمانة ، والرفق بالرعية »[٥] .

هـ : ومنها : ما كتب علي بن أبي طالب (ع) إلى زياد بن النضر حين أنفذه على مقدمة الجيش في صفين .

« واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال . . . واعلموا أن مقدمة القوم

---

(١) ابنا فضالة .

(٢) موضع قريب من جبل أحد .

(٣) ملخصاً عن المغازي للواقدي/٤ - ٢٠٥ .

(٤) المغازي للواقدي ج ٣/٨٩٣ = سيرة بن هشام ج ٨٢/٤ .

(٥) نهج البلاغة الرسالة رقم ٥٣ .

عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم »[١] .

و : ومنها : دعا رسول الله (ص) حذيفة بن اليمان ـ لينظر أثر، عمل به نعيم بن سعود . فبعثه (ص) إلى الأحزاب ، فقال :

« يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثنّ شيئاً حتى تأتينا » .

وفي رواية أخرى : « لا ترم بسهم ولا حجر ، ولا تضربَنَّ بسيف حتى تأتيني » .

قال : حذيفة : فذهبت ودخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل . لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ؛ فقام أبو سفيان ، فقال :

يا معشر قريش : ليتعرف كل أمرىء منكم جليسه . واحذروا الجواسيس والعيون .

قال حذيفة : فأخذتُ بيد جليسي على اليمين ، فقلت ؛ من أنت ؟ فقال : معاوية بن أبي سفيان . ثم قبضت يد من يساري ، وقلت : من أنت؟ فقال : عمرو بن العاص ؛ ففعلت ذلك خشية أن يفطن بي .

فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف . وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا ، فإني مرتحل ؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله (ص) وهو قائم يصلي ، فأخبرته الخبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فصار فرحاً وسروراً[٢].

والعيون في كلامه جمع عين ، أي : الجاسوس والراصد .

و« الطلائع » : جمع طليعة الجيش هم الذين يبعثون ليطّلعوا طلع العدو

(١) صياصي الجبال : قممها المشرفة نهج البلاغة الرسالة رقم ١١ .
(٢) السيرة الحلبية ج ٢/ ٣٢٧ = سيرة ابن هشام ج ٢٤٢/٣ .

كالجواسيس[١] .

ز ـ ما قاله الحسين بن علي (ع) عند خروجه من المدينة المنورة ، حيث طلب أخوه محمد بن الحنفية أن يسافر مع الحسين (ع) إلى مكة المكرمة . قال (ع) :

« يا أخي ، جزاك الله خيراً ، لقد نصحت وأشرت بالصواب ، وأنا عازم على الخروج إلى مكة ، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي ، أمرهم أمري ، ورأيهم رأيي ، أما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً ، لا تُخْفِ عنّي شيئاً من أمورهم »[٢] .

يستنتج مما سبق أن الاستطلاع والاستخبار من الضروريات ، لاسيما في الحروب كما ذكرنا .

نعم . كان الاستطلاع في غزوات النبي ـ (ص) ـ على قسمين :

١ ـ الاستطلاع العادي ، وتقوم به وسائط الاستطلاع العادية مثل السكان المحليين كالعباس عم الرسول (ص) في مكة المكرمة وغيره ، ومثل ارسال الأدلّاء والطلائع والدوريات وغيرهم .

٢ ـ الاستطلاع القسري : وتقوم به دوريات الاستطلاع القتالية ، ويستفاد منه في الحروب غالباً ، كما استفاد النبي (ص) في بدر ، ودومة الجندل ، وبني المصطلق ؛ وخيبر ؛ وهكذا أرسل المزايا كي يعملوا خلف العدو كما حدث في معركة أُحد ؛ ويلجأ القائد إلى هذا النوع عندما لا تتوفر لديه معلومات كافية عن العدو ، وحينذاك يأخذ عدداً من الأسرى يستجوبهم للإدلاء بما لديهم من معلومات[٣].

مكافحة الاستطلاع

إذا استطلع القائد العدو ، فلا بدّ أن يكافح بالتالي ، متخذاً المواقف الحاسمة السريعة ، لتفشيل خططه . كأن يبطل مؤامرة العدو باعتقال بعض الأشخاص

---

(١) منهاج البراعة ١٨/ص ٦٠ ـ ٦٦ .

(٢) حياة الحسين ج ٢/ ٢٦٣ .

(٣) المغازي للواقدي ج ٢/ ٦٤٠ .

المرتبطين بـه أو بإعـدام الجواسيس ، أو مباغتة العـدو قبل البـدء بتنفيذ خـططه ، واستخدام التكتيك المناسب لبلبلة وضع العدو ، وجعله في موقف لا يحسد عليه ، من الحيرة والاضطراب .

يظهر من رسالة مولانا علي بن أبي طالب (ع) إلى قثم بن العباس ، بأنه (ع) اعار هذا الأمر جُلّ اهتمامه ، عندما أراد معاوية أن يبلبل أفكار المسلمين بـالأكاذيب والشائعات، بإرسال أشخاص في موسم الحج . يسعون بين الناس فسـاداً ، فكتب (ع) إلى قثم بن العباس ، عامله على مكة :

« أمّا بعد فإن عيني بالمغرب كتب إليّ يُعلمني أنّه وُجِّه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب ، الصُّمِّ الأسماع ، الكُمهِ الأبصار ، الذين يلبسـون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق . . . »[١] .

وهذا شـكل آخر من أشكال المـرجعية بين النـاس ، فقد أخبـر بعض العيون رسول الله (ص) أنّ عدّةً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم ، يثبطون الناس عن رسول الله (ص) في غزوة تبوك ؛ فبعث إليهم النبي (ص) طلحة بن عبيدالله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فافلتوا . فقال الضحاك في ذلك :

كـادت وبـيـت الله نـار محـمـد ... يشيط بهـا الضحـاك وابن أبـيرق
وظلت وقـد طبقت كبس سـويلم ... أنـوء عـلى رجلي كسيـراً ومـرفق
سـلام عليكـم لا أعـود لمثـلهـا ... أخاف ومن تشمل به النار يحرق[٢]

وهذا نموذج آخر : ففي غزوة خيبر ، بعث رسول الله (ص) عبـاد بن بشر في فوارس طليعة ، فأخذ عيناً لليهود من أشجع ، فقال ؛ من أنت ؟ قـال : باغٍ أبتغي أبعرة ضلّت لي ، أنا على أثرها .

قال له عباد : ألك علم بخيبر؟قال : عهدي بها حديث . فيم تسألني عنه ؟.

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٣٣ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٤/ ١٦٠

قال : عن اليهود .

قال نعم . إنّه مدحهم ، وقال : كان كنانة بن أبي حقيق ، وحوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان . فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، فساروا معدّين بالكراع[٢] والسلاح وفيها عشرة آلاف مقاتل .

حينئذ فهم عباد بن بشر أنه يريد أن يضعف يفتّ في عضد المسلمين ، فرفع عباد بن بشر بسوطه فضربه ضربات وقال: ما أنت إلاّ عين لليهود ، فهدّده بالقتل بعد ذلك .

قال الأعرابي : أتؤمني على أن أصدقك وأخبرك بما عندي؟

قال عباد : نعم .

قال الأعرابي : القوم مرعوبون منكم ، خائفون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود ، ثم إنه أخبره بإرسال جاسوس آخر من قبل يهود يثرب ، وأخبرهم أسئلة أخرى .

ثم أتى به عبادُ النبي (ص) فقال رسول الله (ص) :

أمسكه معك يا عَباد! فأوثق رباطاً.

فلما دخل رسول الله (ص) خيبر ، عرض (ع) ، ثم قال :

إنّي داعيك ثلاثاً ، فإن لم تسلم ، لم يخرج الحبلُ من عنقك إلاّ صُعداً . فأسلم الأعرابي[٢].

مكافحة الحسن بن علي (ع) تجاه جاسوس العدو .

قال أبو الفرج : ودس معاوية رجلاً من حِمير إلى الكوفة ، ورجلاً من بني القين إلى البصرة ، يكتبان إليه بالأخبار . فدلّ على الحميري عند لحام ، وعلى القيني فأخذا وقتلا .

وكتب الحسن (ع) إلى معاوية : أمّا بعد ، فإنك دسست إلى الرجال . كأنك تحبّ اللقاء ؛ لا أشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله ؛ وبلغني أنك شمتّ بما لم يشمت به ذو الحجى ، وانما مثلك في ذلك كما قال الأول .

---

(١) الكراع : البقر والغنم وغيرهما .

(٢) المغازي للواقدي ج ٢/ ٦٤٠ .

فـإنا ومن قـد مـات منـا لكـالـذي يـروح فيمسي في المبيـت ليـفتـدي
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تجهـز للاخـرى مثلها فكـان قد[١]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦/ص ٣١ .

البحث العشرون

ميزات العين وصفاته

« لا بدّ أن يتصف العين بصفاتٍ خاصة ، فللاستطلاع أهمية قصوى ، ودور جد خطير لذا ، كان على المكلف بذلك أن يتحلى بصفات وخصائص معينة من اللياقة الجسمية ، والشجاعة ، والسلامة من الأمراض التي تعيق تنفيذ مهمته ، كالصم والسعال وغيرهما .

ولا بد أن يتخلق العين بأوصاف حميدة ، بأن يكون من أهل الصدق والوفاء والإيمان ، وأن يكون ذكياً بحيث يصل إلى الكبريات من القضايا الجزئية ، وأن يكون موثوقاً به ، بحيث يُطمأن إليه ، ويؤيد ذلك جملة من الأحاديث التي ذكرناها »[1] .

واجبات العين

اتضح مما ذكرنا أن عملية الاستطلاع جد هامة وخطيرة ، لذا ينبغي على العين أن يلتفت إلى نقاط عديدة حيطة على العمل من المفسدة ، ونشير في هذه العجالة إلى بعض ما ينبغي مراعاته في هذا الشأن .

١ ـ **التفحصّ الكامل** : على العين أن يتفحص الخبر من طرق متعددة ، ولا

---

(١) وسائل الشيعة ج ٤٤/١١ .

يتساهل في التدقيق والمراقبة حتى ينتهي إلى الوضوح التام ، حينئذ يمكن أن يعرض الأمر على القائد .

قال الحسين بن علي (ع) لأخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة المنورة : « وأمّا أنت فلا عليك أن تقيم في المدينة فتكون لي عيناً عليهم، لا تُخفي عني شيئاً من أمورهم »(١) .

كما مرّ معنا ما نقله حذيفة بن اليمان عند استخباره عن الأحزاب ، بعدما أرسله رسول الله ـ (ص) ـ ليتفحص ما عمل نعيم بن مسعود ، وتعلم أهمية التفحص من خلال كلام الرسول ـ (ص) ـ حيث قال (ص) :

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم،ثم يرجع ـ يشترط له رسول الله ـ ص ـ الرجعة ـ فقال : أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة » .

والشرط بالعودة ذو أهمية خاصة لما لَهُ من كبير الأثر على انجاز العمل وحسن القيام به(٢) .

٢ ـ **حفظ الأسرار** : على العين أن يكون كتوماً للأسرار ، محافظاً على ما يصله من اخبار ، قوي الشخصية .

وهذه الميزة أعظم شيء للإستطلاع ؛ لقد عاش الأئمة المعصومون (ع) في زمن بني العباس ، وكانوا قادة للأمة الإسلامية . وتمكنوا ، على هذا الصعيد ، من ارسال كتب عديدة إلى اصحابهم ، كما أرشدوا وفوداً عديدة لكي لا ينحرفوا عن خط رسول الله (ص) أمام ترهيب السلطات الغاصبة أو ترغيبها وهذه الأمور لم تكن لتهتم إلّا بكتمان الأسرار ، لاسيما في ذلك الجو من الكبت والقهر .

قال الصادق (ع) لبعض أصحابه :

« لا تطلع صديقك من سرّك إلّا ما لو اطلع عليه عدوك لا يضرك ، فإن الصديق قد يكون عدوك يوماً ما »(٣) .

عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله (ع) قال :

---

(١) حياة الحسين بن علي ـ ع ـ ج ٢٦٢/٢ .
(٢) السيرة لابن هشام ج ٢٤٣/٣ .
(٣) بحار الأنوار ج ٧٥/ص ٧١ ح ١٢ = أمالي الصدوق/٣٩٧ .

« كتمان سرّنا جهاد في سبيل الله »[١].

لأجل ذلك كتم بعض العيون بمعلوماتهم السرية وقاوموا إرهاب العدو حتى قتل بعضهم ، كما حدث لقيس بن مسهّر الصيداوي البطل الذي أرسله الحسين (ع) إلى الكوفة لدفع كتاب إلى بعض رجال الشيعة . فانطلق قيس مغذاً في السير حتى وصل إلى ظاهر الكوفة ، حينذاك قبضت عليه الشرطة . التي كانت تقوم بتفتيش الداخلين والخارجين تفتيشاً دقيقاً .

حينئذ بادر قيس إلى الكتاب فمزّقه لئلا يطلع الشرطة على ما فيه . ولم تتأخر الشرطة في سوقه مخفوراً إلى ابن زياد . فسأله من أنت ؟ قال رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي (ع) . ثم سأله لِمَ مزّقت الكتاب الذي معك ؟ قال : خوفاً من أن تعلم ما فيه .

ثم سأل : ممن الكتاب وإلى مَن ؟ قال : من الحسين (ع) إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم .

عند ذلك غضب الطاغية فقال : والله لن تبرح حتى ترشدني إلى الأسماء المكتوبة ، أو تصعد المنبر فتسّب الحسين وأباه وأخاه فتنجو من يدي ، أو لأقتلنك .

فقال له قيس : أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم ، وأما اللعن فأفعل .

فأمر ابن مرجانة أن يجتمع الناس ، ليريهم لعن قيس لأهل البيت (ع) . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على الرسول الأعظم (ص) وعلى عليّ بن أبي طالب والحسين (ع) ، ثم لعن عبيدالله ونادى بأعلى صوته :

أيها الناس . . . إن الحسين بن عليّ خير الخلق ، وإنّه ابن بنت رسول الله (ص) ، وأنا رسوله اليكم .

عند ذلك أخذته الجلاوزة وأتت به إلى ابن زياد . فأمر أن يصعد به إلى أعلى القصر فيرمى منه وهو حيّ . وهكذا قتل قيس في سبيل الله ، ولم يطلع العدو على شيء من الكتاب[٢] . وهذا هو المقصود بقول أبي عبدالله (ع) : « كتمان سرنا جهاد في سبيل الله » .

---

(١) بحار الأنوار ج ٧٥/ ص ٧١ ح ٧ .

(٢) حياة الحسين بن علي (ع) جلد ٦٣/٣ .

٣ ـ **تقديم المعلومات الأمنية للمسؤول** : على المستطلع أن يقدم المعلومات الأمنية إلى القائد ، مباشرة ، لا غيره حذراً من أن يفشو الخبر . عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ (ع) ـ :

« مَنْ كتم سرّه كان الخيار بيده ، وكل حديث جاوز اثنين فشا »[١] .

كما أرسل العباس بن عبد المطلب رجلاً من بني غفار ، واشترط عليه أن يوصل كتاباً إلى رسول الله (ص) ، وبعد ثلاثة ايام فذهب الغفاري إلى المدينة وأدّى الكتاب إلى رسول الله[٢] (ص) وهنا يجدر أن نذكر ما حدث في غزوة الأحزاب .

دعا رسول الله (ص) بسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير ، فقال : « قد بلغني إنّ بني قريظة قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم وحاربوا ، فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني باطلاً فأظهروا القول ، فإن كان حقاً فتكلموا بكلام تلحنون لي به أعرفه ولا تفتّوا أعضاد[٣] المسلمين » .

فذهبوا إلى بني قريظة ، ووجدوهم ناقضين للعهد ، وتحاوروا الطرفان حوار . ثم رجعوا .

وكان عند النبي (ص) جمع من الصحابة ؛ فأمسكوا على ما لديهم ، وخاطب سعد بن عبادة النبي (ص) بكلام مرموز قال فيه : (عضل وقارة) ، فهم النبي (ص) كلمة الرمز ، فكبّر فقال :

« أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه » .

وهذا هو معنى تقديم المعلومات الأمنية الى القائد وحفظ الأسرار . إذ لو فهم المسلمون لحزنوا وأثر عليهم خبر نقض العهد[٤] .

بناء على ما ذكر على الحكم الإسلامي والقوات المسلحة أن يبثوا عيوناً ترصد

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٨/٧٥ .

(٢) المغازي للواقدي ح ٤٥٩/٢ .

(٣) فث في عضد فلان : أوهنه يأساً .

(٤) المغازي ج ٢/ ٤٥٨ .

أوضاع الأعداء في الأقطار المجاورة ، وما ذكرنا عن سيرة النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) والصحابة أحسن شاهد في الموضوع .

وقد يطرح بالمناسبة سؤال كيف يجوز التجسس والتفتيش والقرآن يحكم بعدم الجواز حيث يقول : عز قائله :

﴿يا أيُّها الذِّينَ آمنوا اجتَنِبوا كَثيراً من الظَّنِّ إنّ بعض الظن إثمٌ ، ولا تجَسَّسُوا ، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أيُحِبُّ أحدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لحمَ أخيهِ مَيْتاً فكرِهتُموه . واتّقوا الله إنّ الله تَوَّابٌ رحيمٌ﴾[1] .

والجواب عن هذا السؤال : لا تعارض بين الاستطلاع موضوع حديثنا ، وما بينته الآية الشريفة ، حيث بيّن فيها عدم جواز التجسّس في احوال المؤمنين الخاصة ، ومن هنا كان هذا المعنى الكنائي ، كما وقع نوع من التشبيه كأنّ من اغتاب مؤمناً فقد أكل لحمه ميتاً ـ ولكن الاستطلاع عن العدو من أجل المحافظة على بيضة الإسلام شيء آخر ، بل أهم هذه الأشياء .

وهنا نأتي بمقتطفات من كلام لقائد الثورة الإسلامية ـ قدس سره ـ اذ فيها حكم شرعي لجواز الاستطلاع بالاضافة إلى الإجابة عن هذا الإشكال .

قال قدس سره :

« علينا جميعاً أن نحافظ على الإسلام ، على الجميع ، عليكم جميعاً ، أن تنتبهوا إلى أية مؤامرة ترونها أو تحرك مشبوه ، فتخبروا بذلك .

كتب لي أحد البسطاء يقول : إنك قلت على الجميع أن يكونوا عيوناً راصدة ، لكن جاء في القرآن : ﴿ ولا تجسّسوا ﴾ .

صحيح ، ورد في القرآن ذلك ، كما ورد أمر واجب الطاعة أيضاً وهو أمر إلّهي ، ولكن القرآن طرح حفظ النفس أيضاً ، وحينما يكون الإسلام في خطر ، يجب عليكم جميعاً أن تكونوا عيوناً رقيبة للمحافظة عليه . إن أحكام الإسلام هي في صالح المسلمين ، ومن أجل مصلحة الإسلام . إذا وجدنا أنّ الإسلام في خطر

---

(١) سورة الحجرات ٤٩/١٢ .

ووجدنا أنهم يحوكون المؤامرات لقتل الأبرياء، فإنه واجب على الجميع أن يقوموا بالتجسس ؛ علينا جميعاً أن ننتبه ونرى جيداً ولا نسمح لهذه الغائلة بالوجود .

إن حفظ روح المسلم أعلى من كل شيء آخر ، والمحافظة على الإسلام اكثر أهمية من أرواح المسلمين .

إنّ هذا الكلام هو كلام الحمقىٰ الذي تبثه المجموعات المعادية بأنّ الجاسوسية ليست جائزة . نعم ، إنّ تجسسَ الفاسد ليس جائزاً ولكن الجاسوسية من أجل المحافظة على الإسلام وعلى أرواح المسلمين واجب على الجميع »[1].

وتفضّل الإمام القائد في مكان آخر قائلاً :

إنّني أقول : على أساس الواجب الشرعي والقانوني لجميع أبناء الشعب ، عليهم أن يلتفت كل منهم إلى بيتين أو ثلاثة بيوت في جوارهم ، فينتظرون ماذا يجري فيها . لما كانت البلاد جميعها لكم ، وتقوم الجماعات بنشاطات معادية لبلادكم ، عليكم أن تحلّوا هذه القضايا بأنفسكم » .

ثم يتفضّل سماحته قائلاً :

« إذا قامت الجماهير بهذه الأمور بصورة عملية ، بناء على التكليف الشرعي ، ومن أجل حفظ زمام المسلمين ، وحفظ أرواح عباد الله . وقامت الجماهير بالإشراف عليها ورأت ماذا يجري في هذه الدار أو تلك الدار، ومن هم الّذين يتردّدون عليها . وعندما يعرفون ويتحققون بأن هذا التردد مشبوه وأن هناك أفراداً مشبوهين في الدار، وأنّ مؤامرة تحاك ، عليهم إيصال الخبر إلى اللجان الثورية ، إلى حراس الثورة . . . وإذا استمرت الأعمال والتوجهات الجماهيرية لفترة قصيرة ، فسيتم عندئذ القضاء على جميع النشاطات المعادية »[2] .

(١) جريدة الجمهورية الإسلامية/ ٢٨، ٥، ١٣٦٠ .
(٢) جريدة الجمهورية الإسلامية ٣٢ ، ٥ ، ١٣٦٠ .

البحث الحادي والعشرون

الحرب التقليدية وحرب العصابات

يبدو من التمحيص ودراسة تاريخ الحروب بين الدول والشعوب بأنها وقعت على شكلين : فهي إمّا تقليدية وإما غير ذلك كـ « حرب العصابات » . والهدف من كليهما استسلام العدو ، أو إخراجه من أرضه وبلده ، أو الوصول إلى أهداف أخر .

ـ أمّا الحرب التقليدية : فهي أن تقع بين قطرين أو بلدين ، يستخدمان جميع المعدات والقدرات ، فيستفاد فيها من قوات المشاة والدبابات والمدرعات ، وتستخدم فيها القوات الجوية والبحرية وتستعمل أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة .

والحرب التقليدية تنقسم إلى قسمين :

أ ـ حرب تعرضية : وهي التي تستهدف الاستطلاع ، أو التفحص مجدداً عن قدرات العدو من حيث تنظيمها وتنقل وحداتها ، وقد تستهدف القضاء على العدو وإبادته، كما بدت مثل هذه الأهداف في كثير من الغزوات .

جاء في التاريخ أن النبي الأعظم (ص) بدأ بالتحرشات العسكرية مع الالتفات إلى الأهداف المذكورة في غزوة بدر ، وحنين ، وفتح مكة ، وتبوك ، وغيرها . وقد أشرنا إلى بعضها في بحث الاستطلاع .

أما الأمر الأساسي الذي لا بُدّ للقائد أن يعيره كل اهتمامه ، فهو الالتفات إلى أن التحرشات العسكرية تستلزم بالاضافة إلى وحدة القيادة لكل القوى المشاركة في

المعركة ، تنسيقاً تاماً بين الوحدات ، بحيث لا يبدأ أحدها بالقتال إلا بعد صدور الأمر من قبل القائد ، في الفرصة السانحة لذلك .

ب : **حرب دفاعية** : إذ يدافع المقاتلون عن أنفسهم وعن المسلمين عموماً ، فعلى القائد أن يهتم بتحصين مواقع قواته المواجهة لقوات العدو للدفاع عنها بالطريقة الفضلى ، ومنعاً لاختراقها مع الاهتمام ببث العيون والأرصاد حول جيش العدو ، وفي داخله ، بغية تثبيط عزائمهم وتوهين أمرهم ، وقد وقع في غزوة الأحزاب .

إن أحزاب المشركين خرجوا بقيادة أبي سفيان وكان عدد مقاتليهم عشرة آلاف جندي ، ومعهم ثلاثمئة فرس ، وألف وخمسمئة من الإبل ؛ وتم تقسيمهم إلى ثلاثة أقسام لاحتلال المدينة المنورة ؛

وفي الوقت نفسه كان عدد مقاتلي المسلمين ثلاثة آلاف ، فلما سمع رسول الله بذلك ـ قبل وصولهم ـ جمع أصحابه وشاورهم واتخذوا قراراً بأن يبقوا في المدينة ، يدافعون عنها وعن أنفسهم[١] .

وهنا نشير إلى بعض خصائص هذه الغزوة ، فهي ، بحق ، معيار ومقياس للحروب الدفاعية .

١ ـ اجلاء النساء والصبيان والشيوخ من أرض المعركة إلى حصن دفاعي ، كما أجلى المسلمون النساء والذراري والصبيان إلى الآطام[٢] التي خندق حولها بقباء « مجاري المياه وفوقها جسر »[٣].

٢ ـ وَضَعُ دوريات استطلاعية في داخل المدينة تحرسها كل ليلة حتى الصباح ، لأن المسلمين كانوا لا يأمنون بني قريظة وهم من اليهود الذين كانوا أشد الناس عداوة للمسلمين ، وربما تستغل الأحزاب ذلك ضد المسلمين في فرصة مؤاتية لهم[٤] .

---

(١) الكامل لابن الأثير .
(٢) جمع أُطم وهو حصن دفاعي مرتجل يصنع من قضبان الحديد وأرومات الشجر وغيرها .
(٣) المغازي ج ٢ ص ٤٥١ .
(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧ .

٣ ـ أمر النبي (ص) بحفر الخندق كما اقترح سلمان الفارسي رضي الله عنه . مقابل المنافذ ، الرئيسية وغيرها ، وكان طوله ٥,٥ كيلومتراً وعرضه ١٠ أمتار وعمقه ٥ أمتار . مع الإشارة إلى أن حدود المدينة ينتهي بعضها إلى الجبال ، كما ينتهي بعضها الآخر إلى أرض صوانية ذات حصباء[١] .

٤ ـ هكذا أمر النبي (ص) بإنشاء التلال ذات الأهمية الاستراتيجية محاذية للخندق ، وكانت مشرفة على الطرق الرئيسية ، وكان المسلمون يراقبون العدو ويرشقونهم بالنبل من تلك الثغرات ، عندما يحاول بعض أفراده التسلل .

٥ ـ أرسل النبي (ص) بعض المتسللين إلى الأحزاب للاستطلاع عن قدراتهم كماً وكيفاً كما تم إرسال حذيفة بن اليمان ، لإشاعة البلبلة بين صفوف العدو ، وكما فعل كذلك « نعيم بن سعود » ، الذي أفشل للعدو خططه .

يضاف إلى ذلك المقاومة الباسلة التي ابداها المسلمون مما أجبر العدو على الانهزام الأمر الذي ترتّبت عليه خسارات جسيمة إذ قُتِل عدد من خيرة فرسانهم مثل عمرو بن عبد ود .

٢ ـ حرب العصابات :

وهي نوع آخر من القتال . يستفاد فيها من القوات الخاصة لتنفيذ عمليات استطلاعية أو حربية أو كليهما ، ويختلف تعداد القوات وفقاً للأمور الداعية لذلك وتستهدف في حرب العصابات الأمور التالية :

أ ـ استطلاع عن تنظيم قوات العدو ورصد لحركاتها .

ب ـ إرباك خطط العدو .

ج ـ ثبوت الحماية لنقل طابور الآليات .

د ـ إثارة فزع العدو وادخال الرعب في قلوبهم .

هـ ـ تدمير آليات العدو وقواعده .

---

(١) المترجم من كتاب « تاريخ يامبر اسلام » ص ٣٥٣ .

حرب العصابات تنقسم إلى قسمين : ١ ـ عمليات الاكتساح . ٢ ـ عمليات الفخّ ؛ وهما أهم خطط هذه الحرب .

عملية الاكتساح : وهي عملية تقوم بها دورية قتالية خاطفة ، مع مباغتة العدو لتحقيق الأهداف المذكورة ، وعلى المقاتل أن يلتفت لخاصية هذه العملية ، فهي : أن تكون سرية وسريعة وقوية في آن . وعلى القائمين بها أن يسرعوا منسحبين بعد أن تكون قد حققت عمليتهم أهدافها ؛ وقد عرفت الحروب الإسلامية مثل هذه العملية لاسيما في زمن الرسول الأعظم (ص) ، تحت عنوان « السرايا » . ومفرد الكلمة « سرية » ، وهي قطعة من الجيش تسري خفية إلى العدو لشن حرب خاطفة . وتنقسم عملية الاكتساح أو السرية إلى قسمين : ١ ـ دورية طويلة المدى . ٢ ـ دورية قصيرة المدى .

وقد ذكرنا في بحث الاستطلاع نموذجاً عن الدوريات المراصدة ، ونذكر هنا النص الآخر ، ومنها ـ دورية حربية بعيدة المدى لإرباك خطط العدو .

حدثني عبدالله بن جعفر . . . قال : بعث رسول الله (ص) . علياً (ع) في مائة رجل إلى حي سعد بن بكر بفدك ، إذ بلغ رسول الله (ص) أنهم جميعاً يريدون أن يمروا بيهود خيبر ، فساروا الليل وكمنوا النهار ، حتى انتهى إلى الهَمَجْ « ماء بين خيبر وفدك » فأصابوا عيناً ، فقال (ع) :

هل لك علم بقبيلة سعد بن بكر ؟ فقال : لا علم لي بها .

فشددوا عليه فأقرّ أنه عين لهم ومندوبهم، بل هو مبعوثهم إلى خيبر ؛ لكي يعرض على يهود خيبر نصرهم ، على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم .

وسئل : فأين القوم ؟

فقال : تركتهم وقد تجمع منهم مئتا رجل ورئيسهم ـ وبر بن عُلَيْم .

فقالوا : فسر بنا حتى تدلنا ، قال : على أن تؤمنوني .

قالوا : إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم أمّناك ، وإلاّ فلا أمان لك . . .

قال : فذاك . . .

فلما عرفوا أنعامهم وشياهم . . . هجموا عليهم ، فتفرق هؤلاء وهربوا .

قال علي (ع) : لم نبلغ معسكرهم ، فانتهى بهم إليه فلم يرَ أحداً ، فمكث

- (ع) - مع أصحابه ثلاثة أيام ، فرجعوا يسوقون من الغنائم خمس مئة بعير وألفين شاة[١] .

وفي النهاية كانت ، نتيجة العمليات إثارة فزع العدو وارتفاع المعنويات في القوات الإسلامية[١] .

ومنها - دورية قتالية لتدمير آليات العدو وقواعدها :

حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز : قال : سمعت عبدالله بن أبي بكر بن حزم يقول لموسى بن عمران بن مناخ ، وهما جالسان عند البقيع :

هل تعرف سرية الفُلس ؟

قال موسى : ما سمعت بهذه السرية .

قال : فضحك ابن حزم ثم قال :

بعث رسول الله (ص) علياً (ع) في مائة وخمسين رجلاً على مائة بعير وخمسين فرساً ، وليس في السرية إلا أنصاري ، وفيها وجوه الأوس والخزرج ، فاجتنبوا الخيل واعتقبوا على الإبل حتى أغاروا على أحياء من العرب ، وسأل عن محلة آل حاتم ، ثم نزل عليها ، فشنوا الغارة مع الفجر ، فَسَبوا حتى ملأوا أيديهم من السَبْي والنعم والشاء ، وهدموا الفلس وخربوه ، وكان الفلس صنماً لطَيّ ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة[٢] .

عملية الفخ : وهي اجتياح العدو بغتة من مكان مستور وضرب أهدافه المتحركة ، كقوات المشاة ، أو طابور آليات وغيرهما المرسلة إلى مدينة أو قاعدة خاصة ، وهذه العملية تحول دون العدو وتحقيق أهدافه وتتحقق هذه لو التفت القائد والمقاتلون إلى ضوابطها وشرائطها .

إن اكثر حروب العصابات تكون من هذا النوع ويفهم من ظاهر الآية الكريمة التي تأمر بقتال المشركين أن المقصود هو هذا النوع من الحروب ، وهو مشهور في

---

(١) هذه السرية حدثت في السنة السادسة من الهجرة ، والمسافة بين المدينة المنورة وفدك مسير ستة أيام .

(٢) المغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٨٤

(٣) المغازي للواقدي ج ٣ / ٩٨٤ .

تلك الأيام ، حيث يقول : عزّ من قائل : ﴿ **واقعدوا لهم كل مَرصَد** ﴾ . المرصد : هو موضع الرصد والترقب .

نقل في تفسير مجمع البيان حول هذه الآية الشريفة :

« بكل طريق . وبكل مكان تظنون أنهم يمرون فيه ، ضيّقوا المسالك عليهم ، لتمكنوا من أخذهم »[١] .

جاء في التاريخ :

بعث النبي (ص) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البحر ، من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين للتعرض لقافلة قريش وليس فيهم من الأنصار أحد فكمنوا ، ولقوا أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمئة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم ـ مجدي بن عمرو الجُهني ـ وكان موثوقاً عند الفريقين ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يحدث بينهم قتال .

ونظير هذه السرية : سرّية عبدالله بن جحش ، التي حدثت قبل غزوة بدر الكبرى ، وقتل فيها بعض الأشخاص .

يستفاد مما سبق أن محاربة العدو تقتضي القتال والمواجهة بشكل تقليدي ، أو بحرب خاطفة ، هي حرب العصابات ؛ ولا شك في جواز النوعين ، حيث تشمل الآيات الكريمة وسيرة النبي الأعظم . (ص) كلاًّ من الغزوات والسرايا .

وهنالك بشكل ثالث من أشكال الحرب . خارج عن القوانين التقليدية ، كما إذا أمر الإمام المعصوم ـ (ع) أو أفتى الولي الفقيه بالتصدي للعدو بأيّ نحو ممكن ، حينذاك وجب على كل مسلم أنْ يؤدي واجبه وفق حالاته الشخصية ، وأن يدافع عن دين الله تجاه العدو كما يدل عليه قوله تعالى .

﴿ **فإذا إنْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقتلُوا المشركينَ حيث وَجَدْتُموهم ، وَخُذوهُم واحصُروهُمْ واقعدُوا لهمْ كلَّ مَرْصَدٍ ، فإنْ تَابوا وأَقاموا الصلاة وآتوْا الزكاة فخلّوا سبيلهم ، إنّ الله غفور رحيم** ﴾[٢] .

---

(١) مجمع البيان سورة التوبة : ٥/٩ .

(٢) سورة التوبة : ٩/الآية ٥ .

وتشمل هذه الآية النوعين « حرب العصابات » والتعبئة العامة في الحـرب كما وضحناها ، وهذا أي الشكل الثالث ضروري ، إذا لم توجد فـرصة تنـظيم مواجهـة العدو ، وإلّا وجب على الحاكم الإسلامي أن يحارب العدو بأسلوب خاص .

نعم ، إن الله عزّ وجلّ حذر الكفار في مـواضع عـديدة ، وأمهلهم مـدة معينة « أربعة أشهر » لكي يفكروا ويعودوا إلى فطرتهم ، ويصححوا سلوكهم . ولكن حينما ألحـوا وأصرّوا على كفـرهم وشركهم ، أمـر ـ عز وجـل ـ بقتلهم وإبادتهم بـأي نحو ممكن .

البحث الثاني والعشرون

الحرب النفسية

إن الانتصار في كل حرب يعود إلى عدة أسباب وعلى رأسها اثنان :

أ ـ المعنويات العالية للجنود .

ب ـ تزويد الجيش بالآليات الحربية الحديثة .

ونحن نعتقد أن الأمر الأول أهم من الثاني ، وأن الجنود المتمتعين بالمعنويات العالية بوسعهم أن يتغلبوا على قوات العدو المجهزة بالآليات الحديثة ، كما شوهد في جبهات القتال في الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

وأن الآليات الحربية وصنوها المعنويات العالية ، يتلازمان ويتكاملان للانتهاء بالنصر الأكيد ! . .

ونِعْمَ ما قيل في ما للمعنويات في الحرب من شأنٍ خطر : « إن الجيش الذي يكبد العدو خسائر بالرجال والمعدات ليس جيشاً منتصراً ، بل إنّ الجيش المنتصر هو الذي يَحطّم معنويات العدو ، فالقتال أساساً هو كفاح معنوي »[1] .

أمّا تعريف الحرب النفسية : فيتلخص ببث الأخبار المدروسة والإجراءات المعنوية لإشاعة البلبلة الفكرية عند العدو التي تنتهي باستسلامه[2] .

---

(١) نقلاً عن كتاب محمد (ص) وأسلوب الحرب ، القائل : الجنرال بيريه في كتابه الذكاء والقيم المعنوية في الحرب .

(٢) عمليات ويره دانْشكده‌فرماندهي وستاد « المترجم إلى العربية » .

أمّا ولا علم لنا متى بدأ الانسان المقاتل باستغلال الحرب النفسية ونلاحظ بأنها استغلت في الحروب الكبرى العالمية ، وتبين أنّها قد تقلب الأمور رأساً على عقب وتؤثر أثراً شديداً على الجنود ، لدرجة استسلامهم . ذكر في التاريخ أن قوات بريطانيا . وفرنسا وأمريكا ، استغلوا الحروب النفسية في الحرب العالمية الاولى ، فشكّلوا خلايا معينة مهمتها ايقاع البلبلة واشاعة الاضطرابات في صفوف العدو ، كتوزيع المنشورات والجرائد الإعلامية بواسطة الطائرات والمدفعيات وغيرها ، كما وسّعوا نطاق ذلك في الحرب العالمية الثانية لتعزيز العمليات العسكرية ، لاسيما عند محاربة بولونيا ، وهولندا وتشيكوسلوفاكيا ، والنمسا وبلجيكا وفرنسا و . . .

ونذكر هنا نموذجاً من هذه الإجراءات النفسية في حرب كوريا ضد السوفيات :

فعندما وقعت الحرب بينهما هاجمت الطائرات المقاتلة السوفياتية كوريا فتصدت لها القوات الكورية بالتعاون مع قوات الأمم المتحدة ولكن ضغط الطيران السوفياتي كان شديداً ، فقرّر رأيهم جميعاً على ضرورة الحصول على الطائرة السوفياتية MIG. 15 سالمة . بأية وسيلة ممكنة للوقوف على سرها العسكري حينذاك . ووافق الجنرال كلارك، القائد العام لقوات الأمم المتحدة على استخدام أسلوب الدعاية والترغيب للحصول على مثل هذه الطائرة .

وعلى هذا الأساس : وزعت المنشورات بلغات متعددة « الكورية والصينية والسوفياتية » :

« كُلّ من يلجأ بطائرته ، سينال خمسين ألف دولار ، وسيصبح حراً تماماً بعد اللجوء هذا ، وأضافوا ـ فيما بعد ـ ان من يقدم على هذا الأمر سينال خمسين ألفاً إضافية ، لذلك يطلب من الطيار أن يتخذ مسيراً خاصاً حددناه ، وأن ينتبه إلى إشارة الرادار ، كي لا تصاب طائرته بالصواريخ الموجهة ضدها .

وبعد ثلاثة أسابيع نزل أحد الطيارين مع طائرته ، متظاهراً بعدم تأثره بالمنشورات التي سبق توزيعها بكافة الوسائل ، ولكن علم من شاشة الرادار وكيفية نزوله أنّه متأثر بذلك كل التأثر .

نتائج للحرب النفسية : بعد مضي عشرين يوماً على هذه الحادثة تم إسقاط ثلاثة وخمسين سرباً من المقاتلات السوفياتية ، بينما سقطت في الوقت نفسه من

طائرات كوريا والأمم المتحدة أربع مقاتلات فقط ، والأعجب من ذلك أنه بعد مضيّ عشرين يوماً أخرى ارتفع عدد الطائرات السوفياتية التي أسقطت إلى مئة وسبعة أسراب .

بعد ذلك ، لم تظهر واحدة من الطائرات السوفياتية في سماء كوريا لمدة ثمانية أيام ، لأن السوفيات أرغِمُوا على مناقشة كفاءة الطيارين ، وأظهرت المناقشة والبحث بأن الحرب النفسية هبطت بمعنويات طياريهم ومستوى كفاءة هؤلاء الطيارين ، وهكذا ، فهزيمة العدو ، في تدمير معنوياته وبذر البلبلة في صفوف قواته ، واشاعة الاضطراب[١] .

ومن المعروف إن القوات المسلحة غير الإسلامية لا تتوقف في سبيل تحقيق أهدافها ، عند حدود ، ولا تتورع عن ارتكاب أي عمل ، مهما كان فظيعاً ، لتدمير معنوياته .

الحرب النفسية في المعارك الإسلامية

من وقف على الغزوات أو الحروب التي حدثت في بداية الإسلام يدرك جيداً بأنّ الحرب النفسية كان لها شأنها الخطير وأنّ النبي (ص) وأصحابه الكرام توسلوا بها سبيلا يغنيهم عن المعارك الدامية .

والآن ينبغي هنا أن نشير إلى بعضها حسب العناوين التالية :

١ ـ الخطط الأجرائية لتحطيم معنويات العدو .

إن النبي (ص) اتبع أسلوب الضغوط النفسية ، المخطط له بدقة بحيث لا زال حاضراً في أذهان الناس ، ولا سيما العسكريين منهم ؛ منذ فتح مكة .

وهي : أنّ النبي (ص) وأصحابه الكرام مشوا مسافة بعيدة ليلاً من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، فقد اتخذ النبي (ص) وأصحابه الليل جملاً في زحفهم من المدينة باتجاه

---

(١) عمليات ويجه : دانشكده مز ماندهي وستاد ص ٣ ـ ٧ : وترجمتها إلى العربية : (عمليات للقوات الخاصّة ـ مركز القيادة ص ٣ ـ ٧) .

مكة ، ولما نزل رسول الله (ص) أمر أصحابه أن يحاصروا مكة المكرمة في أول الليل وأن يوقدوا النيران ، فأوقدوا عشرة آلاف نار .

وبوغت أهل مكة بإحاطة النيران بهم ، والحصار المفروض عليهم ، فانهارت معنوياتهم ، وزلزلوا زلزالاً شديداً . وطلبت قريش من أبي سفيان ، أن يفاوض رسول الله (ص) بالتسليم والأمان .

خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام كي يطلبا من رسول الله (ص) أماناً ، فلقيا العباس بن عبد المطلب ، فسألاه : ما وراءك يا عباس ؟

فقال : هذا رسول الله (ص)مع عشرة آلاف مع المسلمين ، فاسلم ، ثكلتك أمك وعشيرتك .

ثم أقبل على حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ـ فقال : أسلما ، فإني لكما مجير ، حتى تنتهوا إلى رسول الله (ص) فإني أخشى أن تقطعوا دون النبي (ص) .

قالوا : نحن معك .

فخرج بهم العباس حتى أتوا رسول الله ، قال رسول الله (ص) :

تشهدون أن لا إلأله إلّا الله وأني رسول الله ، فأقروا بالشهادتين .

ثم قال (ص) لعمه العباس : إذهب إلى منزلك .

وهكذا أسلم بالتالي أهل مكة جميعاً تبعاً لأبي سفيان وحكيم وبديل ، وخوفاً من قوة المسلمين ـ بالجملة .

كما استولى المسلمون على مكة المكرمة ، وطهّروها من الأصنام والأوثان ، سلماً دون سفك دم ولم يتم ذلك إلّا بفعل الحرب النفسية تعززها القوة العسكرية الضاغطة(١) .

٢ ـ بث الإشاعة بواسطة المتسللين أو « الطابور الخامس »

حاصر الأحزاب المسلمين في المدينة شهراً كاملاً ، فجاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله (ص) وقال :

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢/٨١٤ .

يا رسول الله أني حديث عهد بالاسلام ، ولم يدرِ بذلك أحد من الكفار ـ فلو عهدت لي بأمرٍ يكون لك فيه رضى .

قال رسول الله (ص) : « إنّما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإنّ الحرب خدعة » .

وخرج نعيم بن مسعود من عنده مزمعا على بث الخلف بين الأحزاب اولاً إلى بني قريظة ـ وكانوا قد عاهدوا الأحزاب إذا هوجم المسلمون من ظهورهم أن يعاضدوهم من جانبهم ـ وقال :

يا قوم! . . . اني أراكم على أمر ليست عليه قريش وغطفان . إنكم تعيشون في هذه المدينة مع أهليكم وأنتم أهل حضر ولا تقدرون على الرحيل إلى مكان آخر كما يفعل أهل الوبر فعليكم أن تكونوا من الأحزاب على حذر انهم لن يقر لهم قرار في هذه الأرض ، بينما ستبقون وحدكم تواجهون محمداً وأصحابه ففكروا في عاقبة أمركم » .

وفعلت هذه الكلمات فعلها في نفوس القوم: وتساءلوا عن الرأي في ما بينهم، فاقترح نعيم بن مسعود عندئذ على بني قريظة ـ قائلاً ؛ عليكم أن تطلبوا من الأحزاب أن يرتهنوا عدداً من اشرافهم عندكم للاطمئنان الى انكم ستحاربون إلى جانبهم حتى النهاية . فوافق بنو قريظة على هذا الرأي .

ثم خرج نعيم بن مسعود واتجه إلى معسكر الأحزاب فاجتمع بوجوههم وقال لهم ، لقد جئتكم بنبأ حلفاءكم من بني قريظة ، فقالوا ؛ وما هو؟

قال ؛ إن حلفاءكم الذين تزعمون ندمواعلى تعاونهم معكم ، وعلى نقض ميثاقهم مع صاحبهم ، وأزمعوا على معاودة الاتفاق معه ، لذلك قرروا أن يسترهنوا لديهم عدداً من أشرافكم ، ثم يسلموهم إلى محمد (ص) تأكيداً منهم لتوثيق عهدهم معه . كما اتفقوا معه على التعاون واياه حتى تقع الحرب أوزارها .

وأردف قائلاً : إن اردتم التثبت من قولي فاطلبوا منهم النصرة في الحرب ضد محمد وأصحابه . وعند ذلك ، توقنون بصدق ما أقول .

وما أن انتهى نعيم بن مسعود من كلامه حتى غشيت سامعيه حيرة ، وساورهم بلبال .

فاختارت قريش وغطفان من بينهما رجالاً أوفدتهم إلى بني قريظة ، يفاوضونهم في بدء الحرب ، فتململ بنو قريظة بعض التململ ، ثم أعلنوا .

إن اليهود مسبتون غداً . ونحن ، من جهتنا مستعدون للحرب ولكن شرط ايداع بعض كرامكم عندنا حتى تضع الحرب أوزارها فلما سمع وفد قريش وغطفان ذلك أدركوا أن ما جاءهم به نعيم بن مسعود ، هو الصدق بعينه ، فقفلوا عائدين إلى مكة وقد غلب عليهم يأس وحنق شديدان[1] .

وهكذا انتهى نعيم بن مسعود بالسعي بين الفئتين فصم عرى الاتفاق بينهما .

٣ ـ استغلال مقدسات العدو

وهذا أسلوب آخر في الحروب النفسية يحتاج إلى معرفة ثقافة العدو لاشاعة البلبلة بين صفوفهم وبالتالي إرباكهم اذ لا بدّ أن تستغل مقدسات العدو في ظرف لا يتاح فيه مجال لإحباط مؤامراته . فإذا استفدنا من هذا الأمر مع مراعاة الشروط لاشتبه الأمر على العدو وتبلبلت أفكاره .

وقد ذكر في التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان لما رأى اشتداد الحرب في صفين ، وخاف أن تدور الدائرة عليه ، التفت الى عمرو بن العاص ، قائلاً له : ماذا أعددت لمثل هذا الحال ؟ . فأجابه :

أعرض عليك أمراً لا يزيدنا إلاّ اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلا فرقة ، فسأل : ماهو ؟ قال : نرفع المصاحف ثم نقول لهم : هذا حكم بيننا وبينكم ؛ هذا كتاب الله بيننا وبينكم . فإن أصرّ بعضهم على الحرب وجد آخرون يصرون على وقف القتال وهكذا يشملهم تنازع وتخاصم ، ويرفع القتال عنّا إلى أمد ننهي الحرب بعده على ما نريد وانتهى امر رفع المصاحف كما اراد منه عمرو بن العاص ووقعت الفتنة في جيش أمير المؤمنين (ع) الذي انبرى لأصحابه محذراً :

« عباد الله ، امضوا على حقكم ، وصدقكم وقتال عدّوكم ، فإنّ معاوية ، وعمراً ، وابن أبي معيط ، وخبيباً ، وابن أبي سرح ، والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً ، فكانوا شر أطفال

(١) السيرة لابن هشام ج ٢٣٥/٣= السيرة الحلبية ج ٣٢٢/٢ .

وشر رجال ، ويحكم ، والله ما رفعوها الا خديعة ، ووهناً ومكيدة » .

ولكن واأسفاه ، فإن الحرب النفسية من قبل معاوية آتت أُكُلَها ، لدرجة أن أعلن بعض جند الامام بعد إلحاح أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) على القتال فقالوا له :

لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ فنأبى أن نقبله .

وقال آخرون : يا علي أجب إلى كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ إذ دعيت إليه ، وإلاّ دفعناك برّمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان[1] .

لقد عمل هؤلاء المتسلّلون المتأثرون بدعايات معاوية ، فانقلبت الأمور والحقائق في المجتمع الإسلامي والعالمي . إذ لو انتصر علي بن أبي طالب (ع) لانتصر الحق على الباطل ، ولاستبانت حقائق الأمور ناصعة بيضاء ! . . .

٤ ـ بثّ إشاعات السلام

إن الحرب عمل وحشي ، تختلف فيه الغرائز والنزعات ، ويتحول الإنسان فيه إلى قاتل هدام ، يعطل الأرض مما عليها من وجوه الحضارة . مما يثير الشحناء والبغضاء بين أفراد العالم وشعوبه ، فتنفر من الحرب الطباع وتشمئز منها النفوس وقد اشار الله تعالى . إلى ذلك بقوله عزّ وجلّ فقال :

﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم . . .** ﴾.

على هذا الأساس ، إذا طرح العدو فكرة السلام . مكيدة منه كي يجدد قواه ، أو يجمع قواته المتفرقة ، أو يبدل تقنية الحرب ، أو يتسنح فرصة ليلتقط جنوده أنفاسهم ، أو يلحق بمكان آخر، منسقاً ذلك مع خلايا جواسيسه في الداخل فاذا أصغى لنداءاته بسطاء الناس ، دون وعي منهم لأهدافه الشريرة ، فسيتحول السلام المدعى إلى حرب نفسية يشنها العدو ، مما يسيء اساءة شديدة إلى معنويات الجيش المصمم على الشهادة أو النصر ، ويتحول النصر إلى جانب العدو ، هذا دون تنسيق مع جماعات في الداخل ، فإذا تم له ذلك أصبح انتصاره أمراً مفروغاً منه .

لقد دعا معاوية إلى الصلح وحقن دماء الجيش العراقي ، بقيادة الإمام

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ / ٣١٦

الحسن (ع) . وكانت هذه الدعوة مستساغة مقبولة ، رحّب بها البسطاء والسذج ، بالإضافة إلى الطابور الخامس الذي بثه معاوية وأذنابه ، بين جند الإمام الحسن بن علي (ع) ، ولم تكن أكثرية الجيش تعلم بنوايا معاوية ، فانخدعوا بدعوته .

فلما وصل جيش الإمام (ع) إلى مسكن وكان مؤلفاً من اثني عشر ألفاً من فرسان العرب ، نودي في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد الإمام (ع) المنبر ، فخطب فيهم مشجعاً ، محذراً ، واعظاً ، دون أن تؤثر كلمات الإمام فيهم ، بل لما انتهى من كلامه ـ نظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ماذا يريد بما قال ؟

أجاب الآخرون : نظنه يريد أن يصالح معاوية ويكل الأمر اليه[1] .

فلم يكن باستطاعة الامام (ع) أن يرغمهم على مناجزة معاوية ومقاومته ، لاسيما أنّ معاوية أفسد ذمم الرجال بأمواله ، فانخدع به كثيرون ، منهم عبيد الله بن العباس ، بالاضافة إلى ما كان يشيعه من الدعوة إلى السلام ، كما صرح في رسالة معاوية إليه[2] . ونِعْمَ ما هجا بعض الشعراء شخصاً قتل في تلك المعركة إذ مال مخاطباً أبناء المقتول :

ولا في سبيل الله لاقى حمامه أبوكم ، ولكن في سبيل الدراهم[3]

مواجهة الحرب النفسية

بعدما ذكرنا دور الحرب النفسية وكيفّية تنفيذها وجدنا إنها تتحقق في مرحلتين :

١ ـ تخطيط الدعايات والحروب النفسية وتنفيذها .

٢ ـ مكافحة هذه الحرب .

والثانية أهم من الأولى ، إذ ربما بدأ العدو بها ، فالواجب عندئذ احباط دعاياته ، كما لو نشر العدو أخباراً وأحاديث أو وثائق سرية ، أو أفلاماً ضدنا ، فنحن

---

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٤/٤ أربع مجلدات صلح الحسن/ ١٤٢ .

(٢) إن الحسن سيضطر إلى الصلح ، وخير لك أن تكون متبوعاً ولا تكون تابعاً . . . وجعل له فيها ألف ألف درهم .

(٣) حياة الإمام الحسن بن علي/ج ١٢٣/٢ .

نـواجهه بنشـر الأكاذيب ضـده ، أو الإكثـار من ذكـر اسـراه . أو بَث غيـر ذلـك من الاشاعات التي تؤدي بالعدو إلى الانحراف عن أهدافه ، متأثراً بهذه الاشاعات ، أو التعتيم على بعض الأخبار من أجل هذا ربما يكون كتمان بعض الأخبار سبباً لتقـوية معنويات الجيش .

ونشيـر هنا إلى حـادثة تـاريخيـة لمـواجهـة الحـروب النفسيـة ، وهي : كان المسلمون في أشد حالات الضيق والضنك عندما حوصروا في غزوة الأحزاب .

علم النبي (ص) بمؤامرات الأحزاب ، ونقض بني قريظة عهدهم . أرسل (ص) سعـد بن معـاذ وسعـد بن عبـادة إليهم لكي يستـطلعـا مـا رَشَـحَ عنهم من أنبـاء وأوصاهما بكتمان ما سيعـرفانـه والصمت وقد تبـين له (ص) معـاهديـه كانـوا لجأوا إلى تكذيب خبر نقض عهدهم، إن كانوا من ذلك بـراء. وزيادة في الحيـطة والحذر، جعـل بينه وبينهما كلمة سر ، هي : « عضل ـ قارة » ، ان عادا ووجدا عنده بعض الناس .

انطلق الرجلان إلى بني قريظة ، وعادا لتوهما بأخبار غير مرضيـة ، إلى النبي (ص) ولجأ إلى كلمة السر ، فقالاهـا ، حينذاك صـاح رسول الله (ص) الله أكبـر ، أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح بنصر الله وعونه[١] .

إن هذا الأسلوب من التعامل مع الاعداء قوى معنويات المسلمين ، فنشطوا.

ونخلص إلى القول ، بأنه : إن حارب المسلمون اعداء الإسلام قديمـاً بقيادة الرسول (ص) وأولي الأمر ، فإنهم في هـذه الأيام هـذا اليوم يحـاربون بقيـادة ولاية الفقيه الحكيمة وقـد أوجب الله تبارك وتعـالى إطاعتـه ، وان كلمة منـه أو خطة ، أو اصدار حكم شرعي ، كفيل باحباط مؤامرات العدو ، واحباط مخططاته ، ورد كيده إلى نحره ! . . .

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢/٤٥٩ = السيرة لابن هشام ج ٣/ ٢٣٣ .

البحث الثالث والعشرون

أين يصلح القتال ، في المدينة أم خارجها؟

قد تكون المدن ميداناً للحروب ، وقد لا تكون ولكل منهما مزّية على الأخرى ، كما حدث ذلك في غزوة الأحزاب في المدينة المنورة ، وغزوة بدر وأحد خارجها ، ولكن أيّها الأكثر ملاءمة ؟

لا يخفى أن دراسة هذا الأمر يتعلق مباشرة بالجند كماً وكيفاً ، بالإضافة إلى ما لطبيعة الأرض ، والجو وغيرهما من تأثير مباشر .

ولكن العقل يحكم بالضرورة لكل قطر أوحكم إذارابه تحركات العدو أن يستعد لمواجعة العدو ومنازلته خارج الحدود ، بحيث تقع الحرب بعيداً عن المدن ، حذراً من أن تصاب بالدمار والخسائر، فينهك الجند والأهلون. وربما كانت المدينة تشمل مخازن الوقود أو المعادن أو مصانع كبيرة ، ولو تسلط العدو عليها بنيرانه أو بالاحتلال لانقطعت الجذور الاقتصادية ، أو انقطع شريان حياة البلد أو الحكم ، لاسيما في هذا اليوم الذي تغيّرت فيه تقنية الحرب بواسطة الأسلحة الحديثة ، مثل الهاونات والدبابات والمدافع بعيد المدى ، والصواريخ بشكل خاص ، تلك التي تصيب حممها الأهداف على مسافة مئات الكيلومترات وربما أكثر ؛ وهكذا ، كلما كانت الحرب بعيدة عن المدن تقلّ كمية الخسائر .

وأجمل ما قال أمير المؤمنين (ع) في هذا الخصوص ، قوله : « وقلت لكم :

اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غُزِيَ قوم قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا »[١] .

ثم إنه (ع) عاتب عدّة من الناس الذين قعدوا في بيوتهم وسجلوا بمظاهر الحياة الدنيا من الأموال والأولاد ، حتى هاجمهم العدو في عقر دارهم فقال (ع) :

« . . . فتواكلتم وتخاذلتم ، حتى شُنّتْ عليكم الغارات ، ومُلِكَتْ عليكم الأوطان »[٢] .

بينما وبالعكس تقتضي قلة القدرات العسكرية في أحيان أخرى بقاء القوات المسلحة في المدينة ، للدفاع عنها ، كما أمر النبي (ص) بالبقاء في المدينة المنورة للدفاع ضد الأحزاب . . . وهكذا أمر في غزوة أحد بالدفاع من داخل المدينة ضد المشركين ، ولكن المسلمين ألّحوا على الخروج ، فخرج (ص) مع المسلمين لمحاربة المشركين ولكن هذا الخروج أدى إلى اصابة الكثير من الصحابة ، بين جريح وقتيل كما أسفر عن الهزيمة .

كيفية الانتقال إلى أرض المعركة

بعد أن يقرر القائد مناجزة العدو ، يحرك قواته . بأسلوب خاص ، فإن وصلت وحدات الجيش هذه إلى ساحة القتال نشيطة سالمة ، ومعبأة للقتال ، فسيهزم العدو ؛ وإن لم يلتفت القائد والقوى المسلحة إلى نقاط هامة جديرة بالإهتمام . كان تبتلى فصيلة من الجيش بالأمراض مثلاً ، أو أن تقع في كمين فتفشل ، فستتعرض بقية القوى للفشل ، إذ باستطاعة العدو أن يستطلع ويستخبر بواسطة الطابور الخامس ، فيشن على قطع الجيش الغارات ، وينصب لها الأفخاخ والكمائن ، وقد يستخدم العدو في ذلك طابوره الخامس من عملائه الداخليين ، يزرعون البلبلة ، ويقيمون العوائق ، ويسببون المصاعب وغيرها .

لذا بات من واجب القائد أن يخطط الأمور التالية عند حركة فصيلة من الجيش إلى ساحة القتال وينفذها في الأماكن والأوقات :

١ ـ أن يطلع مسؤولي المحافظات والمدن سراً وعلناً ليسهلوا مرور قطعاته

(١)و(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ .

العسكرية ، برفع الموانع والمعوقات التي تحول دون الجيش وسرعة تقدمه ، كما كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :

أمّا بعد فإني قد سيّرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله ، . . . وكفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم والتعرض لهم ، فيما استثنيناه منهم »[١] .

٢ ـ أن ينتخب القائد أقصر الطرق وأسهلها ممراً لجيشه إلى ساحة القتال ، فقد يحتاج إلى المناورة والتدريب ومعرفة المواضع وتثبيتها . كما حدد عيون الرسول (ص) طريق مكة المكرمة عند تحرك جيش الإسلام نحوها لفتحها .

٣ ـ أن يرسل القائد دوريات استطلاعية كمقدمة للجيش، كي تكتشف وتتعرف على المواضع التي يمكن أن تكون مرصداً للعدو ومنطلقاً له منها وعند الاطمئنان يُحرك وحدات الجيش .

وقال علي (ع) في هذا الموضوع :

واعلموا أنّ مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم »[٢] .

وكذلك فإن الوحدات تحتاج إلى قوة الحماية من الخلف ، لئلّا يهجم العدو عليها وعلى القوات الرئيسية ، لاسيما في زماننا هذا ، حيث حركة وحدات الجيش في الطريق تحتاج إلى وحدات خاصة تفتش الطريق بحثاً عن الألغام التي قد يكون زرعها العدو فيها .

٤ ـ أن تكون الحركة سرية ، وغامضة بحيث لا يعلم أحد في الطريق إلى أين يسير هذا اللواء أو الفرقة ، ولماذا ؟

لذلك ، فإن استطاع القائد أن يحرك الوحدات ليلاً وتتوقف نهاراً فهو آمن بسلامة جيشه . لقد نقل النبي (ص) وحدات جيش الإسلام من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، وكان يسيرها ليلاً ويقف بها نهاراً .

٥ ـ أن يعيّن القائد استراحات ليلية ونهارية ، محافظة على قواته من الانهاك ، ومواجهة العدو بعد أن تكون قد أخذت حظها من الراحة . فلقد أشار أمير المؤمنين

(١) نهج البلاغة : الوصية ١١ .

(٢) نهج البلاغة : الوصية ١١ .

(ع) إلى هذه النكات اللطيفة عندما أرسل معقل بن قيس الرياحي إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل ـ فقال :

« وَسِرِ البَرْدَيْنِ ، وغوِّر بالناس، ودفّـه بالسيـر ، ولا تسر أوّل الليـل ؛ فإن الله جعله سكناً ، وقدّره مُقاماً لا ظَعناً ، فأرح فيه وروح ظهرك ، فإذا وقفت حين ينطبح السحر أو حين ينفجر الفجر ، فسر على بركة الله »[1] .

٦ ـ على القائد أن ينسق بين الوحدات في حلهم وترحالهم ، بحيث لا تتقدم فئة دون أخرى ، وأن يحفظهم عن التعرض للأجانب حين الاستجمام والنزول ، وأنّ يحذّرهم من الأمور التي تسبب الفشل .

جاء في وصية أمير المؤمنين (ع) لجيشه حين بعثهم إلى العدو :

« وإياكم والتفرق : فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً ، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرياح كِفّة ، ولا تذوقوا النوم إلاّ غراراً أو مضمضة »[2] .

---

(١) نهج البلاغة الوصية ١٢ البردان : وقت ابتراد الأرض : الغداة والعشيّ .

(٢) نهج البلاغة الوصية ١١ كفّة : أي مثل كفة الميزان مستديرة حولكم .

البحث الرابع والعشرون

المقرّ وساحة القتال

عندما تنتقل القوات المسلحة من معسكرها أو قواعدها إلى ساحة القتال على القائد أن يختار مكاناً مناسباً لمقر قيادة الجيش . حيث يخطط هناك للعمليات العسكرية ، ويصدر الأوامر القتالية إلى الوحدات ؛ ولذلك ، من الضروري أن يكون المقرّ في مأمن عن العدو ومنأى . فتعرضه للخطر ، تعرض الوحدات جميعها لهذا الخطر .

لهذا ينبغي أن يقع مركز القيادة في أعالي الجبال ، أو في نفق ، أو أنفاق ، تحت الأرض ، لاسيما في هذا اليوم الذي أصبحت فيه الحرب بالصواريخ بعيدة المدى والطائرات المختلفة وغيرها ؛ كذلك على القائد أن يعيّن أماكن مناسبة لوحدات الجيش ، يوزعها في ساحة القتال صفوفاً منفصلة متباعدة ، وفق ترتيب القتال وعمقه ، ونوع الأسلحة المستخدمة ، وكيفية المعركة ، وطبيعة الأرض وغيرها من الأمور الهامة .

وعلى القائد أن يجهز دوريات ، وحرساً دائماً ، على أماكن مرتفعة يرصدون تحركات العدو تحسباً لعنصر المباغتة والمفاجأة .

لقد أتى مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على ذكر ذلك كله ، حينما أرسل جيشه إلى العدو بقوله :

١ ـ « فإذا نزلتم بعدّوٍ أو نزل بكم ، فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف ، أو

سفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم ردءًا . ودونكم مردّاً .

٢ ـ ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين .

٣ ـ واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ، ومناكب الهضاب ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن »(١) .

هذا بالإضافة إلى زي القوات المسلحة الموحد إذا كانت الحروب حرباً تقليدية . أما إذا كانت حرب عصابات فينبغي أن تكون أزياؤهم العسكرية مموهة ، مثلاً : إذا وقع القتال في الغابات في فصل الصيف تكون هذه الأزياء خضراء، وإذا وقع القتال في فصل الخريف تكون صفراء ، او كما ينبغي إخفاء الأدوات والآليات والمخازن التي ترتبط بالجيش ، حفظاً لها وللجنود من القصف الجوي والأخطار التي تهدد القوات المسلحة .

أشار الإمام أمير المؤمنين (ع) إليها بكلمة موجزة في ليلة الهرير وقال :

« وأكملوا اللأمة» واللأمة هي الدرع وإكمالها أن يزيد عليها البَيْضَة ونحوها .

الاصطدام بالعدو

لا يجوز المقاتل الإسلامي أن يصطدم بعدوه بمجرد مواجهته في ساحة الحرب ، بل عليه أن يدعوه إلى الإسلام ، وأن يبين للعدو أنّ الهدف ليس شيئاً من حطام الدنيا وزخرفها ، ملكاً كان ذلك أم مالاً ، أم غيرهما ، بل رفع الموانع من أمام الحكم الإسلامي ، وإيصال الحق إلى الناس ؛ كافة إذ ربما انخدع كثير من الأعداء أو كانوا غافلين عن نوايا المسلمين الطاهرة ، ولذلك وجب على القائد والمقاتلين تبيين شروط اللجوء والحياة في المجتمع الإسلامي : من دفع الجزية وغيرها قبل القتال، إذا كان العدو من أهل الكتاب(٢) ، حتى تتم الحجة عليهم من قبل الله ، فإن قتلوا . بعد ذلك فلا حجة لهم على الله .

(١) نهج البلاغة : الوصية ١١ .

(٢) جواهر الكلام ج ٥٢/٢١ .

على هذا الأساس ، اتفق العلماء على عدم جواز المبادرة بالقتال قبل دعوة العدو إلى الإسلام ، وقالوا : « لو بدر أحد من المسلمين إلى أحد من الكفار وقتله قبل الدعوة أثم وعصى »(١) . وتدل على ذلك أحاديث عديدة :

منها : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد . . . عن مسمع بن عبد الملك ، عن أبي عبد الله (ع) . قال : قال أمير المؤمنين (ع) :

« فلما وجهني رسول الله (ص) إلى اليمن . قال : يا عليّ لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام ، وايم الله لأنْ يهدي الله عز وجل على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ، ولك ولاؤه »(٢) .

ومنها : أنّ علياً (ع) ما بدأ بقتال الأعداء في ساحة الحرب بعد رسول الله (ص) إلّا دعاهم إلى الحق ، لأنها هي سيرة رسول الله (ص) ، كما تأخر (ع) عن القتال في وقعة الجمل والنهروان وصفين ، حتى بدأ بها الآخرون .

قال ـ (ع) ـ لجيشه قبل لقاء العدو بصفين :
« لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم . فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إيّاهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم »(٣) .

ومنها : ما قال علي (ع) لابنه الحسن (ع) :
« لا تَدعُوَنّ إلى مبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإنّ الداعي إليها باغٍ ، والباغي مصروع »(٤) .
هذه الأحاديث وغيرها تستدعي لزوم دعوة العدو إلى الإسلام ، وتبيين أهداف الجهاد والدفاع قبل القتال ، عن طريق وسائل الإعلام . مثل الإذاعة والتلفاز والمنشورات وغيرها .

---

(١) جواهر الكلام ح ٥٢/٢١ .
(٢) فروع الكافي ج ٣٦/٥ .
(٣) نهج البلاغة الوصية ١٤ .
(٤) نهج البلاغة الحكمة ٢٣٣ ومصروع مغلوب .

بدء القتال وكيفيته

إذا لم تؤثر الدعايات والإعلانات على العدو وأصرّ على القتال ، لزم على المقاتلين محاربته . ولكن الدخول إلى الحرب يحتاج إلى مراعاة الأمور التالية بحيث لو غفل المقاتلون عنها لدارت عليهم الدوائر .

أ ـ على المقاتل الإسلامي أن يختبر أسلحته قبل القتال ، لكي يعرف كيفية استخدامها ، ويطمئن إلى مدى فاعليتها ، إذ ربما أصبحت غير صالحة للاستعمال لسبب ما .

أو يمكن أن يستوعبها الطابور الخامس للعدو كأن يأخذ بعض القطع الحساسة ، بيد أن الآلات الحربية تحتاج إلى التشحيم والتزييت ، من وقت لآخر ، وخصوصاً الأتوماتيكية والمتعلقة بالدبابات والمدرعات والمدافع والطائرات وغيرها .

إن مولانا علي بن أبي طالب (ع) قال حينما علم أصحابه الحرب ليلة الهرير ، أو أول اللقاء بصفين :

« وقلقوا السيوفَ في أغمادها قبل سَلِّها »[١] .

ب ـ ينبغي أن يسود الهدوء المقاتلين قبل بدء المعركة ، لأن الهدوء يذهب بالخوف ويطرد الكسل ؛ قال (ع) لأصحابه بصفين :

« وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل[٢] .

ج ـ على المقاتلين أن يطردوا شبح الخوف في المعركة حيث يضحي المقاتل بنفسه في سبيل الله وهو يدخل في متاجرة يبيع نفسه فيها لإعلاء كلمة الله ، كما كان المسلمون في معاركهم كبنيان مرصوص ، حتى وصلوا إلى أهدافهم النبيلة . قال علي بن أبي طالب (ع) : يوم الجمل لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية :

« تَزولُ الجبال ولا تَزُل! عُضَّ على ناجذك ، أَعِرِ الله جُمجَمتك ، تِدْ في الأرضِ قدمَك ، إرمِ ببصرك أقصى القوم ، وغُضّ ببصرَك ، واعلم أنّ النصرَ من

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٦٦ ، والمعنى : حرّكوا السيوف في بيوتها قبل إشهارها .

(٢) نهج البلاغة الرسالة ١٦ .

عندِ الله سبحانه »(١).

د ـ على كل وحدة من وحدات الجيش أن تقاتل الوحدة التي تواجهها في المعركة ، وأن لا تعطي للعدو فرصة لشن هجومه عليها ، إذ لو سمحت له بالفرصة لتمكن العدو من تحقيق انتصار خاطف على المسلمين .

قال (ع) حينما حثّ أصحابه على القتال :

« أجزأَ امْرُءٌ قِرنَهُ(٢) ، وآسىٰ أخاه بنفسه ، ولم يَكِل قِرنه إلى أخيه(٣) . فَيجتمعَ عليه قِرْنُهُ وقِرنُ أخيه(٤) .

هـ ـ وجب على المقاتل الإسلامي أن يتقن استخدام المعدات غاية الاتقان ويحسن التعاطي مع الآلة ، أحسن التعاطي ، لاسيما بالنسبة إلى الآلات والمعدات الحربية التي بين يديه ؛ وعليه أن يرى نفسه بين يدي الله ويحارب له ، لأن ذكره عزّ وجلّ يسبب الهدوء والاطمئنان ، كما قال عز وجل :

﴿ ألاّ بذكر الله تطمئن القلوب ﴾(٥) .

وقد أشار إلى ذلك مولانا أمير المؤمنين (ع) حيث قال :

« وأعطوا السيوف حقوقها ، ووطِّئوا للجُنوب مصارعَها ، واذْمروا أنفسكم على الطعن الدْعِسيِّ ، والضربْ الطِّلَحْفِيّ(٦) .

وقال في كلام آخر بين أصحابه في معركة صفين :

« واعلموا أنكم بعين الله ، ومع ابن عمّ رسول الله (ص) ، فعاودوا الكرّ واستحيوا من الغرّ ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار يوم الحساب »(٧) .

---

(١) الخطبة ١١ من نهج البلاغة ؛ .
(٢) أجزأ امرؤ قرنه : أي كفى أصحابه شره .
(٣) أي : لم يترك خصمه إلى أخيه ، فيجتمع على أخيه خصمان .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤ .
(٥) سورة الرعد : ١٣/٢٨ .
(٦) نهج البلاغة : الرسالة ١٦ اذمروا : حرّضوا ، الدعس : الطعن الشديد ، الطِّلَحْفي : أشدّ الضرب .
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ .

و ـ اليقظة التامة في ساحة المعركة واحاطة أجوائها ، إذ يستفيد العدو من غفلة المسلمين فيشن هجومه عليهم، ويكتسح مواقعهم، ويحقق نصراً كبيراً عجز من تحقيقه فيما سبق ، كان يشن العدو هجومه حين اداء الفرائض او الاستجمام أو الغفلة؛ لهذا ألفت الله نظر نبيه (ص) إلى هذا الأمر حيث . قال عزّ من قائل :

﴿ وإذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُم الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيأْخُذُوا أَسْلِحَتَهم ، فإذا سَجَدُوا فَلْيكُونُوا مِنْ ورائِكُمْ ، ولْتأتِ طَائِفَةٌ أُخرىَ لَمْ يُصلّوا ، فَلْيصَلّوا مَعَكَ ، وَلْيَأْخُذوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الذينَ كَفَروا لو تَغْفَلُونَ عَنْ أسلِحَتِكُمْ وأمْتِعَتِكُمْ فيميلونَ عَلَيكُمْ مَيْلةً واحِدَةً ﴾[١] .

ويؤيد ذلك قول مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) حينما ينصح أصحابه فيقول :

« لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون . غَلِبَ والله المتخاذلون! »[٢] .

حاصل ما تقدم يختصر في الخطر الجاثم على الصدور ، والمتمثل باستطلاعات العدو ورصده ، فينبغي على القائد مراقبة تحركات العدو ، لاسيما قبل البدء بالعمليات العسكرية .

(١) سورة النساء ١٠٢/٤ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٣٤ ـ لصبحي الصالح .

البحث الخامس والعشرون

آداب الحرب

يتصف المقاتل الإسلامي ـ بالأخلاق الحميدة كالشجاعة والإيمان والتضحية والوعي والعفّة وساحة الحرب بالنسبة اليه ، امتحان يؤديه في ساحة الوغي ، والجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ لكي يَصنع النصر والعزة للإسلام والمسلمين ؛ ونتيجة ذلك فأن الله عز وجل يثيبه جزيل الثواب والأجر على كل خطوة خطاها ، وحركة أداها ، ويستدل على ذلك بهذا الحديث الشريف :

محمد بن يحيى . . . قال : كتب أبو جعفر (ع) في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية :

« من ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضل الله ـ عز وجل ـ على الأعمال ، وفضل عامله على العمال تفضلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة ، لأنه ظهر به الدين ، وبه يدفع عن الدين ، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجحاً ، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود ـ ادّل ذلك . الدعاء إلى طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ من طاعة العباد ، وإلى عبادة الله من عبادة العباد ، وإلى ولاية الله من ولاية العباد » .

بالإضافة إلى أن ساحة القتال هي مدرسة كل مؤمن مجاهد ، ومعشوقة كل متيّم بالله وإن المجاهد ضيف الله هو الأكرم ، فعلى المقاتل الإسلامي أن يراعي حدود الله عند مواجهة العدو ، وليست هذه إلاّ صفات أخلاقية إنسانية ، وهي معيار لكل مجاهد ومناضل في سبيل إعلاء كلمة الله وإحقاق الحق ، ومن هذه الحدود نذكر ما يلي :

١ ـ التحذير من إحراق المزارع وقطع الأشجار : تدل عليه أحاديث عديدة نذكر بعضها .

منها : علي بن ابراهيم . . . عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله (ع) ـ قال :

« إنّ النبي (ص) كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصة نفسه ، ثم في أصحابه عامة ، ثم يقول : اغز باسم الله وفي سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلّوا وتمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهق ، ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ، لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلّا ما لا بدّلكم من أكله . . . »[١] .

ومنها : عن رسول الله قال : « . . . ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروا إليها . . . »[٢] .

٢ ـ النهي عن قطع المياه : قد يقطع أحد طرفي الحرب الماء عن عدوه حتى يوقعه في ضائقة شديدة ، ويلحق الهزيمة به ، وهذا ممنوع ؛ وقد جاء في وقعة صفين : حينما أغار أمير المؤمنين وأصحابه على معاوية وجنوده فغلبوهم ثم استدلوا على الشريعة . وأرسل (ع) رسالة اليه كتب فيها :

«إنّا لا نكافيك بصنعك ، هلّم إلى الماء ، فنحن وأنتم فيه سواء »[٣].

٣ ـ المنع عن قتل الرسل : الذين يعبثون من قبل العدو لإبلاغ رسالة أو توصية أو غيرهما .

كما أفتى بها العلامة في التذكرة فقال : « لا يقتل رسول الكافر » .

روى العامة عن ابن مسعود أنّ رجلين أتيا رسول الله (ص) ، وكانا رسولين لمسيلمة ، فقال لهما : « أشهد[١] إنّي رسول الله » .

فقالا : نشهد إنّ مسيلمة رسول الله !

---

(١) و(٢) المروع من الكافي ج ٥/ ٢٩ ح ٨ ـ وص ٣٠ ح ٩.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٥١ .

فقال النبي (ص) : « لو كنت قاتلاً رسولاً لضربت عنقيكما »[١] .

يستفاد من ذلك أن الرسل في أمان حينما يرسلون ، وهذا ما تقتضيه المصلحة والسياسة في الحرب ، كما أن الحرب تحتاج لمثل هذه الأمور ، وهو واضح .

٤ ـ النهي عن قتل الدواب والبهائم : كالخيول والأبقار والأغنام وغيرها ، لأن قتلها يكشف عن اضطهاد الجيش ، ويندّد بذلك كل من يسمع بها ؛ بيدَ أنّ الجيش ربما يحتاج إليها ؛ على هذا الأساس وجب على المقاتل الإسلامي أن لا يرتكب مثل هذه الأمور ، بل يمنع الآخرين عن ارتكابها ، كما سبق في حديث مسعدة بن صدقة إذ قال النبي (ص) :

« ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلاّ ما لا بد لكم من أكله» ، والعقر: هو قطع قوائم الدابة[٢].

٥ ـ عدم جواز قتل المشايخ والصبيان والنساء في الجملة : لا يجوز قتل الكهول ولا النساء ولا الصبيان في الحرب ، لأنّ النبي (ص) منع عن قتلهم ، وأفتى بذلك العلماء من الشيعة وأهل السنة ، حيث يستدل برواية الجمهور عن أنس بن مالك قال :

ان النبي (ص) قال :

« انطلقوا باسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله (ص) ولا تقتُلوا شيخاً فانياً ولا صغيراً ولا امرأة . . . »[٣] .

وهذا ما يدل خبر أبي حمزة وجميل عليه . نعم ، يجوز قتل بعض هؤلاء في المواضع التالية :

أولاً : إذا أراد ان يتترس العدو بهم . بحيث لا يمكن النصر على العدو إلاّ بقتلهم . فيجوز قتلهم ، اذ هو من مصاديق الإضطرار ، وإنّ إجماع العلماء قائم

---

(١) جواهر الكلام ج ٧٧/٢١ .
(٢) فروع الكافي ج ٢٩/٥ ح ٨ .
(٣) جواهر الكلام ج ٢١/ص ٧٣ .

عليه ، كما نقل العلاّمة في (المنتهى)[(١)] ؛ وهكذا يجوز قطع الأشجار وإحراق الزروع عند الاضطرار .

ثانياً : إذا كان جيش العدو من النساء كلياً أو جزئياً ، بحيث إنهنّ يقاتلن ويحاربن المسلمين ، فيجوز قتلهن ، على ألا يتجاوز المسلمون فى قتلهن الحاجة ، للجمع بين إطلاق النهي المستفاد من ظواهر الأحاديث والنصوص الدالة عليه[(٢)] .

كما يستفاد من تقرير النبي (ص) في غزوة الخندق ، إنه (ص) مرّ بامرأة مقتولة يوم الخندق فقال : من قتل هذه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله ، قال : لم؟ قال : نازعتني قائم سيفي ، فسكت[(٣)] .

وهكذا صرح رسول الله (ص) ، في ما نقل عن أبي عبدالله (ع) ، قال : « . . . لأن رسول الله (ص) نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب ، إلاّ أن يقاتلن ، فإن قاتلن أيضاً أمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللاً »[(٤)] .

ثالثاً : إذا كانت امرأة في جيش العدو عاهرة ، تكشف عورتها للمسلمين يجوز قتلها ، كما تدل عليه رواية عكرمة : قال : لما حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها ـ فقال (ص) :

« ها دونكم فارموا ، فرماها رجل من المسلمين فما أخطأ ذلك منها »[(٥)] .

رابعاً: لو كان في جيش العدو شيخ ذو رأي وقتال لقُتل كما جاء في (التذكرة)، أنّ دريد بن الصمَّة كان من المشركين ، وأنهم حملوه معهم في قفص حديد ، ليعرفهم كيفية القتال ، وأنّه كان عارفاً بالحرب ، مضى من عمره مائة وخمسون سنة ، فقتله المسلمون ، ولم ينكر النبي (ص) على المسلمين[(٦)] .

٦ ـ النهي عن التمثيل : التمثيل مأخوذ من المثل ، لأنّ الرجل إذا شُنِّع في عقوبته جعله ذلك مثلاً وعلماً ، نحو أن تُقطع الأذن أو الأنف من المقتول أو

---

(١) جواهر الكلام ج ٢١/ص ٧٢ و ٦٨ .

(٢)و(٣) جواهر الكلام ج ٢١/ ٧٣ وهكذا وردت أحاديث أخر من طريق السّنة : سنن البيهقي ج ٩/ ١٩ .

(٤) وسائل الشيعة ج ١١/ص ٤٧ باب ١٨ .

(٥و٦) جواهر الكلام ج ٢١/ ٧٥و٧٦ .

الأصابع ، وهو لا يجوز ، لأن النبي (ص) نهى عنه ، كما جاء في خبر أبي حمزة الثمالي ، كما نقل عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « لا تجوز المُثلَةُ ولو بالكلب العقور »[١] .

وهكذا أوصى علي بن أبي طالب (ع) ، قال أمير المؤمنين في آخر لحظات عمره الشريف :

« لا تُمثّلوا بالرجل (عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله) فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : إياكم والمُثلَة ولو بالكلب العقور »[٢].

٧ ـ **عدم جواز الغدر** : جاء في مجمع البحرين : الغدر هو ترك الوفاء ونقض العهد ، وهو في الحرب أن يُقتل العدو بعد إعطاء الامان ، فالغدر لا يجوز في الحرب ، للنهي عنه في النصوص الموجودة كما مضى في خبر مسعدة بن صدقة ، وهكذا نقل عن أبي عبدالله (ع) ، قال :

قال رسول الله (ص) : « يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة ، مائلاً شدقه حتى يدخل النار »[٣].

بالاضافة إلى ذلك ، الغدر قبيح ، وهو سبب لتنفير الناس عن الإسلام والمسلمين . هذه أمور منهي عنها ، وعلى المسلمين اجتنابها ، لاسيما أولئك المجاهدون في سبيل الله ، لإعلاء كلمة الحق وهداية الناس ، لأنّ ارتكاب هذه الأمور قبيح في نفسه ، وموجب لابتعاد الناس عن الإسلام ، بالإضافة إلى منافاتها للأهداف المقدسة التي يستهدفها مقاتلو المسلمين.

---

(١) جواهر الكلام ج ٢١ ص ٧٨ .

(٢) نهج البلاغة الوصية ٤٧ .

(٣) وسائل الشيعة ج ٥٢/١١ باب ٢١ حديث ٢ .

البحث السادس والعشرون

الاسلحة والأزمنة والأمكنة المحظورة في الحرب

تحققت الثورة الصناعية في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي ، وأخذت صناعة الأسلحة شكلاً جديداً ، وتطورت تطوراً ملحوظاً نتيجة لترغيب المستثمرين ، مصاصي دماء الشعوب حيث إن هؤلاء دفعوا المخترعين لإتمام اكتشاف المواد المتفجرة ، وفي تلك الفترة بالذات حاول « الفرد نوبل » مكتشف الديناميت بصناعته للديناميت أن يتحاشى باختراعه بني البشر ويجنبهم ويلات الحرب ودمارها نظراً إلى الأثر الخطير الذي يتركه هذا السلاح المخيف .

ولكن رغبته لم تتحقق ، فندم على عمله واختراعه حين رأى المستكبرين والحكام قد استغلّوا اختراعه لإبادة البشرية والقضاء على المستضعفين ؛ وفات الآوان ولم يجد طريقاً للرجوع عنه ، ولهذا قرر « الفرد نوبل » وضع جميع ثروته تحت تصرف منظمة إنسانية لكي تقدم سنوياً جوائز للمخترعين والمبدعين والعاملين في سبيل السلام . ولا زالت تحمل هذه الجائزة اسمه ، انها جائزة نوبل للسلام [١] .

ونشاهد اليوم الى أي مدى بلغت هذه المواد المتفجرة والوضع الذي بلغته الانسانية بسببها ، والسلام العالمي المهدد ، والأمم الرازحة تحت تهديد هذا السلاح الخطير ، وثروات الشعوب المبددة في هذا المجال ؟!

وتلا هذا الاكتشاف ، اختراع امريكا القنبلة الذرية سنة ١٩٥٢ ،

---

(١) المنجد .

فالهيدروجينية ، فيما بعد ذلك بقليل ، كما توصل السوفيات بدورهم إلى ذلك في/١٢/ آب/سنة ١٩٥٣ ميلادية وتعتبر القنبلة الهيدروجينية أقوى وأكثر فتكاً من القنبلة النووية اذ أنها تتألف من ذرات تشكل غيوماً متفرقة في الهواء ، تسمم الحيوانات والحشرات والنباتات والإنسان(١) .

الأخطار العامة للأسلحة الكيميائية

إن خطر الأسلحة الكيميائية يكمن في انتشارها بعد انفجارها بشكل يصعب معه مراقبتها والتحكم فيها ، كما أنها تصيب الناس الآمنين والحيوانات والنباتات الذين هم بمنأى عن ساحة القتال ؛ ويقال إن هذه المواد الرهيبة ربما تكون على شكل غاز أو دخان أو سائل أو غير ذلك ، حيث تؤثر على دائرة يصل قطرها مئات الكيلومترات وارتفاعها كذلك أيضاً(٢) .

إن أخطار استعمال هذا السلاح دفع سكان المعمورة للمطالبة بمنعه والحيلولة دون استخدامه ، ونتيجة لهذه المطالبة . اجتمع مجلس الأمن الدولي ، ثم قرر منع استعمال الأسلحة البيولوجية ، فكان ذلك في ١٨ من حزيران سنة ١٩٥٢ ـ ميلادية في الجلسة المرقمة ٥٧٧ ، حيث تمت المصادقة على تحريم الأسحلة الكيميائية والبيولوجية ، ولكن امريكا امتنعت عن المصادقة عليه والإقرار به ، بل أحالت الأمر إلى لجنة نزع السلاح ، بالجملة لم يصدر القرار بصورته النهائية . وإن أمريكا وأقمارها نقضوا القرار واستدلوا على وجوه استعماله الحسنة بشكل لا يقبله عقل عاقل :

١ ـ إن مثل هذه الحروب أكثر إنسانية ، حيث تحدُّ من مستوى قوة العدو الدفاعية .

٢ ـ إن هذه الأسلحة تمحو وتبدد القوى الإنسانية ولكن لا تخرب الحضارة الانسانية المتمثلة بالأبنية والمعامل والمصانع ، ولا توجب الخسائر بالأموال .

---

(١) نشرة كلية الحرب الأسلحة الكيماوية (ش ـ م ـ ر) .

(٢) نشرة كلية الحرب الأسحلة الكيماوية (ش ـ م ـ ر) .

٣ ـ من الناحية الاقتصادية ، هي : أرخص من القنابل الذرية [١] .

للإجابة عن كل ذلك يجب أن نقول :

١ ـ لماذا يستعمل مثل هذا السلاح الفتاك الذي يكون من ضحاياه الإنسان والحيوانات والنباتات ، لاسيما كل المخلوقات البعيدة عن ميدان الحرب ؟!

٢ ـ كيف يمكن أن يكون استعمال هذه الأسلحة أكثر إنسانية؟!

٣ ـ إذا فني البشر والحيوانات ، فما هي فائدة الأموال والمصانع والعمارات ؟ ولمن ستبقى ؟!

٤ ـ هل الحوار حول رخص كلفة مثل هذا السلاح الذي يبيد النسل والزرع هو حديث العقلاء ؟!

إضافة إلى ذلك فعلينا أن نشير إلى الآثار السيئة التي يتركها هذا السلاح وهي :

أ ـ الأمراض نحو : الجمرة الفحمية ، الحمى المالطية والصفراء . الطاعون والهيضة ، الخناق أو الدفتريا ، التيفوس أو الحمى المحرقة ، الجُدري ، . . . وغيرها . .

ب ـ فناء الموجودات وبعض المحصولات ، والحيلولة دون نمو النباتات ، وقتل الإنسان البريء .

نظرة الإسلام حول استعمال الأسلحة الكيميائية

بعدما قدمنا وقلنا ؛ إنّ الجهاد لا يكون إلّا ضد الذين يصدون عن سبيل الله فهو بالتالي ليس هدفاً نهائياً في الإسلام ، بل وسيلة لدعوة الناس إلى الحق في الوقت الذي يعرض فيه الكفار والمشركون عن الاستجابة لهذه الدعوة.

بعد هذا التمهيد نقول : إذا كان استعمال الأسلحة الكيميائية سبباً لهلاك النسل والحرث والزروع وغيرها . فلا يمكن ان يجوز الشارع استعمالها في الحرب ، لأن استعمالها سبب لتنفير الناس من الإسلام والشرائع الإلٓهية ، والمسلمين خاصة ، ويستدل الفقهاء على عدم جواز استعمال هذه الأسلحة بالحديث التالي :

(١) نشرة كلية الحرب الأسلحة الكيماوية (ش ـ م ـ ر) .

عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن نوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله (ع) قال : قال أمير المؤمنين (ع) .

« نهى رسول الله (ص) أن يلقى السم في بلاد المشركين [١] » .

على هذا الأساس أفتى علماؤنا بعدم جواز استعمال هذه الأسلحة ، كما صرح الشيخ الطوسي به في كتاب (النهاية) وابن ادريس في كتاب (السرائر) والشهيد الأول في كتاب (الدروس) والمحقق الحلي في كتاب (مختصر المنافع) . والعلامة في كتاب (التبصرة) و(جامع المقاصد)[٢] . . .

ومن جهة أخرى فإن هذا الحكم لا ينافي ان يهيء المسلمون مثل هذه الأسلحة ويتمكنوا بالتالي من صناعتها ، لاسيما إذا علموا بوجودها عند الكفار ، بل على المسلمين والحاكم الإسلامي تهيئتها حتى يقروا ليقوي موقفهم تجاه الأعداء ، قال الله العظيم :

﴿ وأعدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتم من قُوّةٍ ومِن رَبَاطِ الخَيْلِ تُرهِبونَ به عدَّو الله وَعَدُوكم ، وآخرينَ مِنْ دَونِهم لا تَعْلَمونَهم ﴾[٣].

أما لو استفاد أعداء الاسلام من هذه الأسلحة لهدم الإسلام وإبادة المسلمين ، وخاف المسلمون انتصار الكفر على الإسلام ، فعند ذلك يصبح من الضروري بل والواجب استخدامها ، كي يمنعوا الكفار من ارتكاب جرائم أكثر[٤] . ولكن هذا الأمر يحتاج إلى استئذان قائد الأمة الإسلامية ، وهو ولي الفقيه الجامع لشرائط القيادة التي ذكرت في الحديث ، آنفاً!

الأزمنة والأمكنة الممنوعة في الحرب

يحرم على القائد الإسلامي والمقاتلين أن يبدؤوا بمحاربة الأعداء في الأشهر الحرم « رجب ، ذي القعدة ، ذي الحجة ، محرم الحرام » لقوله تعالى : **﴿ إنّ عدَّة**

---

(١) وسائل الشيعة ج ٤٦/١١ = الفروع من الكافي ج٥/ ٢٨ .

(٢) جواهر الكلام ج ٦٧/٢١ .

(٣) سورة الأنفال ٦٠/٨ .

(٤) وهذا معنى ما نقل عن فقهائنا في كتاب الجواهر ج ٦٨/٢١ .

الشّهورِ عِندَ الله اثنَا عَشَرَ شَهْراً في كِتَابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّموَاتِ والأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[١] .

ويؤكّد هذا المعنى في آيات أخرى نحو قوله تعالى : **﴿ فإذا انْسَلَخَ الأشهُرُ الحُرُمُ فاقتُلوا المشرِكينَ حيثُ وَجَدْتُموهم ﴾**[٢] .

يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : **﴿ يسألُونَكَ عن الشّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فيه ، قُلْ قِتَالٌ فيه كبيرٌ ﴾**[٣] .

لا تستفاد الحرمة من هذه الآيات فقط بل تدل الأخيرة على أن القتال في الأشهر الحرم هو ذنب كبير .

ولكن عندما يبدأ العدو الحرب في الأشهر الحرم ، أو يكون ممن لا يرى لهذه الشهور حرمة ، يجوز للقائد الإسلامي والأمة الإسلامية أن يحاربوهم ، كما حدث في زمن النبي الأعظم (ص) ، حيث إن أهل مكة منعوه وأصحابه في ذي القعدة من عام الحديبية في السنة السادسة للهجرة وهتكوا حرمة الشهر الحرام ، عند ذلك هاجمهم النبي (ص) وأصحابه ودخلوا في ذي القعدة من السنة التاسعة لعمرة القضاء مقابلاً لمنعهم في العام الأول[٤] ، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى .

﴿ الشّهْرُ الحَرامُ بالشّهْر الحَرَامِ والحُرُمَات قَصَاصٌ ، فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيكُمْ فَاعْتَدُوا عليه بمثلِ ما اعتَدىَ عليكمُ ، واتَّقُوا الله واعلموا أنّ الله مع المتَّقين ﴾[٥] .

بالإضافة لدلالة الآيات الكريمة ، اتفق العلماء وأجمعوا على حرمة القتال في هذه الشهور ، والجواز فيها من باب اعتداء العدو والقصاص منه[٦] .

أما المكان ، فيجوز قتال الكفار والمشركين في جميع بقاع الأرض إلاّ الحرم ،

---

(١) سورة التوبة ٣٦/٩ .
(٢) سورة التوبة ٥/٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢١٧/٢ .
(٤) جواهر الكلام ج ٣٢/٢١ .
(٥) سورة البقرة : ١٩٤/٢ .
(٦) جواهر الكلام ج ٣٢/٢١ .

فإن الابتداء بالقتال فيه كان محرماً لدلالة قوله تعالى :

﴿ ولا تقاتِلُوهم عندَ المسجدِ الحَرَامِ حتى يُقَاتِلوكم فيهِ ، فإنْ قَاتَلوكُم فاقتُلُوهم ، كَذَلِكَ جَزاءُ الكَافرين ﴾[١] .

يستفاد من الآية الشريفة جواز محاربة العدو في الحرم إذا بدأ بالحرب فيه ، وذلك للدفاع ، وإفشال مخططاته ضد الإسلام والمسلمين .

أمّا حدود الحرم : فهو مجموع أربعة فراسخ ضرب في أربعة فراسخ كما جاء في موثق عبدالله بن بكير قال سمعت أبا جعفر ـ ع ـ يقول : « حرّم الله تعالى حرمه بريداً في بريد . . . »[٢] .

قال مُحي الدين الشافعي : حدّ الحرم من جهة المدينة المنورة إلى مسجد التنعيم ، والمسافة بينه وبين المسجد الحرام فرسخ واحد . ومن جهة ـ اليمن ينتهي إلى طريق ـ أضاءة لبن ـ والمسافة فرسخين وثلث فرسخ . ومن جهة العراق ينتهي إلى الجبل الذي وقع في المقطع والمسافة فرسخين . ومن جهة طريق ـ جواته ـ ينتهي إلى شعب آل عبدالله بن خالد والمسافة ثلاثة فراسخ . ومن جهة ـ الطائف ـ إلى عرفات والمسافة من بطن ـ نمرة ـ فرسخين والثلث . والمسافة بين المسجد الحرام إلى طريق ـ ميناء جدّة ـ ثلاثة فراسخ والثلث . وهنا أقوال عديدة لا يهمّ تعرضها بعد وضع العلاقات على الحدود بحيث صارت معلومة[٣] .

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة : ٢/١٩١ .

(٢) وسائل التشيعة ج ٩/ ب ٨٧/ ح ٤ .

(٣) مستمسك العروة الوثقى ج ١١/ ٢٨٧ = مصباح الحرمين/ ٨٧. الشيخ عبد الجبار تكوئي بن رين العابدين .

البحث السابع والعشرون

أسباب النصر

ان دراسة الحروب واستراتيجيتها في الأكاديميات العسكرية، تنتهي بنا إلى التوقف عند موضوع ذي أهمية وهو : أسباب النصر .

ينبغي على القائد والمقاتلين الإسلاميين أن يدرسوها ، لاسيما البواعث التي كانت وراء غزوات النبي الأعظم ـ (ص) ـ لأن القوات المسلحة عندما تتخذها أنموذجاً يحتذى لها النصر والغلبة وتنأى عن مواطن الهزيمة .

هنالك بواعث ودوافع جمة تكمن وراء الإنتصار على العدو له وربما تتجاوز ان حاولنا احصاءها العشرات ، ونشير هنا إلى بعض الحوافز الرئيسية ، لأنّ لها دوراً مميزاً بالنسبة إلى مجموعها .

١ ـ الإيمان بالهدف :

من الحوافز المهمة أن يؤمن المقاتل الإسلامي بالأهداف المرسومة ، وان يفهم جيداً لِمَ يحارب وما الهدف من القتال ؟ حينذاك تتبدد الحيرة والارتياب ، ويحل مكانهما اليقين والتصميم والايمان بالأهداف المبدئية ، فيبذل بالتالي ، قصارى جهده ويستنفد كل طاقته ومجهوده لتحقيق ما يؤمن به ايماناً راسخاً ، وكلما كانت الأهداف ذات شأن كان اسهام المقاتل في تحقيقها ، أعظم !

كان النبي المكرم (ص) يحض أصحابه على الجهاد ، ويرغبهم في إعلاء كلمة

الحق ، وتخليص المستضعفين من يد المستكبرين ، وعبر عن هذا الهدف في القرآن والسنة بقول : « في سبيل الله » قال الله العظيم في كتابه :

﴿ فَلْيُقَاتِلْ في سبيلِ الله الَّذينَ يَشْرونَ الحيَاةَ الدُّنْيا بالآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ في سبيلِ الله فَيُقْتَل أو يَغلِبْ فسوفَ نؤتيهِ أجراً عظيماً ﴾(١) .

إن عبارة : « في سبيل الله » في هذه الآية الشريفة كما في غيرها . هي محور لكل القيم ، بل هدف أساسي للمقاتل الإسلامي ، فهو أهل للاستشهاد وللدخول إلى الجنة حيث يقول عزّ من قائل :

﴿ إنّ الله اشتَرى من المؤمِنينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُم الجّنةَ يُقَاتِلونَ في سبيلِ الله فَيَقْتُلونَ ويُقْتَلون ﴾ (٢) .

وقد جرت هذه الكلمة المباركة على لسان النبي الأعظم في مواطىء عديدة . كلما كان يرسل أصحابه إلى الجهاد ، كما نقل عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله (ع) قال :

« إنّ النبي (ص) ، كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزّ وجلّ ، في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة ، ثم يقول ؛ اغْزُ باسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله(٣) .

ونقل مثل هذه الرواية عن محمد بن عمران وجميل بن دراج ، وكلاهما نقلا عن أبي عبدالله (ع)(٤) .

والجدير بالذكر هنا حادثة تاريخية بطلها عمرو بن الجموح الذي شارك في غزوة أُحد واستشهد فيها ، وكان لعمرو هذا بنون أربعة يشهدون مع النبي (ص) . كأنهم الأسود .

أراد عمرو بن الجموح أن يشارك ، ولكن أبناءه أرادوا أن يمنعوه وقالوا : أنت

---

(١) سورة النساء ٧٤/٤ .

(٢) سورة التوبة ١١١/٩ .

(٣)و(٤) الفروع من الكافي ٢٩/٥ ح ٨ وكذلك ح ٩ .

رجـل أعرج ، ولا جُنَـاح عليك ، وقـد ذهب بنوك مـع النبي (ص) قال ؛ بـخٍّ إنهم يذهبون إلى الجنة وأنا أجلس عندكم !

قالت هند بنت عمرو بن حرام زوجته :

كأني أنظر إليه مولياً . قد أخذ دَرَقَته ، يقول : اللهم لا تردني إلى أهلي خزياً !

فخرج ولحقه بنوه . يكلمونه ويلحون عليه في القعود ، فأتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ، إنّ أبنائي يريدون أن يحبسوني عن هذا الفوز والخروج معك ، والله إنّي لأرجـو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة .

فقال رسول الله (ص) : أما أنت ، فقد عذرك الله ولا جهاد عليك .

قال : يا رسول الله (ص) أحب الجنة! .

فقال النبي (ص) لبنيه : لا تمنعوه ؛ فلعل الله يرزقه الشهادة .

حينذاك فرح وهيأ نفسه للجهاد وشهد معركة أحد .

قال أبو طلحة : نظرت إلى عمـرو بن الجموح حين انكشف المسلمـون ، ثم ثابوا ، وهو في الجماعة المتقدمة من الخيل ، وكأني انظر إلى ضلعه وهو يعرج في مشيته وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة .

ثم انه جاهد الكفار والمشركين في سبيل الله حتى خرّ يومئذ صريعاً(١) .

هذه التضحية والشهادة من حوافز الإيمان والاعتقاد بأنّ الجهاد لله ، وفي سبيل عزة الإسلام والمسلمين ، والوصول إلى الفوز العظيم . وهذا هو مظهر لإنتصـارات المسلمين العظيمة في ذلك اليوم وفي يومنا هذا .

٢ ـ الإخلاص

وهو سبب آخر من أسبـاب الانتصار ، والمـراد بالإخـلاص : إيقاع الجهـاد والقتـال خالصاً لله وحده دون شريك له ، ومضحياً في سبيله بالغالي والنفيس وذلك منتهى الإيمـان والاخـلاص . إن الإمـام زين العـابـدين يحض المجـاهــدين على الإخلاص لله وحده حين لقائهم العدو إذ يقول (ع) : « اللهم صلِ على محمد وآله »

(١) المغازي للواقدي ج ١/٢٦٤ .

وأنْسِهِم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة الغَرور ، وامْحُ عن قلوبهم خطرات المال الفتون ، واجعل الجنة نصب أعينهم ، ولوح منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن الخلد ومنازل الكرامة . . . حتى لا يهمّ أحد منهم بالإدبار ، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار »[١] . . .

كما أنه (ع) يطلب الإخلاص مرة أخرى حينما يعدد بعض شوائبه المهلكات : فيقول :

« واعزل عنه الرياء وخلصه من السمعة ، واجعل فكره وذكره وظعنه وإقامته فيك ولك »[٢] .

وربما يكون السبب الأساسي في هزيمة المسلمين التي ظهرت في غزوة أُحد هو عدم اخلاص جماعة من المقاتلين حيث إن النبي (ص) أمر مجموعة من قواته أن تقف في ثغر جبل « عينين » فقال النبي (ص) :

« قوموا على مصافكم هذا ، لكي لا يتسلل العدو منه ، فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد غنمنا لا تشركونا ، وإن رأيتمونا نُقتلُ فلا تنصرونا » .

ولكن هؤلاء الرماة كما رأوا أن المسلمين انتصروا على المشركين ، الذين خلفوا وراءهم غنائم كثيرة ، قالوا : لم تقيمون ها هنا في غير شيء ؟ قد هزم الله العدو، وغرتهم الغنائم فتركوا ثغر الجبل حيث أمرهم الرسول بالرباط فيه، وعندئذ قام المشركون بقيادة خالد بن الوليد بحركة التفاف ، فقتلوا من المسلمين عدداً كبيراً منهم حمزة بن عبد المطلب[٣] . ونعم ما قال علي بن أبي طالب (ع) « أخلِصْ تَنَلْ »[٤] .

٣ ـ القيادة الصحيحة

وهي التفات القائد إلى أمور مختلفة ، لجهة استخدام التقنية العسكرية

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء ٢٧ .
(٢) الصحيفة السجادية الدعاء ٢٧ .
(٣) المغازي للواقدي ج ١/٢٢٩ .
(٤) غرر الحكم ج ٢ / ١٧٢ .

المناسبة لساحة القتال ، وقوات العدو ، واستخدام القوات بقدر الحاجة ليبقى بعضها على أهبته ونشاطه وتحفزه ، وينبغي أن لا يغفل عن معاجلة اكتساح العدو في كل الأحوال بحرب خاطفة لكي يربك عدوه فلا يدع له مجالاً لتخطيط العمليات المضادة .

٤ ـ مباغتة العدو

وهي إلهاء العدو بالقضايا الفرعية ، بحيث ينشغل بأحداث الدفاع أو تنقلات الوحدات من مكان إلى مكان آخر لكي يتم إعداد الأرضية للوصول إلى الأهداف الأساسية ، وعند ذاك ، يصبح العدو غير قادر على تنفيذ المخططات المطروحة من هجوم أو دفاع وهذا أمر عظيم للظفر على العدو ، وربما يكون هذا العنوان أحد مصاديق الخدعة التي جرت على لسان النبي (ص) لنعيم بن مسعود حيث قال (ص) :

« فخذل عنّا إن استطعت فإن الحرب خدعة » .

٥ ـ السرعة في تنفيذ العمليات العسكرية

تحقيق سرعة التنفيذ مبتنى على أمرين :

١ ـ تدريب الجنود ، وهذا سبب لتحقيق العمليات بشكل صحيح ، سواء كانت دفاعاً أو هجوماً .

لقد أرسل النبي (ص) . أصحابه في السرايا والغزوات لملاقاة العدو بصورة مستمرة ومتلاحقة ، بحيث سجّل بعض المؤرخين أن عددها يقرب من المائة(١) .

---

(١) نقل في كتاب : الحركات العسكرية للرسول الأعظم : عدد الغزوات التي قادها النبي (ص) بنفسه « ٢٨ » غزوة/ج ٢/٥١٤ كما نقل فيه : إن عدد السرايا والدوريات الإستطلاعية التي أرسلها النبي (ص) حوالي أربعين « ٤٠ » ونقل أيضاً في صحيح مسلم ج ١٤٤٨/٣ ـ عن جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله (ص) ١٩غزوة .

٢ ـ استخدام وسائط النقل السريعة ، لنقل الوحدات من مكان إلى مكان آخر ، كالحوامات والطائرات والسيارات ، وكما استخدم قدامى المسلمين في حروبهم ضد الكفار والمشركين الخيول والجمال ، فهذا الأمر يتطلب الاستعداد المادي والنفسي لاستنفار الجنود من منطقة إلى منطقة أخرى إذا كانت المعركة واسعة .

فإذا تحققت العمليات السريعة وفق الزمان والمكان المناسبين تتحقق المفاجأة ، وتدب في العدو الفوضى والبلبلة والإرباك ، فلا يستطيع بعد ذلك القيام بأي اجراء مضاد .

٦ ـ انقياد المقاتلين للقائد

لقد قلنا إن أحد بواعث الانتصار الأساسية تتجلى في القيادة الصحيحة ، وهي ليست ذات أثر بحد ذاتها إلّا أن يضاف إليها إطاعة المقاتلين وانقيادهم لقائدهم ، حينذاك يتحقق النصر والغلبة على الأعداء ، كما جاء في تاريخ الإسلام :

لقد حاقت الهزيمة بجند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في صفين ، رغم كون الإمام بطلاً شجاعاً ، وعالماً بالحرب ، وقد اشترك في غزوات عديدة لابساً درعه التي لا ظهر لها . ولكن بسبب عدم انصياع مقاتليه لأوامره الحكيمة انتهى الأمر إلى الهزيمة والفشل ولذا قال (ع) رداً على قول بعض قريش :

« قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب ؛ لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ! ولكن لا رأي لمن لا يطاع ! »[1] .

وقال (ع) في مكان آخر لأصحابه : أما والذي نفسي بيده ، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم ، وإبطائكم عن حقي . ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٧ .

رعيتي . استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا »[١] .

ثم إنه (ع) يُرجِعُ سبب الهزيمة إلى عدم انقياد أصحابه له ، قال (ع) :

« صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم » وأعطاني رجلاً منهم .

يا أهل الكوفة : مُنيتُ منكم بثلاث واثنتين : صُمٌّ ذَوُو أسماع ، وبُكْمٌ ذَوُو كلام ، وعُميٌ ذوو أبصار ، لا أحرار صدق عند اللقاء ، ولا إخوان ثقة عند البلاء! »[١] .

هذه الكلمات كلها شكوى من عدم انقياد الجيش لقيادته ، كما انها تدل على دور الطاعة في تحقيق النصر ، وفي تنفيذ المخططات العسكرية التي خططها القائد قبل البدء بالعمليات في المعركة .

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه : كيف ينتصر جند الباطل على جند الحق عند اتباعهم أوامر القيادة ؟

الجواب عن هذا السؤال واضح ، إذ أن انقياد المقاتلين لقائدهم شرط أساسي في الحروب ، وأساس الغلبة وهو سبب للغلبة على العدو اينما كان ، ومهما كان والشاهد على هذا ما حدث في الحروب العالمية بين دول الاستكبار ، ومثله ما وقع في غزوة أحد للمشركين عند اتباعهم لأبي سفيان ، ولأهل الشام عند انقيادهم لمعاوية ، كما أشرنا إليه ؛ وكما نشاهد مثل هذه الانتصارات للمسلمين في غزوة بدر الكبرى والأحزاب وفتح مكة وغيرها ، عندما انقادوا لرسول الله (ص) .

٧ ـ الصمود والثبات

وهما في طليعة الأسباب المحققة للنصر ، قال بعض الأعلام : « الصبر هو

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩٧ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٩٧ .

حبس النفس عن إظهار الجزع ، أو حبس النفس على المكروه امتثالاً لأمر الله »[١] .
فهذا المعنى مستمد من الآيات الكريمة نحو : ﴿ **والصَّابرينَ في البَأْسَاءِ والضَرَّاء**﴾[٢] .

ونحو : ﴿ **وبشرِّ الصابرين * الذَّينَ إذَا أَصَابَتْهُم مُصيبَةٌ قَالوا : إنّا لله وإنّا إليهِ رَاجِعون**﴾ [٣] .

وهذا هو السبب الأساسي لبقاء شريعة الله ومظهر الاستقلال لكل شعوب العالم ، حيث واجهوا المستكبرين والمستعمرين . وكما أنّ الأنبياء والرسل تحملوا شدائد كثيرة في سبيل رسالتهم حتى أنّ أتباعهم يئسوا من النصر والفرج ، فإن الله عزّ وجلّ حكى لرسوله (ص) صعوبة حالهم وكيفية صمودهم فقال : عزّ من قائل :

﴿ **أمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخلوُا الجنة وَلَمّا يأتِكُمْ مَثَلُ الذينَ خَلَوا مِنْ قبْلكم ، مسّتْهُم البَأْسَاءُ والضَّراء وَزُلْزِلُوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرُ الله ؟ ألا إنّ نصر الله قريب**﴾[٤].

ومن ثم لو تهيأت في المعركة كل البواعث السابقة عدا مقاومة المقاتلين وصمودهم ، لم يتحقق النصر والغلبة . ولكن لو صبروا وقاوموا في سبيل الله لانتصروا على أعدائهم ، حتى لو كان عددهم عُشر الأعداء ، كما قال الله عزّ وجلّ :

﴿ **يا أيُّهَا النَّبيُّ حَرِّض المؤمنينَ عَلىَ القِتَالِ ، إنْ يكُنْ مِنكُم عِشرونَ صَابرونَ يَغْلبوا مئتين ، وإنْ يَكنْ منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذينَ كَفَروا ، بأنّهم قومٌ لا يَفْقَهون**﴾[٥] .

وقد أشار إلى هذا الأمر مَولاَنَا أميرُ المؤمنينَ (ع) حيثُ قَالَ : فَاسْتَعِينوا بالصَّبْرِ ، فإنّ بعد الصّبر النصرُ من الله عزّ وجلّ ، فـ﴿ **إنّ الأرضَ لله يورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ**

(١) مجمع البحرين ج ٣٥٨/٣ .
(٢) البقرة : ١٧٧/٢ .
(٣) البقرة : ١٥٥/٢ ـ ١٥٦ .
(٤) سورة البقرة :٢١٤/٢ .
(٥) سورة الأنفال : ٦٥/٨ .

مِنْ عِبَادِهِ ، والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقين ﴾[١] . ونقل بهذا المضمون حديث عن مالك بن أعين[٢] .

٨ ـ حفظ الأسرار العسكرية

إن أكثر المعلومات العسكرية سرّية فعلى القائد والمقاتل أن يحفظها ويكتمها عن الغير ، ولا ينقلها لأحد ، كعدد الجنود والوحدات ، وإمكانياتها ، ومقرها ، ونوع التقنية ، وتوقيت العمليات العسكرية ، وغيرها من الأمور الهامة .

وقد كتب أمير المؤمنين (ع) إلى أصحاب المسالح :
أما بعد . . . ألا وإنّ لكم عندي ألّا أحتجز دونكم سراً إلّا في حرب »[٣] .

نعم ، لو احتاج القائد إلى المشاورة ، أو أن ينفذ مخططاً ينبغي عليه أن يطرح ذلك على امراء الوحدات ، مع مراعاة كتمانها عن الآخرين ، كما فعل النبي الأعظم (ص) مع عبدالله بن جحش . قال عبدالله بن جحش :

دعاني رسول الله (ص) حين صلى العشاء فقال (ص) وافِ مع الصبح ، معك سلاحك ، أبعثك وجهاً ، قال : فوافيت الصبح وعليّ سيفي وقوسي وجعبتي ومعي درقتي « ترسي » فصلى النبي (ص) بالناس ثم انصرف ، فيجدني قد سبقته واقفاً عند بابه ، وأجد نفراً معي من قريش ، فدعا رسول الله (ص) أبي بن كعب فدخل عليه ، فأمره رسول الله (ص) وكتب كتاباً ، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خولاني[٤] فقال (ص) :

قد استعملتك على هؤلاء النفر ، فامض حتى سرتَ ليلتين فانشر كتابي ـ ثم امض لما فيه » .

قلت : يا رسول الله ، أيّ ناحية ؟

فقال (ص) : اسلك النجدية ، تقدم البئر .

---

(١)و(٢) وسائل الشيعة ج ١١/٧١و٧٣ .

(٣) نهج البلاغة الرسالة/٥٠ .

(٤) قال ياقوت : حولان من مخاليف اليمن وأيضاً هو قرية نقرب دمشق ، فلعل الأديم الخولاني منسوب إلى إحديها . (معجم البلدان ج ٣/ ٤٩٦).

قال : انطلق ، حتى إذا كان ببئر ابن ضميرة نشر الكتاب فقرأه فإذا فيه :

« سِرْ حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهنّ أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمري في من تبعك حتى تأتي بطن نخلة ، فترصد بها عير قريش »[1] .

وهكذا ، لم يطلع عبدالله بن جحش على ما في الكتاب الا في وقت وزمان معينين وهذا وجه من أوجه حفظ السر العسكري ، وكتمانه، وتنفيذ أوامر القائد بحرفيتها .

وربما يكون لحفظ الأسرار وجه آخر ، كالرقابة على سلوك الطابور الخامس للعدو أو جواسيسه ، كما أمر النبي (ص) بمراقبة المرأة[2] ، التي خرجت من المدينة المنورة ، وكانت مولاة لبعض بني عبد المطلب ، أرسلت بكتاب إلى قريش في مكة . فبعث النبي (ص) علياً بن أبي طالب (ع) ، والزبير بن العوام لهذا الأمر . فقال (ص) : « أدركا امرأة قد بعث معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش » .

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة[3] ، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي بن أبي طالب (ع) :

« أقسم بالله ما كُذب رسول الله (ص) ولا كُذبنا ، ولتخرجنّ لنا هذا الكتاب او لنكشفنكّ » . فلمّا رأت الجدّ منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلّت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله (ص) .

وبعد ذلك بقليل ، كان فتح مكة[4] .

٩ ـ الوقوف على إمكانات العدو

إنّ معرفة العدو والوقوف على إمكاناته من الأسلحه والقوى البشرية والإطلاع

(١) المغازي للواقدي ج ١٣/١ ـ سرّية عبد الله بن جحش .

(٢) زعم محمد بن جعفر تلك الإمرأة من زبية ـ وزعم بعض أنها سارة

(٣) اسم موضع .

(٤) السيرة لابن هشام ج ٤٠/٣ .

على كيفية استخدامها من الضروريات التي لا ريب فيها، وعلى القائد أن يعرف كيفية معنويات العدو ، وأن يحسن اختيار غرفة العلميات ، ومركز القيادة ، وتوزيع قواته إذ لكل من هذه الأمور دور خاص في الدفاع أو الهجوم ، كما فعل النبي الأعظم في معركة الأحزاب ، حيث أمر بحفر الخندق وبث مواقعه الدفاعية بعد اطلاعه على الأحزاب عدة وعدداً .

وهذا الأمر لم يتحقق إلاّ من قبل المتسللين الذين يتسللون إلى قوات العدو ، أو إرسال دوريات استطلاعية أو حربية وأسر بعض جنوده للتحقيق معهم للحصول على بعض المعلومات التي تحتاجها القوات في ساحة المواجهة ، كما فعل النبي (ص) ، قبل غزوة بدر .

فإنه (ص) لما أمسى ، بعث علياً بن أبي طالب ، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر ، فلما وصلوا هناك ظفروا برجلين من قريش ،فأتوا بهما فاستجوبوهما،ورسول الله (ص) قائم يصلي ؛ فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ولم يكشفا شيئاً من أمر قريش أبداً ؛ فضربوهما . قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما .

فلما أنهى رسول الله (ص) صلاته قال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقاً ، والله أنهما لقريش .

وسألهما رسول الله (ص) : كم القوم ؟ قالا : كثير .

قال : ما عدّتهم فأجابا : ما ندري .

ثم سأل (ص) : كم ينحرون في كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

فقال رسول الله (ص) : « القوم بين التسع مئة والألف .

ثم سأل (ص) : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام و . . . فأقبل رسول الله (ص) على الناس فقال :

هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها »[1] . (أي زعماءها) .

---

(١) السيرة لابن هشام ج ٢/٢٦٨ .

ونتيجة لحصول المسلمين على هذه المعلومات خطط الرسول (ص) على ضوء هذه المعلومات ، وأحرز ، بالتالي انتصاراً كبيراً على الأعداء .

١٠ ـ كثرة المقاتلين وتسليحهم بالأسلحة الحديثة

إنّ دور هذين الأمرين في خلق الانتصار بديهي وواضح ، وقد شعر بضرورتهما للإنسان الأول في معاركه وقتاله ، هجوماً ودفاعاً ،حيث كان يعبىء ويستنفر كل أفراد مجتمعة من الرجال والنساء ، والصغار والكبار ، وقد بلغ عدد القبائل التي اشتركت في الحرب ضد اليونانيين حوالى ٢١٨ قبيلة[١] . وكان الإنسان يستخدم الأسلحة الخفيفة : كالسيف والمحراث والقوس والمقلاع ، والثقيلة : كالمنجنيق[٢] والدبابة[٣] و . . . سعياً منه كي يتفوق على عدوّه بالعدد والعُدة ، وهما من الأسباب الرئيسية للنصر .

فالكثرة العددية تغلب الشجاعة ، وتدع العدو في موقف حرج لا يستطيع معه تركيز قواته ويتضح هذا المعنى من خلال النصوص التالية :

قال الله العظيم : ﴿ وأعدُّوا لهم ما استَطَعْتمُ من قوَّةٍ ومن رَباطِ الخَيْلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ ، وآخرينَ مِنْ دونِهم لا تَعْلَمونَهُم الله يُعلَمُهُمْ ﴾[٤] .

وقال عز وجلّ : ﴿ لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبيِّنات ، وأَنْزَلْنا مَعَهُم الكتابَ والميزَانَ لِيَقومَ الناسُ بالقِسْطِ ، وأَنْزَلْنَا الحديدَ فيهِ بأسٌ شديدٌ ومنافِعُ للناسِ ﴾[٥] .

قال أمير المؤمنين (ع) في تفسير هذه الآية : « الخير كله في السيف ، وما قام هذا الدين إلا بالسيف . أتعلمون ما معنى قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » ؟ هذا هو السيف »[٦] .

---

(١)و(٢)و(٣) الإدارة العسكرية = أوّل من استخدم المنجنيق هو « جذيمة الأبرش » وأما الدبابة فأول من استخدمها عبد الله بن جعدة .

(٤) الأنفال : ٨/٦٠ .

(٥) سورة الحديد/٢٥ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد ج ٢٠/٣٠٨ .

وفي كتاب التوحيد حديث طويل عن علي (ع) . يقول فيه ـ وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات ـ :

« وقد أعلمتك أن [رُبَّ] شيء من كتاب الله تأويله غير تنزيله ، ولا يشبه كلام البشر ، وسأنبئك بطرف منه فتكفي إن شاء الله .

من ذلك قوله تعالى :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » يعني السلاح ، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله »(١) .

مضافاً إلى ذلك ، ما جرى على لسان زين العابدين علي بن الحسين (ع) حيث دعا لأهل الثغور فقال :

« اللهم صلّ على محمد وآله ، وكثّر عدّتهم ، واشحذ أسلحتهم » كما دعا أيضاً على أعداء الإسلام وقال : « اللهم عقّم أرحامَ نسائهم ، ويبّس أصلاب رجالهم ، وفرق بينهم وبين أسلحتهم .

وقال في موضع آخر :

وانقص منهم العدد وأملأ أفئدتهم الرعب »(٢) .

يُعلم من أدعيته (ع) دور العُدّة والعدد في النصر والغلبة ، سواء كانا في القوات الإسلامية أو غيرها . . .

أجل إن ما قدمناه حول أهمية العدة والعدد لا ينافي أنّ النصر النهائي بيد الله ، حيث إنه ـ عزّ وجلّ ـ : إذا أراد أن ينصر قوماً ويمدّهم بأيده لم تُغْنِ عند ذلك كثرة ولا قلة . كما قال الله عز وجل :

﴿ وما النَصرُ إلاّ من عند الله . إنّ الله عزيز حكيم ﴾(٣) .

ويؤيده ما قال علي بن أبي طالب (ع) :

« إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلّة ، وهو دين الله الذي

---

(١) تفسير نور الثقلين/ج ٥/٢٥٠/ ح ١٠٠ .

(٢) الصحيفة السجادية « الدعاء لأهل الثغور ٢٧ » .

(٣) سورة الأنفال ٨/١٠ .

أظهره ، وجنده الذي أعده وأمّده ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيث طلع ، ونحن على موعد من الله ، والله منجزٌ وعدَهُ وناصِرٌ جُنْدَهُ »(١).

١١ ـ النشاطات خلف خطوط القتال

إن لحماية ظهر الجبهة أثراً عظيماً في الانتصار على العدو ، فهي خزان المقاتلين ، حيث يعيش آباء المقاتلين وأبناؤهم وأسرتهم، فلو أحسن الشعب والأمة حماية ظهور ابنائهم جيداً وفتح ثغرات في جيش العدو ودعم مقاتليهم بجميع طاقاتهم ، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من السلاح والألبسة والمواد الغذائية وغيرها . لكان النصر إلى جانبهم لا محالة . لقد أمر الله عزّ وجلّ المسلمين بالتأهب لقتال أعداء الإسلام كما أمرهم بالدعم الإقتصادي والإنفاق ، وكأنه يقول : ان لم يُساند المسلمون المجاهدين منهم ، فستكون نتيجة قتالهم الهزيمة والفشل ، قال الله العظيم :

﴿ وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾(٢).

وهكذا يؤيده قوله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلمون ﴾(٣) .

فعلى هذا الأساس : ينبغي على الحاكم الإسلامي أن يهتم بحماية ظهر الجبهة ، وبالأمور الإعلامية التي من شأنها أن رفع معنويات الجند ، واشاعة الأمل بالنصر . وعليه أيضاً . أن يحضّ الناس على امدادهم وتموينهم وتأمين جميع ما هم بحاجة إليه .

والجدير بالذكر ما جاء في دعاء سيد الساجدين الإمام زين العابدين ـ ع ـ حيث قال :

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٤٨ .
(٢) سورة البقرة ١٩٥/٢٠ .
(٣) سورة الأنفال ٦٠/٨ .

« وباعد بينهم وبين أزودتهم [١] . . . واقطع عنهم المدد » . كما دعا (ع) أيضاً ؛

« واقبض أيديَهُم عن البسط ، واخزم ألسنتهم عن النطق ، وشرّد بهم مَن خلفهم ، ونكّل بهم من وراءهم واقطع بخزيهم أطماع مَنْ بعدهم »[٢] .

نكتة : يجدر بالقائد أن يمد ويمون الجيش من أماكن متعددة قريبة كانت أم بعيدة ، إذ ربما يهاجم العدو الخطوط الخلفية لكي يقطع الإمدادات الإنسانية وغيرها ، فواجب القائد من ثم ، تأمين امدادته بواسطة الطريق الأقصر في كل الأحوال ، كما عمل النبي (ص) في غزوتي بدر وتبوك ، حيث وفّر الإمدادات من طرق متعددة منها : من المدينة إلى الحديبية ومن الحديبية إلى فدك ، وهما قاعدتا الإمداد المركزيتان ،[٣] وحينذاك كان بين مكة والعالم الخارجي طريقان .

١ ـ طريق ساحلي « غربي » . ٢ ـ طريق صحراوي « شرقي » . وكذلك كان بين المدينة وبلاد الشام طريق آخر وكان النبي (ص) ينّظم على محاورهما : من المدينة إلى الحديبية ، ومن المدينة إلى فدك « إمداداً مستمراً من الوسائط المادي المختلفة . وحينذاك قطع خطوط الإمداد عن قريش في بادىء الأمر وضيق الخناق عليهم حتى أشرفوا على الهلاك[٤] .

(١)و(٢) الصحيفة السجادية دعاؤه لأهل الثغور ٢٧ .

(٣) ابن اسحاق الفاكهي ـ أخبار مكة ٢/٣ ـ الطبري ٤٢٧/٢ الحموي ـ معجم البلدان : ٨٧/٥ و٨٨ .

(٤) الكامل لابن الأثير ١١٣/٢ و١١٦ ـ المغازي للواقدي ٤٠٢/١ ـ السيرة لابن هشام ٢٢٤/٣ « الإدارة العسكرية ص ٢٦٧ » .

البحث الثامن والعشرون

الراية ، الشعار ، كلمة السر

على قائد الجيش أن يشرف على الأمور الثلاثة : « الراية والشعار وكلمة السر » ، فهي مفتاح النصر وبها تتجسد الأهداف العالية التي يحارب الجيش من أجلها . ونبحث هنا في كل واحد منها وفق الترتيب التالي :

أما الراية : فهي العلامة المنصوبة أمام الجيش « العلم الكبير » لكي يراها ، وهي نقطة مركزية للقوات المسلحة ، بحيث تكون كبكبة [1] القائد ، تدور معه حيث دار وتكنى « أم الحرب »[2] .

إن المقاتل حينما يرى الراية تتقدم يشعر بتقدم قواته في المعركة ، ويعرف المنطقة التي تتعلق به ، وهي سبب لتقوية نفسيات المقاتلين حيث تمدهم بمعنويات عالية ، فيحاربون طالما كانت « رايتهم » مرفوعة ، وينهارون عند سقوطها ولهذا فإن حامل الراية أشجع المقاتلين وأقواهم في الجيش ، وعليه أن يناضل ما دام حاملها محافظاً عليها مرفوعة ولو أدى ذلك إلى استشهاده .

وينبغي على حامل اللواء أن يجمع القوات ان تفرقت ، بأي نحو ممكن إذ أن التفرقة تؤدي إلى هزيمة القوات وإبادتها . فعلى القائد أن يوليه اهتمامه ويحمل من شعارات لأنه محط نظر الجيش ، ويتأثر به تأثيراً شديداً وكانت اللواء بما يحمل من

---

(١) الكبكبة : الجماعة المتضامة من الناس أو الخيل .

(٢) مجمع البحرين والمنجد .

شعارات ولا زال ، من الأمور التي تعقد عليها الأهمية القصوى .

ونحن لا نعلم بالضبط متى عرفت الراية في الحروب بصورة أكيدة ، إلّا أنه يظهر من خلال الأحاديث وكتب التاريخ ، بأنّ إبراهيم ـ (ع) ـ كان أول من أخذ اللواء في هجومه على الروم لإنقاذ ـ لوط ـ (ع) .

فمن إبراهيم بن هاشم ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن جعفر ، عن أبيه (ع) :

قال : أول من قاتل إبراهيم (ع) ، حيث أسرت الروم لوطاً ـ (ع) ـ فنفر إبراهيم (ع) حتى استنقذه من أيديهم . . . « إلى أن قال : وأول من اتخذ الرايات إبراهيم (ع) ، عليها : « لا إله إلّا الله »(١) .

ثم على القائد الاهتمام بحامل اللواء وحسن اختياره . فقد ندب النبي الأعظم (ص) لهذا الأمر شخصاً بطلاً صنديداً ، هو الحمزة بن عبد المطلب ، تارة ، وعلي بن أبي طالب (ع) تارة أخرى ، وغيرهما .

ونذكر هنا حادثة تاريخية حدثت في غزوة خيبر تدل على اهتمام الرسول الكريم (ص) بالراية وبحاملها .

قال بريدة بن الأسلمي :

« كان النبي (ص) ربما ابتلي بالصداع فيلبث في المدينة يوماً أو يومين ، وهو لم يخرج ، فلما حدثت غزوة خيبر أخذه الصداع فلم يخرج إلى الناس ، حينذاك أخذ أبو بكر الراية من رسول الله (ص) ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً فلم يغلب ، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً ، ولكنه لم يظفر ، مع أن قتاله وقع أشدّ من اليوم الأول ؛ بالتالي رجع فأخبر رسول الله (ص) بذلك .

فقال (ص) : « أما والله لأعطينّها غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يُحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » .

قال الراوي : فبات الناس يدركون بجملتهم ، أيهم يُعطاها ، فلما أصبح

(١) وسائل الشيعة ج ١١/ ١١٠ ـ باب اتخاذ الرايات ـ « تهذيب الأحكام ج ٦/ ١٧٠/رقم الحديث ٣٢٨ باب النوادر » .

الناس ، غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال (ص) أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا : يا رسول الله (ص) هو يشتكي عينيه .

قال : فأرسلو إليه ، فأتي به فتفل رسول الله (ص) في عينيه ودعا له فبرىء كأن لم يكن به وجع . فأعطاه الراية . فقال علي (ع) :

« يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

قال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادْعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم[١] .

فنهض بها وعليه حلّة حمراء ، فأتى خيبر ، فأشرف عليه رجل من اليهود ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودي : غُلبتم يا مَعْشَر يهود »[٢] .

فعلى هذا الأساس : إن الاهتمام بالراية . وحاملها ، يتأتى عنه الكثير من الأمور الهامة ، وعلى رأسها معنويات المقاتلين وأملهم بالنصر ، كما صرّح النبي (ص) في غزوة خيبر ، وأخْذِها عنوة[٣] ، فقد سلم الراية لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ـ ويؤيد ما ذكرناه ما قال أمير المؤمنين (ع) يصف الراية وحاملها ويحفظها :

« ورايتكم فلا تُميلوها ولا تخلوها ، ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم ، والمانعين الذمار منكم ، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يَحُفون براياتهم ويكتنفون حَفافَيْها ووراءها وأمامها ؛ لا يتأخّرون عنها فيسلموها ، ولا يتقدمون عليها فيفردوها »[٤] .

أمّا الشعار ؛ وجمعه أشعِرة وشُعُر . فهو نداء مخصوص يعرف القوم به بعضهم

---

(١) هي أفضل الثّروة عند العرب .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ / ٢١٩ ـ « سفينة البحار ج ١ مادة خبر » ص ٣٧٣ ، نقل فيه عن البخاري ومسلم بإسنادهما عن سعيد بن سهل .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٢٤ .

بعضاً ، أو يتنادون به للحرب أو الغزو ، ويسميه المولدون « سر الليل »[١] . وقد استخدمه الناس في الحروب قبل ظهور الإسلام ، وعندما أتى النبي (ص) بالشريعة الإسلامية لم يمنعه ، بل أقره وحلله تجاه من اعتقد بحرمته ، كما وقد دلّ عليه الحديث الشريف التالي :

عن محمد بن يعقوب ، عن أبيه . . . عن بعض أصحابه ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله (ع) قال :

« قدم ناس من مزينة على النبي (ص) فقال : ما شعاركم ؟ قالوا : حرام . قال : بل شعاركم حلال »[٢] .

والشعار بالإضافة إلى ذلك ، أفضل الطرق لإبلاغ الرسالة الإلهية ، ومن ثم يجب أن يكون الشعار نابعاً من صلب المفاهيم الإسلامية ، كما يشهد عليه ما صدر عن قيادة الشريعة الإسلامية الحكيمة لسيدنا محمد ـ (ص) في غزوة أحد ، حيث استشهد كثير من المسلمين ، وما صدر بالمقابل ، عن رائد الكفر . أبي سفيان . ما يدل على الشرك والوثنية .

جاء في التاريخ : قال أبو سفيان حينما كان مشرفاً على المسلمين : أفي القوم محمد (ص) ؟ ثلاثاً ، فقال رسول الله (ص) لا تجيبوه . ثم سأل الآخرين . حينذاك التفت أبو سفيان إلى أصحابه ، فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا ؛ فهتف هو ومن معه : اعْلُ هُبَل ، اعْلُ هبل ، أي : إنّهم أرادو أن يقولوا إن انتصارنا من الأصنام وهزيمتكم نشأت من عدم الإيمان بها .

فأمر النبي (ص) أصحابه فقال : قولوا الله أَعْلَىٰ وأَجَلّ .
ثمّ قال أبو سفيان ومن معه : إنّ لنا العُزّى ولا عُزّى لكم .
فأجاب رسول الله (ص) ردّوا عليهم : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم[٣] .

وربما يحاول أعداء الاسلام استغلال الشعار الذي يعتمده المسلمون ، كما

(١) المنجد ـ اللغة شعر .
(٢) وسائل الشيعة ج ١١/١٠٦/حديث ٢ .
(٣) الكامل لابن أثير ج ٢/١٦٠ ـ المغازي للواقدي ج ١/٢٦٩ .

ذكرنا سابقاً في الحروب النفسية ، كما حدث في حرب صفين من قبل معاوية وأصحابه ، ويمكننا أن نتعرف على أشعرة المسلمين في غزواتهم من خلال هذا الحديث الشريف :

عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله (ع) قال :

« شعارنا : « يا محمد ، يا محمد » .

وشعارنا يوم بدر : « يا نصر الله اقترب اقترب » .

وشعار المسلمين يوم أحد : « يا نصر الله اقترب » .

ويوم بني النضير : « يا روح القدس أرح » .

« ويوم بني قينقاع : « يا ربنا لا يغلبنك » .

يوم الطائف : « يا رضوان » .

وشعارنا يوم حنين : « يا بني عبدالله ، يا بني عبدالله » .

ويوم الاحزاب : « هم لا يبصرون ».

ويوم بني قريظة : « يا سلام أسلمهم » .

ويوم المرَيسيع ، وهو يوم بني المصطلق : « ألاّ إلى الله الأمر » .

ويوم الحديبية : « ألا لعنة الله على الظالمين » .

ويوم خيبر ، يوم القموص : « يا عليّ آتهم من عل ».

ويوم الفتح : « نحن عباد الله حقاً حقاً » .

ويوم تبوك : « يا أحد يا صمد » .

ويوم بني الملوح : « أمت أمت » .

ويوم صفين : « يا نصر الله » .

وشعار الحسين : « يا محمد (ص) » .

وشعارنا « يا محمد (ص) »[١] .

ومن هذه الرواية يعرف أنّ الأشعرة تختلف وفقا للظروف ، ولكل شعار خاصيته ، وعلينا أن نستعمل أنسبها للمعركة ، لأهميتها .

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١/١٠٥ ـ الفروع من الكافي ج ٥/٤٧ ـ الحديث الأول .

وأما « الرجز » : فقد يستفاد منه في القتال ، لاسيما عندما يبارز الفارس قرنه ، فيعرف نفسه تعريفاً خاصاً بواسطة الرجز ، وجاء في اللغة : الرجز هو بحر من أبحر: الشعر[١] وقيل : سمي بذلك لاضطرابه تشبيهاً بالناقة .

وما حدث في خيبر من استعمال الرجز في الحرب شاهد على ما قلنا : « إن مرحب خرج في خيبر وهو صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبهُ مثل البيضة وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذ الليوث أغلبت تجرب

فقال علي بن أبي طالب (ع) على جري الرجز :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة اكيلكم بالسيف كيل السندرة
ليث غاباتٍ شديد قسورة[٢].

كلمة السر : السر جمعه أسرار ، وهو ما يكتمه الإنسان في نفسه ، فيقال : « صدور الأحرار قبور الأسرار »[٣] .

وكلمة السر ؛ هي رمز ومظهر للكثير من الأمور ، كما جاء في اللغَة : شعار القوم في الحرب : علامتهم ليعرف بعضهم بعضاً في ظلمة الليل[٤] .

وهذا المعنى معروف عند كل جندي خدم في الجيش مدة قصيرة ، حيث إنه لو أراد أن يخرج ليلاً من وحدة إلى وحدة أخرى وجب عليه استخدام كلمة السر ، سواء كان في خطوط القتال أو خلفها ، حيث إن الحرس يمنعونه من الاقتراب حتى يسألونه عن كلمة السر في الليل ، فإن اخطأ ، فإلى المعتقل . والتحقيق ، حتى يطمأنّ إليه ، ويتبين إلى أي فئة يعود، ومن أي وحدة جاء. إذ قد يكون مرتبطاً بالعدو وجاسوساً له ، لأن العدو يدأب على ارسال جواسيسه لكي يتسللوا للاستطلاع ، أو القيام بعمليات

(١) مجمع البحرين « المنجد » وزنه مستفعلن ٦مرات .
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢/ ٢٢٠ ـ المغازي : ج ٢/ ٦٥٤ .
(٣) المنجد ـ المادة ـ شعر .
(٤) مجمع البحرين ـ المادة ـ شعر .

التخريب ، وعلى القائد أن يغيّر كلمة السر يوماً بعد يوم ، أو ليلة بعد ليلة .

وتستخدم كلمة السر رمزاً للبدء بالعمليات العسكرية ، حيث إنها تستخدم بالتنسيق مع كافة الوحدات في بداية الهجوم من محاور مختلفة ، مضافاً إلى ذلك ينبغي على القائد أن يفكر عند انتقائها أن تكون محركة العواطف والدوافع ، كما رأينا أن حرس الجمهورية الاسلامية وجيشها بدأوا في بعض المعارك بكلمات السر مثل يا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) أو يا رسول الله (ص) أو يا أبا عبد الله الحسين (ع) .

ويؤيد هذا المعنى حينما تنطبق كلمة السر على الشعار كما يستنبط من الحديث المنقول عن معاوية بن عمار . قال : « أكثر الأشعرة كانت كلمة السر » .

نعم ، على القائد وآمري الوحدات أن يحفظوا ويكتموا كلمة السر حتى لحظة التنفيذ في شن الهجوم على العدو .

البحث التاسع والعشرون

توجيهات معنوية للجيش

تنمية الروح المعنوية والأيديولوجية لـدى أفراد الجيش ، من الأمـور الهامـة . على القائد أن يحافظ عليها ، ويوليها حقها من الاهتمام . كما أمر الله « عـز وجل » نبيّه حيث قال :

﴿ يا أيها النّبي حرِّض المؤمنينَ علَى القِتَال إنْ يَكُنْ منكم عشـرونَ صابـرونَ يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألْفاً من الذينَ كَفَروا . . . ﴾[1] .

ويتحقق هذا الأمر من خلال الأمرين التاليين :

١ ـ مسايرة القـائد ، وتضـامنه مـع الجنود ، والحـذر من الأمور البـاعثة على الفرقة ، وقد مرّ توضيح هذا الأمر في صفات القائد .

٢ ـ توجيه الجنود بالتربية العسكرية ، وبالأحاديث والخطب المثيرة : لا ريب أن الخطب تؤثر على معنويات الجيش وترفعها حتى تتضاعف قوة الجيش واستعداده للقتال ، ويصبح الجنـدي مستعداً للتضحيـة والفداء من أجـل الإسلام ورفـع كلمته عالياً ، لاسيما إذا صدر الكلام عن القائد المجرب الصادق الأمين الوجيـه ، فبسحر كلامه يقلب القلوب ، ويحول الأمور ، ويرشد الجيش إلى الأهداف المقدسة الرفيعة المستوى . والدليل على ذلك قول رسول الله (ص) : « إنّ من البيان لسحراً »[2] .

---

(١) سورة الأنفال ٨/٦٥ .

(٢) نهج الفصاحة رقم الحديث ٩١٦ .

قال الإمام فخر الدين في تفسير هذا الحديث : بعض البيان سحر ، لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل بحسن بيانه ، فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر .

وقيل في معناه : لما كان في البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السامع ويخرجه إلى حدّ يكاد يشغله عن غيره ، شُبّه بالسحر الحقيقي ، وقيل هو السحر الحلال[١] .

نقل عن النبي الأعظم (ص) في الغزوات ، وعن الأئمة المعصومين والقادة المسلمين في الحروب الإسلامية أحاديث مؤثرة ، وخطب مثيرة رائعة ، وكان عددها كثيراً من المناسب أن نذكر هنا بعضها :

كان المسلمون في غزوة بدر الكبرى في ضيق شديد ، فما كانت لديهم إمكانات حربية ولا وسائل قتالية تؤمن لهم العقبة والنصر . وقد وصف ذلك كله القرآن الكريم ، إذ قال ـ عزّ من قائل :

﴿ ولقد نَصَركم الله بِبَدْرٍ وأَنتُم أذِلّةٌ ، فاتّقوا الله لعلكم تشكِرون ﴾[٢] .

إن ملاحظة الجدول التالي توضح حال المسلمين عدداً وعدة بالنسبة إلى أعدائهم ، وما النصر الا من عند الله .

البيان	القوات الإسلامية	قوات المشركين	النسب
المقاتلون	٣١٤	قرابة ٩٥٠	٣٠٪ ـ ٣٠ ـ ١
الإبل	قرابة ٧٠	قرابة ٣٥٠	٢٠٪ ـ ٢٠ ـ ١
الخيل	٢	٢٠٠	٠١٪ ـ ١ [٣]

حينذاك اقترح سعد بن معاذ مخططاً للطوارىء ، وتقديراً للهزيمة قبل النصر وهو : أن يكون مقر القيادة بمثابة خط رجعة ، بوسع النبي الأعظم (ص) « الانسحاب منه ، والرجوع إلى المدينة بسلام ، إذا تعذر على القوات الإسلامية النصر[٤] .

(١) مجمع البحرين ج ٣٥٢/٣ .
(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .
(٣) أرقام الجدول نقلاً عن الكامل لابن الأثير ج ١١٨/٢ .
(٤) الرسول العربي وفن الحرب/١٦٨ لابن الأثير ١٢٢/٢

في هذا الموقف الصعب الحرج ، خرج رسول الله (ص) وهو نادى : « سيهزم الجمع ويولّون الدّبر »[١] . وحرض المسلمين على القتال فتغير الأمر ثم قال :

« والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلاّ أدخله الله الجنة » .

هذه الكلمات الموجزة غيرت معنوية المقاتلين ورفعتها ، بحيث قال عمير بن الحمام الأنصاري وبيده ثمرات يأكلهن :

بخ بخ! ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلاّ أن يقتلني هؤلاء ، ثم ألقى التمرات من يده وحارب حتى قتل في سبيل الله »[٢] . وهذا الآخرون حذوه .

في الحقيقة ، هذه الكلمات ألحقت بالعدو هزيمة منكرة ، فقتل منهم عدد كبير ، وأثر منهم آخرون ، وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** . . . ﴾ .

كلمة مشجعة لعبدالله بن رواحة في غزوة مؤتة

وجد المسلمون انفسهم فجأة امام عدد كبير من قوات المشركين في أرضر (مؤتة) ، حينذاك جزعوا من هذه المعركة غير المتكافئة اذ كان تعداد المشركين يفوق بعشرة أضعاف تعداد المسلمين . ولهذا فكر المسلمون وقيادتهم بجمع قوتهم في (معان) وبالكتابة للرسول الكريم (ص) وإخباره بذلك ، حتى يمدهم بالمقاتلين ، أو يرى رأيه في الأمر . حينما سمع عبدالله بن رواحة ـ رحمة الله عليه ـ باجتماعهم وقرارهم ساءه ذلك منهم ، وأخذ يحرضهم على القتال بكلمة جامعة لمعنى الجهاد من المنظور الإسلامي الصحيح : « يا قوم ، والله إنّ التي تكرهون للتي تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، والله لقد رأينا يوم بدر ما معنا إلا فرسان ، ويوم أحد فرس واحد . فانطلقوا . وإنما هي إحْدى الحسنيين : إمّا ظهور وإمّا شهادة » .

---

(١) هذه الجملة آية شريفة في كلام الرسول (ص) سورة القمر/٤٥ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢/١٢٦ .

قال الراوي : فقال الناس : قد ، والله . صدق ابن رواحة (١) .

وما أن انتهى عبدالله بن رواحـة من مقالتـه ، حتى ثارت في نفـوس المقاتلين النخوة ، ونفخت فيهم روح الاستبسال والتضحية ، والفداء ، وقرروا الصمود ومقاومة العدو ، فحاربوا المشركين ، وأوقعوا فيهم خسائر جسيمة . خطاب مثير لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في معركة صفين .

عندما حطَّ أمير المؤمنين علي بن طالب (ع) وجنوده رحالهم في أرض صفين ، رأوا فجأة أنَ أصحاب معاوية بقيادة « أبي الأعور » قد أشرفوا على شريعـة الفرات ، وراحوا يمنعونهم ورود ماء الشريعة .

بعث علي بن أبي طالب (ع) صعصعة بن صوحان إليهم ، لإلقاء الحجة على سوء ما يقترفون ، فدحض حجتهم ، وقطع عذرهم ودخل على صـاحبهم معاويـة ، وسلمه كتاب أميـر المؤمنين : فالكـل في الماء سـواء . ورفض معاويـة وظن أن في تحكمه بالماء يكون هلاك أعدائه ، وعاد صعصعة إلى مولاه ينقل إليه تصميم القـوم على منعه وصحبة الماء ، حينذاك جمع أمير المؤمنين أصحـابه وشجعهم وحـرضهم على القتال حيث قال (ع) :

قد استطعموكم القتال(٢) ، فأقِروا على مذِلَّةٍ ، وتأخير مَحَلَّة ، أو روُّوا السيوف من الـدماء تـرَووْا من الماء ، فـالموتُ في حيـاتكم مقهورين ، والحيـاة في مـوتكم قاهرين . ألا وإن معاوية قاد لُمة(٣) من الغُواة ، وعَمَّس(٤) عليهم الخبر ، حتى جعلوا نُحورهَم أغراض المنية »(٥).

ولـم تمض مـدة قليلة حتى بدأ (ع) وأصحـابه هجـومهم ووضعوا يـدهم على الشريعة بعد اجلاء قوات معاوية عنها ، فبدت ثمرة الخطاب في المعركة .

(١) المغازي للواقدي ج ٢ / ٧٦٠ سيرة ابن هشام ج ٤ / ١٧ .
(٢) استدعوكم وطلبوا أن تطعموهم القتال
(٣) اللُمة بالتخفيف : الجماعة القليلة .
(٤) عمّس الخبر : أبهمه وجعله مظلماً .
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٥١ .

توجيه آخر في معركة صفين ، للقائد المجرب « عمار بن ياسر » .

لقد شارك عمار بن ياسر في معركة صفين وقد نيف على التسعين من عمره قضى معظمها في غزوات عديدة مع النبي الأعظم (ص) ، ومن بعده مع علي بن أبي طالب (ع) في صفين ، وغيرها يقود الجيش بحمية واندفاع ، ولاحظ القائد الهمام ، في بعض المراحل ، أن الضعف قد دَبَّ في قواته بسبب بث الإشاعات ، فخطب في جيشه قائلاً :

« اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته ، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ضبة سيفي في بطني ثم انحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته . وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم عملاً أرضى لك منه لفعلته . . . وايم الله ، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات حجر لعلمت أنا على الحق ، وأنّهم على الباطل .

ثم قال : من يبتغِ رضوان الله ربه فلا يرجع إلى مال ولا ولد .

حينذاك ، سرى سحر كلامه بين صفوف الجيش سريان النار في الهشيم فأتته عصابة ، فقال : اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان ، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبّوها .

ثم مضى ومعه تلك العصابة ، فكان لا يمرّ بوادٍ من أودية صفين الا تبعه[1] .

فالواقع أن لمثل هذه الخطب وقع مؤثر في الغزوات والحروب الإسلامية ، وبتعبير آخر ، ما من غزوة إلّا وتلقى فيها كلمات ذات أثر عظيم في رفع معنويات الجيش ، ولكن النقطة التي تلفت النظر هي ، أن الرسول الأعظم (ص) والأئمة المعصومين ، والقادة الأجلاء في الغزوات ، لم يعمدوا إلى الأضاليل والإفتراءات في كلامهم ، ولو كانت ذات أثر إلى حين ، والسبب في ذلك . يعود لمعرفتهم بأثرها السلبي على معنويات الجيش مستقبلاً ، لأنه سرعان ما تتضح الحقائق وتفتضح الأكاذيب ، فلا يعود لمثل هذه الأقوال إن عادوا لها من أثر ! . . .

قد يرفع القائد معنويات جنوده بالترغيب ، في احوال ، والترهيب ، في أحوال

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣٠٨/٣ ـ ٣٠٩ .

أُخر . كما فعل زعيم الثورة الإسلامية الإمام الخميني « قدس سره » حيث كان يوجه نداءاته إلى الجيش والشعب عند احساسه بالخطر ، فيحولهم من الضعف إلى القوة ، وبما ينفخ فيهم من روح الشجاعة والتضحية .

لقد حاول الاستكبار العالمي بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة أن يستعين بالمناهضين للثورة ، للقيام بآخر حركة لهم ، تستهدف توجيه ضربة للجمهورية الإسلامية ، بفصل منطقة من أراضينا الإسلامية باسم « كردستان الحرة » .

واختار المناهضون للثورة مدينة « پاوة » وقد سقطت پاوة البطلة بأيديهم بعد هجومهم عليها ، ومحاصرتها ، الشهيد الدكتور مصطفى جمران والقوات الإسلامية المقاتلة من حرس الثورة ، وقوات الدرك والجيش .

حينذاك قرروا جميعاً المقاومة حتى الاستشهاد ، وبذل آخر قطرة من دمائهم ، وكانت حلقات الحصار من قبل أعداء الإسلام تضيق على المؤمنين شيئاً فشيئاً ، وقد رُفعت مكبرات الصوت في وسط المدينة وهي تزعق :

كل من يعلن تأييده وولاءه للحزب الديموقراطي فهو آمن ، إننا أتينا فقط لنقطع رؤوس حرس الثورة والدكتور جمران .

وفي تلك الاجواء الخطيرة ، حيث انتشرت إشاعة سقوط (پاوة) ، أصدر الإمام الخميني (قدس سره) الشريف . بيانه التاريخي المصيري .

« الخطاب المصيري للإمام الخميني « قدس سره » » القائد العام للقوات المسلحة ، الذي ألقاه في ١٣٥٨/٥/٦ هـ ش » .

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد طالبت الجماهير من جميع أنحاء إيران على اختلاف قطاعاتها من الجيش والحرس والجماهير الغيورة ، أن أصدر قراراً بالتوجه إلى « باوه » وإنهاء هذه الغائلة .

إنني أشكرهم جميعاً ، وأوجّه الإنذار إلى الدولة والجيش وقوات الدرك ، وأقول : إذا لم تتحرك القوات بمدافعها ودباباتها خلال أربع وعشرين ساعة إلى (پاوة) ، فإنني أعتبر الجميع مسؤولين عن ذلك .

إنني بصفتي القائد العام للقوات المسلحة ، آمر رئيس أركان الجيش والدرك . أن يتوجه للمنطقة بكامل التجهيزات والمعدات ، كما إنني آمر جميع القوات في معسكرات الجيش والدرك أن يتحركوا تجاه (پاوة) قبل فوات الآوان ، ودون حاجة إلى أخذ الأمر من أحد . وآمر الحكومة أن تهيء الوسائل لتحرك حرس الثورة فوراً . فإني أعتبر قوات الشرطة هي المسؤولة عن هذه المذبحة الوحشية ، حتى صدور أمر آخر ، وإذا لم تستجب تلك القوات إلى أوامرنا فإنني سأعاقبهم ثورياً .

مرة أخرى تأتي الأخبار بأن الحكومة والجيش لم تُقْدِم على عمل ما ، وإذا لم يتم القيام بعمل إيجابي خلال أربع وعشرين ساعة . فإنني أعتبر قيادات الجيش وقوات الدرك هي المسؤولة عن ذلك (١) . والسلام.

« روح الله الموسوي الخميني»

ثمرة هذا الخطاب

قبل أن يصدر زعيم الثورة الإسلامية هذا الحكم التاريخي سقطت قاعدة الحوامات في (پاوة) واحتلها المناهضون للثورة ليومين وهما ٢٤ و٢٥/ مرداد عام ١٣٥٨ هـ . ش الموافق/١٩٧٩/ميلادي .

وأعلن تلفاز الجمهورية الإسلامية في اليوم نفسه أن المناهضين للثورة قطعوا رؤوس ١٨/من حرس الثورة الإسلامية . وقال الشهيد الدكتور جمران : فور صدور وانتشار الحكم التاريخي للإمام (قدس سره) تغيرت الأمور كلها ، كأن الحكم نفخ في أرواح الشباب المتعبين روح الجهاد والتضحية ، وعلا هتاف الحرس بـ« الله أكبر » ، فحينذاك . انهارت معنويات مناهضي الثورة ، وخفّت نار العدو ، وشعرنا أنّ كثيراً منهم هربوا من المعركة .

وفي اليوم الآخر وصل الجيش والقوات المسلحة وأبادوا المناهضين بأسرهم . وبالحملة صار الموقف جيداً حتى أنكر جلال الطالباني تدخل قواته في الغائلة ، مع أنّ هؤلاء قد شاركوا فيها .

---

(١) نقلاً عن كتاب « حديث حماسه » وترجم من الفارسية إلى العربية .

نداء حيوي آخر لزعيم الثورة الإسلامية في الحرب الامريكية المفروضة

هاجم العراق الجمهورية الإسلامية في إيران بكل الأسلحة والمعدات ، واحتلّ آلاف الكيلومترات من الأراضي الإيرانية ، وبعد سنة ونصف من عدوان العراق بدأت الجمهورية الإسلامية بعملية عسكرية اسمها « الفتح المبين » لكي تُخرج العدوان الصهيوني العفلقي من أراضيها . وكانت العمليات تعرف بالعمليات في منطقة الجنوب في اليوم الثاني من فروردين سنة ١٣٦١ هـ . ش . وكانت كلمة السر « يا فاطمة الزهراء سلام الله عليها » .

قام مقاتلوا الإسلام بهجومهم من نواح مختلفة وفق الأوامر الصادرة من « مقرّ النصر والقدس » وكان الهدف من ذلك ، تحرير مناطق مختلفة مثل دشت عباس ودهلران وغيرهما ، وقد حقق هذا الهجوم بعض أهدافه[١] .

كانت العمليات مستمرة حين ارتفع نداء سماحة إمام الأمة من إذاعة الجمهورية الإسلامية . وكان ذلك سبباً لإكمال الانتصارات ، حيث إنه رفع معنويات الجنود ، ودفعهم لتحقيق الكثير منها ، وإليك ذلك النداء الخطير، الهام .

« بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ صدق الله العلي العظيم . إني اخذت علماً بالأخبار المشجعة من جبهات الحرب ضد القوى الشيطانية الواحدة تلو الأخرى . إنّ القلم ليعجز أن يعبّر عن مشاعري ، كما أهنىء القوات المسلحة الإسلامية التي يحبوها الله « عز وجل » بالنصر الأخير .

مبارك لكم أيها الأعزاء صانعوا الفخر والاعتزاز بانتصاركم العظيم الذي حققتموه بعون ملائكة الله ، ونصرة الملكوت الأعلى للإسلام وإيران العزيزة ، بلد بقية الله الأعظم أرواحنا فداه .

إنّ رحمة الله الواسعة لأولئك الأمهات والآباء الذين ربوكم في أحضانهم

---

(١) (نشرة خاصة للمساعد السياسي للقيادة العامة للقوات المسلحة الرقم ٤) .

الطاهرة ، أنتم شجعان الحرب في ميادين الوغى والمجاهدون بالأنفس في الليالي النورانية الوضاءة ، هنيئاً لكم أيها الشباب النجباء التواقون لرضا الخالق ، والمنتصرون في أعلى المواقع الروحانية والجسمانية الظاهرية والباطنية .

بورك لبقية الله ، أرواحنا له الفدا وجود مثل هؤلاء المقاتلين الأفذاذ ، والمجاهدين في سبيل الله ، الذين حفظوا الكرامة ، ورفعوا رأس إيران عالياً ، وزادوا الجهاد في سبيل الله رفعة .

إنّ الشعب الإيراني العظيم وأبناء الإسلام يفتخرون بكم أيها الشجعان ، أحسنتم أيها العظماء حينما جعلتم وطنكم على أجنحة ملائكة الله، ورفعتم رؤوسكم بين شعوب العالم، بورك للشعب الذي أنجب مثل هؤلاء الشباب المقاتلين، وتعظيماً لك أيها الشعب الذي قام بالدعاء والإبتهال والسرور عندما سمع بفتوحات المقاتلين الأفذاذ وانتصاراتهم .

إنني أقبّل أياديكم المشرعة إلى العلاء ، وسواعدكم المقتدرة التي يد الله فوقها ، وأنا أفتخر بهذا التقبيل . إنكم وفيتم بدينكم حيال الإسلام العزيز والوطن الشريف ، وقطعتم الأيادي الطامعة للقوى العظمى والمرتزقة عن بلادكم ، وجاهدتم بكل سخاء في سبيل الشرف وعزة الإسلام . « يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً » .

تحيّة للقادة الأجلاء ولجميع مجاهدي الإسلام . اللعنة والمقت للمنافقين والمنحرفين ، الذين أرادوا أن يشعلوا النار في أحد مستودعات هؤلاء المجاهدين الأبرار . وسخط الله وغضبه على أولئك الذين لا يعرفون الله ، والذين أرادوا مساعدة صدام العفلقي لإنقاذه .

والشكر اللانهائي لله ، الذي أوكل إليكم هزيمة العدو المفضوحة ، أن تجعلوا قوات الكفر تبدو ذليلة ومَهينة أمام القادر المتعال ، ومنبوذة شوهاء أمام الشعوب الإسلامية .

إنني أدعو الله تعالى أن يمّن عليكم بالنصر النهائي أيها الأعزاء ، والهزيمة النكراء للذين يناهضون الحق . التحية لكم ، والرحمة من الله تبارك وتعالى للشهداء

في سبيله على جبهات الحق ضد الباطل . والسلام على عباد الله الصالحين .[١]

« روح الله الموسوي الخميني »

الثاني من فروردين سنة ١٣٦١ هـ . شمسي .

نتائج هذا النداء

حينما نشر نداء الإمام . المتضمن مدح المقاتلين وتعظيم عملياتهم المظفرة ، وذكر الإمدادات الإلهية ، استبسلت قيادات الوحدات ، والمقاتلون فواصلوا عملياتهم الجهادية ضد العدو الصهيوني ، حتى أتموا المرحلة الثانية والثالثة والرابعة دون أيّ توقف . إذ لم تبق للعدو أية قدرة على القيام بعملية هجومية مضادة . بل ولّى هارباً ، مخلفاً وراءه الكثير من الخسائر ، حيث غنمت القوات الإسلامية في هذه المعركة أعداداً كبيرة من الدبابات والمدافع والمدرعات وغيرها ، كما أنه قد تّم أسر خمسة عشر ألفاً من الضباط والجنود ، بعد إبادة عدد منهم يتراوح بين عشرين ألفاً وخمسة وعشرين ألف ، كما تم تحرير أراضي شاسعة بينها بعض المدن التي كانت على مرمى المدفعية والصواريخ ، قريبة المدى أو بعيدته ، كدزفول ـ انديشمك ، شوش ، دشت عباس ، عين خوش ، والطريق الموصل بين أنديشمك والأهواز و . . .[٢].

---

(١) جريدة الجمهورية الإسلامية ٧ ـ فروردين سنة/١٣٦١ الهجري الشمسي .

(٢) نشرة خاصّة للمساعد السياسي للقيادة العامة للقوات المسلحة الرقم « ٤ » .

البحث الثلاثون

المرأة المجاهدة ودفاعها عن الإسلام

مرّ في البحث الثاني أنه لو تعرضت بيضة الإسلام للخطر ، وهاجم بلاد المسلمين أعداؤهم ، فعلى كل مكّلف ـ رجلاً كان أو امرأة أن يهبّ للدفاع بكل الوسائل المتاحة عن بيضة الإسلام ، وأرض المسلمين .

ولا شك أن المرأة أدت واجبها عبر التاريخ الإسلامي ، وقامت بدورها الأساسي ، وتحملت إلى جانب الرجل مصاعب كثيرة من أجل عقيدتها ، وضحتّ بنفسها ، باعثة العزة والكرامة في نفوس أمتها وهذا ما يشهد به التاريخ حيث جاء فيه . أن سمية بنت حباط أم عمار بن ياسر ، كانت تتعرض للتعذيب من قبل أبي جهل ـ لعنة الله عليه ـ لكي تتراجع عن عقيدتها الإسلامية ، ولكنها صبرت على أذاه حتى التحقت بربها شهيدة ، فكانت « أول شهيدة في الإسلام »[1] .

ويمكننا أن نتعرف على مدى التعذيب الذي تعرضت له أمّ عمار من قول ابنها للنبي (ص) حيث قال : يا رسول الله ، بلغ العذاب من أمي كل مبلغ ! فقال رسول الله ـ (ص) ـ:

« صبراً يا أبا اليقظان ، اللَّهُمَّ لا تعذبْ أحداً من آل ياسر »[2] .

وقد يتساءل امرؤ عن دور المرأة في المعارك ، ما هو؟ والجواب على ذلك أن للمرأة دوراً كبيراً فهي تحرض المقاتلين ضد الكفار ، والمشركين والمعتدين على

---

(١)و(٢) سفينة البحار ج١/اللغة سما ص ٦٦٤ .

حدود الله قبل بدء المعركة أو أثناءها ، وترد الفارّين ، وتداوي الجرحى ، وتقوم بالتمريض ، وتحضر الطعام للمقاتلين ، وتسقي العطشان ، وتخيط القربة ، وتغسل الألبسة وتخيطها .

تستفاد هذه الأمور من الأحاديث المنقولة من خلال حوادث تاريخية .

منها : ما نقل عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن إبراهيم بن سليمان ، عن هشام ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية الأنصارية ، قالت :

غزوت مع رسول الله ـ (ص) ـ سبع غزوات ، أخلفهم في رجالهم ، فأصنع لهم الطهام وأداوي الجرحي ، وأقوم على المرضى »[1] .

ومنها : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، جميعاً عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة عن أحدهما (ع) قال :

« إنّ رسول الله ـ (ص) ـ خرج بالنساء في الحرب ، يداوينّ الجرحى ، ولم يقسم لهنّ من الفيء شيئاً ، ولكنه نفلهنّ »[2] .

ومنها : ما أجاب به ابن عباس حينما سأله ـ نجدة ـ في كتاب ينطوي على خمسة أسئلة :

من جملة المسائل : أما بعد فأخبرني هل كان رسول الله ـ (ص) ـ يغزو بالنساء ؟

فكتب ابن عباس : « كتبت تسألني ـ هل كان رسول الله (ص) يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهنّ فيداوين الجرحى ويُحذيَن ـ أيْ يعطينّ الخدوة وهي العطية ، وتسمى الرضخ ، والرضخ العطية القليلة من الغنيمة »[3] .

مكان المرأة في المعركة

مكان المرأة في المعركة خلف خطوط القتال ، أو قريباً منها ، كأم عطيّة

(١) صحيح مسلم ج ٣/ص ١٤٤٧ ـ الحديث ١٤٢ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١١/باب ٤١ ـ حديث ٦ « جواهر الكلام ح ١٩١/٢١ » البيهقي في السنن الكبرى/٩ -٢٢ -٣٠ .

(٣) صحيح مسلم ج ٣/ص ١٤٤٤ ـ حديث ١٣٧ .

الأنصارية وغيرها كما نقل في التاريخ ، كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) في عزوة أُحد مع النبي (ص) فعندما جرح وجهه الشريف، قامت فاطمة بغسل الدم الطاهر ، عنه[١] ولم تكن فاطمة وحدها ، بل ذكر الواقدي :

« خرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماءً وكان عددهنّ أربع عشرة ، منهن فاطمة (سلام الله عليها) ، يحملنّ الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ويداوينهم[٢] - وكانت فاطمة - (سلام الله عليها) في غزوة الأحزاب مع رسول الله (ص) في جبل سلع[٣] . وعلى المشهور أن مقر القيادة كان هناك »[٤] .

لم يكن دور المرأة يقتصر على وقوفها خلف خطوط القتال أو قربها ، بل كان يتعداه إلى ما هو أكبر من ذلك بكثير ، حيث كانت تحرض المقاتلين وتدفعهم لساحة الحرب ، مثيرة فيهن النخوة والحفاظ للمساهمة في الحرب بصورة جيدة ، فكانوا يسترخصون أنفسهم وما يملكون في سبيل مبادئهم النبيلة . ودليلنا على ذلك ما حدث في معركة كربلاء ، إذ كان بعض أصحاب الإمام الحسين - (ع) - يصطحبون أسرهم ، وقد شاركت نساؤهم في المعركة مشاركة عملية ، وذلك إمّا بصورة مباشرة ، وإما عن طريق دفع أزواجهن أو أبنائهن إلى المذبحة دفعاً .

فهذه قصة عمر بن خبادة الأنصاري ، لقد قتل أبوه في معركة كربلاء ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فاستأذن الإمام الحسين - (ع) - لمحاربة الأعداء ، لكن الإمام لم يوافق على ذلك ، وقال - (ع) - :

إن هذا الغلام قتل أبوه في الجولة الأولى ، ولعلّ أمّه تكره ذلك .

فقال الغلام : إنّ أمّي هي التي أمرتني .

فأذن له فقاتل ، فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين (ع) ، فأخذته أمه ومسحت الدم عنه ، وقالت : أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرة عيني ! ثم أخذت برأس ابنها ، فضربت به رجلاً من العدو ، وهي تنادي : يا عدو الله ، لن آخذ

---

(١)و(٢) المغازي للواقدي ج ٢٤٩/١ .

(٣) في جبل سلع كانت المساجد الخمسة المشهورة باسم : « الفتح ، وسلمان ، وعلي بن أبي طالب (ع) ، وفاطمة سلام الله عليها . . وأبو بكر » .

(٤) الرسول العربي وفنّ الحرب/٢٤٣

رأس ابني ، فإنني قد وهبته لله ثم عادت إلى المخيم ، فأخذت عموداً « قيل سيفاً » وهجمت عليهم . وهي تقول :

إني عجوز في النساء ضعيفة خاوية بالية نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة

فردها الحسين ـ (ع) ـ إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين[1] .

تضحيتها في سبيل القائد

شاركت المرأة في الحروب ، وقدمت نفسها وأبناءها فداء لقائدها ، وسعت جادة من أجل تحقيق النصر ، ورفع كلمة الحق عالية .

ومثالاً على ذلك ما صدر عن نسيبة[2] في غزوة أُحد إذ إنها شاركت زوجها وابنيها القتال عندما حمي الوطيس . لقد خرجت حاملة قربتها ، تريد أن تسقي الجرحى ، ولكنها عندما شاهدت الأعداء قاتلتهم قتالاً مريراً ، وأبلت في قتالهم بلاء حسناً ، حتى جرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة ورمح أو ضربة سيف . فقال رسول الله ـ (ص) ـ فيها : « بارك الله عليك يا نسيبة » . وأيضاً قال ـ (ص) : « ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني »[1] .

مثالية عليا من التضحية

ذكر في تاريخ واقعة كربلاء أن وهب بن عبدالله بن حباب الكلبي ، كان مع الحسين ـ (ع) ـ في معركة كربلاء ، وقالت أمه : قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله (ص) ، فقال : أفعل يا أماه ولا أقصر .

فبرز ثم هجم ، فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة من العدو ، فرجع إلى أمه وامرأته فوقف عليهما ، فقال : يا أماه أرضيت ؟

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥/ ٢٨ ـ مقتل المقرم/ ٣١٥ ـ الكامل لابن الأثير ج ٣/ ٣٥ .
(٢) هي بنت كعب أمّ عمار ، وهي امرأة غزية بن عمر .
(٣) المغازي للواقدي ج ١/ ٢٦٨ ـ إلى ـ ٢٧١ ـ « سفينة البحار ـ كلمة نسب » .

فقالت : ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين - (ع) - ، فقاتل بين يدي ابن رسول الله - (ص) - يكن شفيعك غداً في القيامة عند الله عزّ وجلّ فرجع قائلاً :

إنّي زعيم لك أمّ وهب بالطعن فيهم تارة والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرّب حتى يذيق القوم مُرّ الحرب
إني امرؤ ذو مرة وعصب ولست بالخّوار عند النكب

حسبي إلّهي من عليم حسبي

فقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً ، واثني عشر راجلاً ، ثم قطعت يداه ، فأخذت امرأته عموداً ، وتوجهت إليه وهي تقول :

« فداك أبي وأمي ، قاتل دون الطيبين حرم رسول الله (ص) .

فأقبل وهب بن عبدالله ـ لكي يردها إلى النساء ، فأخذت بجانب ثوبه ، قالت : لن أعود أو أموت معك .

فقال الحسين ـ(ع) : جزيتم من أهل بيتي خيراً ؛ ارجعي إلى النساء ، رحمك الله .

فانصرفت ، وقاتل وهب بن عبدالله حتى استشهد رضوان الله عليه ، وأتته امرأته تمسح الدم عن وجهه ـ فرآها الشمر ـ فأمر غلامه ، فضربها بعمود فشدخها وقتلها . وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين - (ع) -[1] .

وهكذا ، فإن لنا أن نقول : إن للمرأة دوراً عظيماً في المعركة وفي تحقيق النصر خاصة وقد راعت الضوابط الشرعية دورها في مثل هذه الحال مع الأعداء ، بما يناسب حرمتها وكرامتها .

نعم ، قد تستخدم الحكومات أو الأنظمة المرأة في الجيش بما لا يليق بكرامتها ، كأن تكون وسيلة لأشخاص بغيتهم الخديعة والمكر ، كما حدث لعائشة مع طلحة والزبير في حرب الجمل ، حيث إنهما خدعاها لتحقيق بعض مآربهما للوصول إلى الأهداف اللاإنسانية ،

فذمها وأصحاب الجمل أمير المؤمنين بقوله (ع) .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥/١٧ .

« فخرجوا يَجرُّونَ حُرْمَـةَ رسول الله ـ (ص) ـ كمـا تجرّ الأمـة عند شـرائها ، متوجهين بها إلى البصرة . فحبسا نسـاءهما في بيـوتهما ، وأبرزا حبيس رسول الله ـ (ص) ـ ، لهما ولغيرهما ؛ في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة ، وسمح لي بالبيعة ، طائعاً غير مكره ؛ . . . فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدراً»[١] .

ومن ثم ينبغي التنبيه على أنّ وجودهـا في الجيش وفي المعارك قـد يتعارضُ والأهداف المقدسة التي مرّ ذكرها في الجهاد الأولي والدفاعي .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩/٣٠٩ ، ٣١٥

البحث الحادي والثلاثون

الإمدادات الغيبية

الإمداد هو في الأصل إعطاء الشيء حالاً بعد حال ، قال المفضل : ما كان منه بطريق التقوية والإعانة يقال فيه : أمدّه يُمدّه إمداداً .

قيل : المدّ « ثلاثي » يستعمل في الشر ، كما في قوله تعالى : ﴿ **ويَمدُّهم في طغيانهم يعمهون** ﴾[1] .

وقوله : ﴿ **وَنَمُدُّ له من العذابِ مَداً** ﴾[2] .

والإمداد « ثلاثي مزيد » يستعمل في الخير ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً** ﴾[3] .

نزلت في بني « اسرائيل » بعدما تغلبوا على بخت نصر .

وقوله عز وجل ؛ ﴿ **وأمددناهم بفاكهة ولحمٍ مما يشتهون**﴾[4] . نزلت في شأن المؤمنين في الجنة .

الغيب : وهو ما غاب عن الحسّ ، وبعبارة أخرى : ضد الحضور ـ كما في

---

(١) سورة البقرة ٢/١٥ .

(٢) سورة مريم ١٩/٧٩ .

(٣) الإسراء ١٧/٦ .

(٤) سورة الطور ٥٢/٢٢ = تفسير أبي السعود ج ٢/٨٠ .

قوله تعالى : ﴿ وألقوه في غَيابت الجب ـ ﴾ بفتح الغين . سمّي به لغيبوبته عن أعين الناظرين »[١] . وبالتالي ـ الإمداد الغيبي ـ معناه إعطاء الشيء سرّاً بحيث لا تُرى وسائطه . وهو من البواعث المهمة في الانتصار ، حيث إنه سبب وحيد بين الأسباب ، ويختصّ بالمؤمنين ، لقد استخدم المشركون وأعداء الإسلام في الحرب طرقاً عديدة ، كجيش كثيف مدّرب ، أو أسلحة حديثة ، أو تقنية جديدة ، أو أسلحة كيميائية أو غيرها ، ولكنهم لم يوفقوا لإستخدام هذا الأمر « الإمداد الإلّهي » ولم يتمكنوا من ايجاد الموانع التي تحول دون نزوله ، لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ هو فاعله ، والإمداد هو فضل من قِبَلِهِ قد وعد المؤمنين به والصابرين حين البأس ، دون سواهم من بقية الناس .

قال الله العظيم : ﴿ **ولقد أرسلْنَا من قَبلِكَ رُسُلاً إلى قومِهم ، فَجَاؤوهم بالبيِّناتِ ، فانتَقَمْنَا من الذينَ أجْرَمُوا ، وكانَ حَقّاً علينا نصرُ المؤمنينَ** ﴾[٢] .

كما قال عزّ من قائل : ﴿ **وَلقد نَصَرَكُم الله ببدرٍ وأنتُم أذِلَّةً ، فاتّقوا الله ، لعلكم تَشْكُرون** ﴾[٣] .

وقال في آية أُخرى : ﴿ **لَقَد نصَرَكُم الله في مواطِنَ كثيرةٍ ويومَ حنينٍ** ﴾[٤] .

نعم ، إن الله عزّ وجلّ نصر المؤمنين بالإمدادات في مواضع عديدة بعد ما نصر المؤمنون دين الحق ، وجاهدوا في سبيله ، وحاربوا أعداء الإسلام . واستخدموا كل قدراتهم للنيل من العدو وإحباط مؤامراته ، فأصبح بالتالي المدد الغيبي من قبل الله ـ سبحانه وتعالى – مشروط بقبول الحق وبذل الجهد في سبيله ، وعندما تتوفر هذه الشروط تصبح قانوناً تكوينياً لا بد منه ، حيث قال : عزّ من قائل :

﴿ **يا أيّها الذينَ آمَنُوا إنْ تنصُروا الله ينصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أقْدَامَكم** ﴾[٥] .

---

(١) مجمع البحرين ج ٢/ ١٣٥ ـ وقد يقصد به مالا يدرك بالحس والعقل ، كما في قوله تعالى : ﴿ ويؤمنون بالغيب ﴾ ، ويعبّر « بالإمداد الغيبي » باعتبار نسبته إلى الله .

(٢) سورة الروم : ٤٧/٣٠

(٣) سورة آل عمران : ١٢٣/٣ .

(٤) سورة التوبة : ٢٥/٩ .

(٥) سورة محمد ٧/٤٧ .

وجـوه المدد المختلفة

تختلف النصرة الإلّهية وفق شكل المعركة ، ولا يمكن تحديدها وتعينها بصورة خـاصة ، لأن المـدد الإلّهي ، إن نزل ، فلنصـرة الحق ومسانـدة القوات المسلحـة المؤمنة ، التي آمنت بمبادئها ، ولم تكن الحرب عنـدها هـدفاً أسـاسياً ، بـل سبيلاً لإعلاء الحق وازهاق الباطل ؛ وهنا نشير لبعض الأمدادات التي تحققت للمؤمنين في ساعات كاد الفشل والهزيمة أن يلحقا بهم .

١ ـ إرسال الملائكـة : من الإمدادات التي صَـرّحَ بها القـرآن الكريم إرسـال الملائكة لمسـاندة المقـاتلين ، كنزول المـلائكة في غـزوة بدر وكـان عددهم ثـلاثة آلاف ، وفي غزوة أُحد حين مرّ المسلمون بمرحلة حرجة جداً ، فعندما أرسل المولى سبحانه وتعالى خمسة آلاف من الملائكة ينصرونهم ، ويلقون في قلوب الذين كفروا الرعب . والآية التالية تبيّن ذلك :

﴿ إذ تقول للمؤمنين أَلَنْ يكفيكم أن يُمدّكم رَبُكم بِثَلَاثةِ آلافٍ من المـلائكة مُنْزَلين * بلى إن تَصْبِروا وتتّقوا ويأتوكم من فورِهم هذا يُمددْكم رَبُكم بخمسةِ آلافٍ من الملائِكة مسوِّمين ﴾(١) .

وهكـذا تدل هـذه الآيات ، وغيـرها على إرسـال الملائكـة أو الجنود لنصـرة المؤمنين . ومنها : ما نزل في غزوة بدر :

﴿ إذ يوحِي رَبُكَ إلى المَلائِكَةِ ، إني مَعَكم فثبِّتوا الذين آمنوا ﴾(٢) .

ومنها : ما نزل في غزوة حنين :

﴿ ثم أَنْـزَلَ الله سكينَتَـهُ عَلى رسـولِـهِ ، وَعَلى المؤمنِينَ ، وأَنْـزَلَ جُنُـوداً لم تَرَوْهَا ، وَعَذَّب الذينَ كَفَرُوا ، وذَلِكَ جَزَاءُ الكافِرين﴾ .(٣) .

ومنها : ما نزل في غزوة الأحـزاب : **﴿ يا أيُّهـا الَّذِينَ آمَنـوا اذكُروا نِعْمَـةَ الله عَلَيكُمْ ، إذ جَاءَتكم جُنُودٌ ، فأرسَلْنَا عليهم ريحاً وجُنوداً لم تـروها ، وكـان الله بما**

---

(١) سورة آل عمران ١٢٤/٣ و ١٢٥ .

(٢) سورة الأنفال : ١٢/٨ .

(٣) سورة التوبة : ٢٦/٩ .

تَعْمَلون بَصيراً ﴾(١) .

وورد في السنة أنّ الإمام زين العابدين (ع) دعا وطلب من الله عزّ وجلّ نزول الملائكة لنصرة المقاتلين في سبيل الحق ، حيث دعا لأهل الثغور فقال :

« وابعث عليهم جنداً من ملائكتك ، بِبَأْسٍ من بـأسك ، كفعلك يـوم بدر ، تقطع به دابرهم ، وتَحْصُدُ به شوكتهم ، وتفرق به عددهم »(٢) .

كما دعا الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يرسل جنده كما جاء في موضع آخر من دعائه لأهل الثغور فقال : « وأمددهم بملائكة من عندك مردِفين »(٣) .

٢ ـ طمأنينة القلب والقضاء على الرعب : إن مسـاندة المـولى ـ عزّ وجـلّ ـ لمحبيه الذين تحملوا أوزار الحرب وأضرارها من أجل اعلاء كلمته ، تتم على أشكال متعـددة ، منها : ارسـال جنوده ومـلائكته للمشـاركة في الحـرب مشـاركـة فعليـة ، وارسالهم لساحات الوغي ولطمأنة السائرين على نهجه ، والقضاء على ما قد ينتابهم من رعب أو خـوف عندهم ، وذلـك عندمـا يكون العـدوّ أكثر عـدداً وأقوى عتـاداً ؛ فبـواسطة هـذه الإمدادات تخلق روح عـالية من التضحيـة والفداء لـدى رافعي لواء الحق ، مما يجعل النصر حليفهم ، ولقد قال الله . عزّ وجلّ ـ في غزوة بدر :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ الله إلاّ بشرى لكم ، وَلِتَطمئِنَ قلوبُكم بـه ، وما النصرُ إلاّ من عنـد الله العزيز الحكيم ﴾(٤) .

وقد يشمل المـولى ـ عزّ وجـلّ ـ انصاره المقـاتلين في سبيله ـ بنوع آخـر من الطمأنينة ، كحالة النوم التي تغشـاهم قبيل التحـامهم بالعـدو كما أشـارت إلى ذلك بعض الآيات الكريمة :

ومنها : **﴿ ثم أنْزَلَ عليكم مِنْ بعدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يغشى طائفةً منكم ، وطائفة قد أهمَّتْهُم أنفسهم ، يظُنُّونَ بالله غيرَ الحقِّ . . . ﴾**(٥) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٩/٣٣ .

(٢)و(٣) الصحيفة السجادية الكاملة = الدعاء لأهل الثغور الرقم ٢٧ .

(٤) سورة آل عمران ١٢٦/٣ ـ ونحوها سورة الأنفال ١٠/٨ .

(٥) سورة آل عمران ١٥٤/٣ .

ومنها : ﴿ إذْ يغشّيكم النُّعَاسَ أمَنَةً منه . . . ﴾[١] .

٣ ـ قذف الرعب في قلوب الأعداء : إنّ الطمأنينة والهدوء نعمة ، ويقابلها ضدها الرعب والوحشة والاضطراب ، وحيثما وجدت هذه الأمور الأخيرة فإنها ستؤول بأصحابها إلى الهزيمة والفشل ، سواء كانت في جانب الحق أو الباطل .

فعندما يلقي الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوب الأعداء فمعنى ذلك أنّه أنزل إمداده وفضله على أنصاره ، فهو ناصرهم ، ومعزهم ، وجاعلهم الأعلين ، وذلك ما حدث في غزوة بدر ، عندما قذف الله الرعب في قلوب الأعداء ، حيث قال الله « عز وجل » :

﴿ سأُلقي في قلوبِ الذينَ كَفَروا الرُّعْبَ ، فاضرِبُوا فوقَ الأعنَاقِ ، واضرِبوا منهُمْ كُلَّ بَنَان * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا الله وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشَاقِقِ الله وَرَسُولَهُ فإنَّ الله شديدُ العِقاب ﴾[٢] .

كما إنه ـ عزّ وجلّ ـ نصر المسلمين في غزوة الأحزاب بإلقاء الرعب في قلوب الأعداء ، قال ـ سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَذَفَ في قلوبِهم الرُّعْبَ ، فريقاً تقتُلونَ وتأسرونَ فَريقاً ﴾[٣] .

نعم ، إنّ إلقاء الرعب منه ـ عزّ وجلّ ـ في قلوب الأعداء لا يتوقف على زمن دون زمن ، فمدده في كل عصر وفي كل صراع تكون فيه جَنْبَة[٤] الحق وجَنْبَةُ الباطل ، كما حدث في جبهات الحق ضد الباطل في الحرب الأمريكية المفروضة على الجمهورية الإسلامية ؛ ويتضح ذلك لنا من خلال تفسير هذه الآية المباركة :

﴿ هو الذي أَخْرَجَ الذينَ كَفَروا من أهل الكِتَابِ من ديَارِهم لأوّلِ الحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُم أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أنَّهم مَا نَعتُهُم حُصُونُهُمْ من الله ، فأتَاهم الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبوا ، وَقَذَفَ في قلوبهم الرُّعبَ ، يخربون بيوتَهُم بأيديهم وأيدي المؤمِنينَ ،

---

(١) سورة الأنفال : ٨/١١ .
(١) سورة الأنفال ٨/١٢ و ١٣ .
(٣) سورة الأحزاب ٣٣/٢٦ .
(٤) جَنْبَة : ناحية .

فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[١] .

ذكر في تفسير القمي في شأن نزول هذه الآية الشريفة : أنّه كان بالمدينة المنورة ثلاث قبائل من اليهود: هم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع ؛ وكان النبي (ص) عاهدهم لكن بني النضير نقضوا عهدهم وكادوا للنبي (ص) واحتالوا لقتله حين ذهابه إليهم ؛ فنزل جبرائيل فأخبره بذلك . فرجع رسول الله (ص) إلى المدينة ، وقال لمحمد بن مسلمة الأنصاري :

« اذهب إلى بني النضير فأخبرهم بأنّ الله عزّ وجلّ ـ أخبرني بمكيدتهم وغدرهم ، فإما أن يخرجوا من المدينة ، أو يأذنوا بالحرب » .

فحينئذ هيأوا أنفسهم للقتال وشدوا حصونهم وقالوا لسنا بخارجين فاصنع ما أنت صانع . فدعا رسول الله ـ (ص) ـ علياً (ع) وقال له : تقدم إلى بني النضير .

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : « وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم . . . » .

ولما جاء النبي (ص) وأصحابه ، وكانت الراية بيد علي بن أبي طالب (ع) ، شاهدوا بيوتهم مخربة بأيديهم وهربوا كلهم[٢] .

وكذلك دعا سيد الساجدين علي بن الحسين (ع) على الأعداء بالخوف وعدم الإطمئنان حيث قال:

« اللهم أخلِ قلوبَهم من الأمنة وأبدانَهم من القوة »[٣] .

٤ ـ **نزول المطر** ؛ وذلك من جملة الإمدادات التي ينزلها الله ـ سبحانه ـ على مقاتليه ومحبيه ، وهذا ما حدث في غزوة بدر حينما احتاج المسلمون إلى الماء احتياجاً شديداً ، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ عليهم الغيث وأمدّهم به ، حيث إنّ للمطر فوائد كثيرة ، تتجاوز الشرب والغسل ، وتتعدى ذلك إلى الأعمال العسكرية ، فعند

---

(١) سورة الحشر : ٥٩/٢ .

(٢) تفسير الميزان ج ١٩/ص ٢٠٧ .

(٣) الصحيفة السجادية : الدعاء ٢٧ .

نزول المطر تمتلىء مواضع الجنود فيخرجون من مواضعهم ليقعوا أسرى بين يدي جنود الحق الميامين ؛ كما أن عملية الإمدادات تتباطأ عند سقوط المطر .

هذا بالإضافة إلى تباطؤ العمليات العسكرية الأخرى كالهجوم وإرسال الكمائن . فالمطر قد يكون سبباً كبيراً لتحقيق الانتصار وإلحاق الهزيمة بالعدو ، وهذا ما يستدل عليه بالآية الشريفة :

﴿ ويُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيَذْهَبَ عنكم رِجْزَ الشيطان ، ولِيَرْبِطَ على قلوبِكم ويثبِّتَ به الأَقْدَامَ ﴾(١) .

٥ ـ هبوب الرياح : تستغل القوات المسلحة في كل بلد الظروف الطبيعية المؤاتية لعملياتها العسكرية ضد العدو ، ومن هذه الظروف هبوب الرياح ، حيث إن الرياح تحمل معها دقائق الرمل فتؤثر على القوات التي تقابلها ، مما يؤدي إلى هزيمتها وانتصار الجهة الثانية ، التي استغلتها لشن هجومها .

وهذا ما حدث كثيراً في معارك المسلمين حيث إن الله ـ سبحانه ـ وفرّ لهم ذلك لكي ينصرهم على عدوهم ؛ ومثالاً على ذلك ، ما حدث للأحزاب حيث ارتبكت قواتهم بسبب هبوب الرياح ، وأدى ذلك إلى فشلهم وانتصار جنود الحق ، وقد ذكر المولى ذلك في كتابه الكريم حيث قال :

﴿ يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنوا اذكُرُوا نِعْمَةَ الله عَليكم ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ، فأرسلنَا عليهم ريحاً وجنوداً لَمْ تَرَوْهَا ، وكَانَ الله بِمَا تَعملونَ بَصِيراً ﴾(٢) .

٦ ـ التقليل من شأن العدو : من إمدادات المولى ـ سبحانه ـ لجنده أن يريهم عدّوهم قليلاً فينبعث فيهم شعور اللامبالاة بعدوهم ويحدوهم أمل كبير بالنصر الكبير ، وذلك لقلة عدد عدوهم ، وهوانه عليهم فالمقاتل المؤمن بأن النصر سيكون حليفه كما تكون نهاية الحرب إلى جانبه ، وهذا ما يتحقق دائماً في معارك المسلمين ، ومثالنا على ذلك غزوة بدر ، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل المشركين

---

(١) سورة الأنفال ١١/٨ .
(٢) سورة الأحزاب ٣٣/الآية ٩ .

يرون جند المسلمين ضعفيهم ويقلل جند المشركين في أعين المسلمين . وقد صرح القرآن الكريم بهذا الأمر في قصصه علينا غزوة بدر ، قال ـ عزّ من قائل :

﴿ إذ يريكَهُم الله في منامِكَ قليلاً ، ولو أرَاكَهُم كثيراً لَفَشِلْتُم ولِتَنَازَعْتُم في الأمرِ ، ولكنّ الله سَلَّم ، إنّه عليمٌ بذاتِ الصّدورِ ﴾ .(١)

وهناك صور أخرى للمدد الإلّهي . ومنها : أن يُرى العدو قلة عدد المسلمين مما يشجعه على شن هجومه بسرعة ، دون تنظيم وإعداد مسبق ؛ وهذا مما يجعله يفشل في هجومه ، ويوقع نفسه فريسة لجند الحق ، فلو تأخر في شن هجومه حتى ينظم قواته ويستعد لهجومه استعداداً كاملاً ، لكان النصر حليفه ؛ ولكن المولى أراه خلاف الواقع لكي ينصر جنده . وقد مرّ ذلك آنفاً . وهذا ما صرح به القرآن الكريم حيث قال :

﴿ وإذ يريكُموهم إذ التَقَيْتُم في أعيُنكم قليلاً ، ويقلِّلكُمْ في أعينهم ، ليقضِي الله أمراً كانَ مَفْعولاً ، وإلى الله ترجع الأمور ﴾ .(٢) .

جاء في التفسير : المراد بـ « ليقضي الله امراً كان مفعولاً » ؛ نصرة المؤمنين وخذلان المشركين والكفار.

والمحصلة من ذلك أن المدد الإلّهي من البديهيات ، وهو ينزل على جنود الحق في كل معركة من معاركهم ، حينما تكون معاركهم لله سبحانه وتعالى ، لا لشيء آخر .

وختاماً : لهذا البحث نكرر الآية الشريفة :

﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنوا إن تَنصرُوا الله يَنْصُرَكمْ ويُثبِّتْ أَقدامَكم ﴾(٣) .

« صدق الله العلي العظيم »

(١) سورة الأنفال ٨/٤٣ .

(٢) سورة الأنفال ٨/٤٤ .

(٣) سورة محمد (ص)/٤٧/٧ .

البحث الثاني والثلاثون

الدّعاء والحرب

الدعاء : معناه العبادة ، قال الله العظيم :

﴿ **إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم** ﴾[١] . . .

رُوي عن النبي (ص) قال : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ :

« وقالَ ربُّكم : ادعوني أستَجِبْ لكم ، إنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرونَ عَن عِبادتي سَيَدْخُلون جهنَّم دَاخِرين » .

الدعاء يستحق أن يسمى عبادة ، لدلالته على الإقبال إلى الله ، والإعراض عما سواه .

وقد يكون الدعاء بمعنى الاستغاثة ، يقال : إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين[٢] . الدعاء بالمعنى الثاني من الأمور البديهية عند المسلمين ، ولاريب فيه ، حيث تدلّ عليه آيات قرآنية وأحاديث شريفة . سنذكر بعضها :

أولاً : من الآيات الكريمة :

١ ـ ﴿ **وإذا سَأَلَكَ عِبَادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعَانِ . . .** ﴾[٣] .

---

(١) الأعراف : ٧/١٩٤ .

(٢) مجمع البحرين ، ولسان العرب لغة : دعا .

(٣) سورة البقرة ٢/١٨٦ .

٢ ـ ﴿ قُلْ مَايَعْبَأُ بِكُم ربِّي ، لَولاَ دُعَاؤكم ، فقد كذّبتم ، فَسَوف يكونُ لِزاماً ﴾[1] .

٣ ـ ﴿ أمَّن يُجيبُ المضطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ ، ويَجعلُكُم خلفَاءَ الأرض ﴾[2] .

٤ ـ ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زكريَّا رَبَّه ، قال : ربِّ هَبْ لي من لَدُنْكَ ذُرِّيةً طيّبة . إنك سميع الدعاء ﴾[3] .

٥ ـ ﴿ إذ تَسْتَغِيثونَ ربَّكم فَاسْتَجَابَ لكم . أني مُمِدّكم بألفٍ من الملائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[4] .

ثانياً من الأحاديث الشريفة :

١ ـ قال رسول الله (ص) : « ألا أدّلكم على سلاح ينجيكم مِن أعدائكم ويدّر أرزاقكم ؟ قالوا : نعم . قال : تدعون ربكم بالليل والنهار ، فإن سلاح المؤمن الدّعاءِ »[5] .

٢ ـ عن أبي عبد الله (ع) قال : « إن عند الله عز وجل منزلة لاتنال إلاّ بمسألة »[6] .

٣ ـ عن أمير المؤمنين (ع) قال : « الدُّعاءُ تُرْسُ المؤمنِ ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك »[7] .

٤ ـ قال أمير المؤمنين(ع) : « الدُّعاءُ مَفاتِيحُ النّجاحِ ، وَمَقَالِيدُ الفَلاحِ ، وَخَيْرُ الدّعاءِ ما صَدَرَ عن صَدرٍ نَقِيّ وقَلب تَقيّ ،وفي المُناجاةِ سَبَبَ النِجاة ، وبالإخْلاص يَكوُنُ الخَلاص ، فإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع »[8] .

(١) سورة الفرقان ٧٧/٢٥ .
(٢) سورة النمل : ٦٢/٢٧ .
(٣) سورة آل عمران ٣٨/٣ .
(٤) سورة الأنفال ٩/٨ .
(٥) سفينة البحار ج ٤٤٦/١ الأصول من الكافي ج ٤٦٨/٢ .
(٦) الأصول من الكافي ج ٤٦٦/٢ .
(٧) الأصول من الكافي ج ٤٦٨/٢ .
(٨) الأصول من الكافي ج ٤٦٨/٢ .

فالدعاء بمعنى الإستغاثـة يختص بالإنسـان الذي يستخـدم كامـل قدرتـه دون الوصول إلى نتيجة ، فعند ذلك يتوجه إلى العلّي القدير سبحانه ـ لكي يساعده على إخفاءِ مشكلته التي عجز هو من إنهائها ، وهنا هو معنى الحديث : فإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع .

جاء في التفسير : لمّا واجه طالوت ومن معـه من المؤمنين جالـوت وجنوده ، راعهم كثرة العدد والعدة في صف العدو وأيقنوا أنهم غير قادرين على مواجهة جنود جالوت حينذاك . دعوا وقالوا متضرعين إلى الله ، مستعينين به : ﴿ **ربّنا أفرغ علينا صبـراً** ﴾ أي على شـدائد مـا بين الحـرب واقتحام مـواردها الصعبـة الضيقة ، ﴿ **وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾[1] .

رغائب معارك الحق في إطار الدعاءِ

المقاتلون في معارك الحق ضد الباطل يدعون الله في كل المجالات ، ومؤمنين بأن النصر حليفهم، وأنّ الله سبحانه قادر على نصرة المؤمنين وتعزيزهم ، مهما كان عددهم قليلاً .

إنّ دعاء المقاتلين في المعارك ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ لنصرة الإيمان وتقوية جنده .

٢ ـ لإبادة العدو والقضاء عليه وخذلانه .

٣ ـ للتقـرب إلى الله ، والإستشهاد في سبيله ، والبعـد عن الأوصاف الـدنّيـة والرذيلة كالنفاق . وسوء النية والكبـر والغرور و . . .

وكل من هذه الأقسام يحتاج إلى التوضيح والتبين والتبيـان ، بيد أن كـل قسم منها ينقسم إلى فروع .

القسم الأول : الدعاء لنصرة القوات : والقدرة على مواجهة العدو ، وقد أتى بعبارات مختلفة :

---

(١) تفسير أبي السعود ج ٢٤٤/١ .

أ ـ إذ يطلب المقاتلون من الله انتصار الحق وشربعته ، فيدعـونه لكي يحفظ المقاتلين ويصونهم ، ويعزهم ، فبعزهم عزة الحق ، ومثالنـا على ذلك دعـاء النبي (ص) حينما رأى قلة أصحابه وكثرة العدو في غزوة بدر ، فقد رفع (ص) يديه وقال :

« اللّٰهُمَّ إن تُهلك هٰذِهِ العصٰابَةُ من أهل الإسلام لا تُعبَدُ في الأرضَ ، اللّٰهُمَّ أنْجِز مٰا وَعَدتَني »[١] .

ب ـ وقد يطلب المقاتلون من الله هدايـة الأعداء وإرشـادهم إلى الحق ، لأنّ مواجهة الحق ومحـاربته من قبـل هؤلاء لم تصدرا إلّا عن جهلهم ، وقـد كان النبي (ص) يدعو في غزوة أُحُدُ مشيراً إلى هذا الأمر أي جهلهم ، فيقول :

« اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون . . . »

وقـد ردد النبي (ص) هذا الـدعاء رغم مـا ازدحم عليه من مصـائب ومحن ، منها : كسر رباعيته بحجر، وغير ذلك من خطوب تعرض لها ، ورغم ذلك فما انقطع عن دعوتهم إلى الهدى والحق المبين[٢] .

وردد أمير المؤمنين (ع) دعـاء ابن عم رسـول الله (ص) في صفين ، وعلمـه أصحابه لما سمع بعضهم يسبون أهل الشام في صفين ، فقال (ع) :

« إني أكـره لكم أن تكونـوا سبّابين ، ولكنّكم لـو وصفتم أعمالهم ، وذكـرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سـبكم إياهم :

« أللّهم احقِن دمـاءنـا ودمـاءهم . وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهـدهم من ضـلالتهم حتى يعرف الحقّ من جَهله ، ويرعـوي[٣] عن الغيِّ والعـدوان من لَهَـجِ به[٤] »[٥] .

والموقف نفسه كان منه (ع) محاربة الناكثين فقـد نزل (ع) قبـل بدء الحـرب مع

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢/١٢٥ = ناسخ التواريخ ج ١/٢٠٦ .

(٢) ناسخ التواريخ ج ١/٣٣٣.

(٣) أي : النزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ .

(٤) أولع به

(٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٦ .

الناكثين في « الزاوية » وصلّى أربَع ركعات ، وسجد سجدة طويلة وبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال :

« اللّهُمَّ إنّ هٰؤلاٰء القومَ قد خَلَعُوا طَاعَتِي ، وبَغَوْا عَلَيَّ ، ونكثوا بَيْعَتِي . اللّهم احقن دماء المسلمين »(١) .

ج ـ قد يسأل المقاتلون الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينصرهم ويبدل ضعفهم قوة ، وكثيراً ما يحدث ذلك عندما تطول فترة الحرب ، ويملّ المقاتلون من استمرارها ، أو في حالة ظهور بعض المصاعب التي تؤدي إلى التراخي وتزلزل الإرادة ، فيصبح المقاتلون إذ ذاك غير مستعدين للتضحية والفداء ، وقد حدث مثل هذا في غزوة الطائف للنبي (ص) ، حيث دعا لأنصاره بالقوة والنشاط ، وذلك بعدما تعرض إلى ألوان العذاب من قبل أهل الطائف وكان دعاؤه (ص) :

« اللّهم إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلّة حيلتي ، وهواني على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى من تكلني ؟ »(٢) .

وفي الأحزاب دعا النبي (ص) للإمام علي (ع) ، بعدما ألبسه درعه ، وأعدّه لمنازلة عمرو بن عبد ود، فرفع يديه وقال (ص) :

« اللّهم احفظ من خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوق رأسه ، ومن تحت قدميه »(٣) .

د ـ وقد يكون الدعاء لرفع الخوف والإضطراب ، لأنهما سبب كل فشل ، ولهذا يتوجه المقاتلون إلى مولاهم الحق ، ويدعونه ليثبت قلوبهم والإقدام ، حتى يحققوا النصر بعونه سبحانه .

روي إن النبي (ص) ، لما رأى تجمع الأحزاب وكثرتهم ، ومحاصرتهم بأصحابه ، وقد اجمعوا أمرهم على الكيد للمسلمين وقتالهم رفع يديه الشريفتين إلى السماء ودعا الله سبحانه لكي يكشف عن أصحابه ما يعتريهم من همٍّ وكرب .

(١) نهج السعادة ح ٦/٢٣٩ .
(٢) المغازي للواقدي « غزوة الطائف » .
(٣) بحار الأنوار ج ٢/ص ٣٢٠ .

قال (ص) :

« يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرين ، ويا كاشف الكرب العظيم ، أنت مولاي ووليّ وولي آبائي الأولين ، اكشف عنا غمّنا وهمّنا وكربنا ، اكشف عنا كرب هؤلاء القوم بقوّتك وحولك وقدرتك »(١) .

وكذلك كان إمامنا سيد الوصيين وقائد الغر المحجلين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يدعوا الله سبحانه لأن يزيل الخوف عنه عند « موارد الأهوال » بقوله (ع) :

« اللّهم وأعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال »(٢) .

هـ ـ وقد يكون الدعاء لحفظ القدرات العسكرية بكل مستلزماتها ، إذ لولاها لن يستطيع المقاتل أن يستمر بحربه ، وأن يرفع كلمة الحق عالياً ؛ خصوصاً في زماننا هذا ، حيث إن الحرب تعتمد على التقنية العسكرية، لذلك على المقاتل أن يتوجه للعلي القدير ، ويدعوه لدرء الخطر عنها ، وحفظها ، قوية ، رهيفة الحد . وهذا ما دعا به الإمام زين العابدين (ع) حيث قال :

« اللّهم . . . واشحذ أسلحتهم وواتر بين ميرهم »(٣).

وفي غزوة بدر ، دعا رسول الله (ص) للمقاتلين بدعاء مشابه لهذا الدعاء ، حيث طلب فيه تبديل سوء حالهم بأحسن حال ، فبهم يقوم الإسلام .

قال (ص) :

« اللّهم إنهم حفاة فاحملهم ، وجياع فأشبعهم ، وعراة فاكسهم ، وعالة فأغنهم »(٤) .

القسم الثاني : الدعاء لانهيار العدو . في هذا القسم من الدعاء يطلب المقاتلون من الله إبادة الكفر والشرك ، لأنهما والقوات العائدة لهما يكوّنان سدّاً تجاه الشريعة الإلهية ، يسمحان لها بالإستقرار والإنتشار ، وقد يركّز الدعاء على رؤساء

(١) بحار الأنوار ج ٢٠/ ٢٣٠ .

(٢) نهج السعادة ج ٣١٣/٦ .

(٣) الصحيفة السجادية/الدعاء ٢٧ .

(٤) المعازي للواقدي ج ٢٦/١ .

جبهة الكفر ، كما ذكر لنا التاريخ ذلك حيث جاء فيه أن النّبي (ص) كان مع أصحابه في غزوة بدر ، ولمّا وصلوا إلى الرّوحاء[١] وكان ذلك ليلة الأربعاء منتصف شهر رمضان ، صلّى عند بئر الروحاء .

قال سعيد بن المسيب : ان رسول الله (ص) ، لما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره ، لعن رؤساء الكفرة ، وقال :

« اللهم لاتُفلِتَنَّ أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود ، اللهم واسخن عين أبي زمعة بزمعة، اللهم أعْمِ بصر أبي زمعة »[٢] .

وفي حرب الجمل دعا علي بن أبي طالب (ع) على قيادتها ، وطلب من الله محو رؤسائها المشعلين للفتنة ، حيث قال :

« اللهمِ اقعص الزبير بشر قتلة واسفك دمه على ضلالةٍ ، وعرف طلحة المذلة ، وادخر لهما في الآخرة شراً من ذلك »[٣] .

وكما نجد ما يشابه هذه الأدعية في حرب صفين ضد أعداء الحق ، وفي هذا القسم دعا النبي (ص) لتخليص المستضعفين الذين أجبرهم رؤساء الكفر على محاربة الحق ، وزجوهم في آشون الحرب تحت الضغط والتهديد ، ولم يكن هذا الأمر ليحول دون قيام الحرب ، بل إن الرسول الكريم (ص) كان يدعو الله ـ سبحانه ـ لنجاة هؤلاء المستضعفين ، حيث دعا لهم في غزوة بدر :

« اللهم أنج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين .

ولم يدع (ص) الوليد بن الوليد ، يومئذ ، فأسره المسلمون ببدر ، ولما رجع إلى مكة بعد بدر أسلم ، فأراد أن يخرج إلى المدينة فحبس ، فدعا له النبي (ص) بعد ذلك[٤] .

---

(١) وادي الرّوحاءِ وهو أفضل أودية العرب .

(٢) المغازي للواقدي ج ١/٤٦ = بحار الأنوار ج ٣٣٢/١٩ .

(٣) ناسخ التواريخ ح ١/حياة أمير المؤمنين (ع)/٤٢ ـ (مُعَرَّب) .

(٤) المغازي للواقدي ج ١/٤٦

ودعا النبي (ص) على الأعداء بالإنهزام في غزوة الأحزاب فقال :

« اللهم منزل الكتاب وسريع الحساب اهزم الأحزاب . اللهم أهزمهم وزلزلهم »[١] .

تنبيه : نجد في بعض أدعية الرسول (ص) لطائف ودقائق ينبغي الالتفات إليها ، ونحن نشير إلى بعضها: منها. ذكر رؤساء الكفر لأجل أن يعرف المسلمون عدوهم وقادتهم ، ومنها : ذكر المستضعفين في معركة الباطل ، التفاتاً إلى المحافظة على سلامتهم الشخصية وقد أشار النبي الأعظم (ص) ومنها : الإلتفات إلى عدم وحدة الكلمة في جبهة الكفر فقد يكون فيهم اليوم من سيصبح إلى جانبنا غداً .

القسم الثالث : الدعاء للوقاية من النفس الأمارة بالسوء ، والغرور حين النصر . « سميناه بالمرحلة النهائية » يدعوا المقاتل الإسلامي في هذه المرحلة لصيانة نفسه عن الكبر والغرور والحسد ، وغيرها من الصفات .

فالإنسان عندما ينتصر ينتشي ، ويغتر ، ويظن إذ لك بحوله وقوته وخاصة عندما يعتقد أنها صدرت من قبله لا من قبل الله ،وقد يظلم الآخرين حينئذٍ ولهذا نلاحظ أنّ الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، لما عزم على لقاء القوم بصفين بدأ بالدعاء ، وقال :

« اللهم ربَّ السقف المرفوع ، والجوِّ المكفوف . . . إن أظهرتَنا على عدونا فجنِّبْنا البغي وسدِّدنا للحق[٢] .

وقال (ع) في مكان آخر :

« إن أظهرتنا على عدونا ، فجنبنا الكبر ، وسددنا للرشد[٣] .

كانت هذه الأدعية سُنة ثابتة ، لاسيما الدعاء لصون النفس عن الصفات الفاسدة ، ونلاحظ هنا أن إمام الأمة الخميني العظيم ـ (قدس سره الشريف) ـ نبه على ذلك حيث قال :

« علينا أن نعلم أنّ الأمور كلها ـ ومنها النصر والفتح ـ بيد الله المتعال ـ « وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم » . وعلينا أن نلتفت في هذا الفتح المبين ،

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢/٤٨٧ = مجمع البيان ج ٨/٣٤٥ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة١٧١

(٣) نهج السعادة ج ٦/٣١٥ .

وفتوحات أخرى أن لا نغرّ بقواتنا ، وأن لا يغلب علينا شيطان النفس ، لكي يوجب الغرور الفشل والتراخي »[١] .

الدعاء لأجل الشهادة : يعتقد المقاتل الإسلامي أن الموت هو نهاية الحياة ، وبه تختم النشاطات الحيوية ، ويعتقد أن الموت انتقال من دار الزوال والفناء إلى دار القرار والبقاء ولهذا يطلب من الله الشهادة اذا وقعت الهزيمة ، لا الأسر . ودليلنا على ذلك قول مولانا أمير المؤمنين ـ (ع) ـ :

« وإنْ أظهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فَارْزُقنا الشَّهّادَةَ ، واعصِمْنا من الفتنة »[١] .

وهذا علي بن أبي طالب ـ (ع) ـ، عندما جرح في غزوة أحد ، ولم يكن راضياً عن نفسه وقد حُرِمَ الشهادة يومذاك ، سأل الرسول الكريم ـ (ص) ـ عن سبب ذلك ، بقوله :

« يا رسول الله ـ (ص) ـ أو ليس قلت لي يوم أحد ، حيث استشهد من استشهد من المسلمين ، وأخرت عني الشهادة ، فشق ذلك عَليَّ فقلت لي : أبشر ، فإنّ الشهادة من ورائك ؟

فقال رسول الله ـ (ص) ـ إنّ ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذاً؟ فقال : قلت يا رسول الله ـ (ص) ـ ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر »[٣] .

لقد كان ـ (ع) ـ يعشق الشهادة عشقاً وهو الذي يقول :

« فوالله إنّي لعلى الحق ، وإنّي للشهادة لمحب »[٤] .

فالشهادة هي فوز عظيم ، وهي باب فؤدٍ لرضوان الله ونعمه ، وهي أمل المجاهدين ، وقد سأل الله تعالى كثير من الصحابة الفوز بالشهادة في حالات مختلفة ، نكتفي هنا بما دعا به سعد بن معاذ في غزوة الخندق بعدما أصيب بسهم فقطع أكحله ، فنزفه الدم ، فقبض سعد بن معاذ على أكحله بيده ثم قال :

(١) من نداء الإمام الخميني في تاريخ ١٣٦١/١/١٣ هـ . ش .
(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٧١ .
(٣) بحار الأنوار ج ٤١/ص ٧ = الشرح لابن أبي الحديد ج ٢٠٥/٩ .
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢٠٠/٦ .

« اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فلا أحد أحبّ إليَّ محاربتهم من قوم حاربوا الله ورسوله ، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله ـ (ص) ـ وبين قريش فاجعلها لي شهادة »[١] .

(١) بحار الأنوار ج ٢٠/ص ٢٣١و ٢٣٢

البحث الثالث والثلاثون

شروط استجابة الدعاء

يقتضي البحث حول الدعاء مساحة واسعة ، حيث إنه سبب أساسي في حياة البشرية ، وقد قال الله عزّ وجلّ :

﴿ يا أيُّها الذِّينَ آمَنوا استَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ . واعْلَموا أنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّه إليه تُحْشَرون ﴾[1] .

فليس بوسع المرء منا أن يفصل حياته عن الدعاء ، لأنّه مدعوٌ من الله ، وهو من جهة أخرى فقير ومحتاج إلى الله الغني بالذات ، وقد قال الله ـ عزّ وجلّ :

﴿ يا أيها النَّاسُ أنتمُ الفُقَرَاءُ إلى الله ، والله هو الغنيّ الحميد * إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلقٍ جديد ﴾[2] .

فالحاجة إلى الدعاء أمر فطري ، وليس من أهداف هذا الكتاب البحث حول الدعاء ، إذ لا نستطيع أن ندرسه مفصّلاً ، ولكن حينما تكون صلة المجاهد في سبيل الله وثيقة العرى بالدعاء كما أشرنا إليه ، فلا يمكن أن نترك جملة ، حيث « ما لا يدرك كله لا يترك جلّه » . ومن باب الاستمرار في هذا البحث الموجز نقول :

ويتبادر إلى الأذهان هذا السؤال ؛ لماذا لا تستجاب بعض الأدعية؟

---

(١) سورة الأنفال ٢٤/٨ .

(٢) سورة فاطر ٣٥/١٥و١٦ .

والجواب ، أنه ليس من شرط الدعاء الاستجابة الفورية له إذ للدعاء شروط لا بد من مراعاتها كي يستجاب ، وسنذكر إيماءً بعض هذه الشروط :

أ ـ طهارة النفس بالأنابة والتوبة : على الداعي أن يطهّر نفسه من الذنوب والمآثم وذلك بالتوبة النصوح إلى الله والتقرب إليه بالصلاة والعبادات ، مشفوعة بالصلاة على النبي (ص) ، بدءاً وختاماً . كما ورد في الحديث التالي :

عن الصادق (ع) ، قال : « إيّاكم أن يسأل أحدُكم ربه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله والمدْحَةِ له ، والصلاة على النبي وآله ، ثم الاعتراف بالذنب ، ثم المسألة »[1] .

ب ـ الحذر من تناول غير الطيب من الطعام : ينبغي على الداعي أن يجتنب المأكولات المحرمة ، إذ للمحرمات آثار سلبية حتى وان صدرت سهواً أو جهلاً . وبعبارة أخرى . إن لتناول الطعام أو الشراب المحرَّم أثراً وضعياً[2] ، بالإضافة إلى حرمته ، كمن شرب الخمر ولا يعلم بأنها خمر ، ولكنها تسكرْ وتؤثر عليه . قال رسول الله ـ (ص) :

« من أحب أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه ومكسبه »[3] .

كما نقل عن بعضهم الذي قال : يا رسول الله ، أحب أن يستجاب دعائي فقال : « طهّر مأكَلَتك، ولا تُدخِلْ بَطَنَكَ الحَرامَ »[4] .

ج ـ اجتناب المعاصي : كثيرة هي المعاصي التي تحول دون استجابة الدعاء ، انها حجاب دون الدعاء والملكوت الأعلى ، كما ورد في دعاء كميل : « اللهم اغْفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء »[5] .

د : **الوفاء بعهد الله** : على الإنسان أن يفي بعهده الذي عاهد الله عليه . فكيف يستجاب دعاء من حبط عمله ؟

---

(١) سفينة البحار ج ١/٤٤٦ .

(٢) الأثر الوضعي : وهو أن يؤثر شيء على شيء آخر كما أن الخمر يؤثر على خلايا الجسم ، حصوصاً المخ سواء شرب الخمر متعمداً أو ساهياً .

(٣) سفينة البحار ج ١/٤٤٨ .

(٤) وسائل الشيعة ج ٤ ـ /١١٧٦ = سفينة البحار ج ١/٤٤٨ .

(٥) دعاء كميل/مفاتيح الجنان/٦٣ = مصباح المتهجد .

جاء في الحديث : عن أمير المؤمنين ـ (ع) أنه خطب في يوم جمعة خطبة بليغة ، فقام إليه رجل فقال : . . . نسألك عن قول الله سبحانه : « ادعوني أستجب لكم » فما بالنا ندعو فلا يُجاب ؟.

قال : فأجابه (ع) :

« إنّ قُلوبَكُمْ خَانَتْ بِثماني خِصال :

أولها : أنكم عرفتم الله فلم تؤدّوا حقّهُ كما أوجب عليكم ، فما أغنت عنكم معرِفَتكُمُ شيئاً !

والثانية : انكم آمنْتُم بِرَسُولِهِ ، ثُمَّ خالفْتُم سُنَّتَه وأمتُّم شَرِيعتَهُ ، فأَينَ ثمرة إيمانكم ؟

والثالثة : أنكّم قَرأْتم كِتابَهُ المُنْزلَ عَليكُمْ ، فَلَمْ تَعْملَوُا بِهِ وَقُلْتمْ : سَمِعْنا وأَطَعْنا ، ثمَّ خالَفْتُم!

والرابعة : أنّكم قلتم : إنّكم تَخافُونَ مِنَ النارِ وأنتم في كُلٍّ وَقتٍ تَقْدِمُونَ إليها بِمَعَاصِيكُمْ ، فَأينَ خَوْفُكم ؟

والخامسة : أنكم قلتم : إنكم تَرغَبُونَ في الجَنّةِ ، وأَنْتُمْ في كُلِّ وقت تفعلون ما يباعدكم منها ، فأَيْنَ رَغْبَتُكَمْ فيها ؟

والسادسة : أنّكم أكلتم نِعْمةَ المولىٰ ، ولمْ تَشكُرُوه عليها !

والسابعة : أنَّ الله أَمَرَكُمْ بِعداوَةِ الشيطان ، وقال : « إنّ الشيطانَ لَكُمْ عَدو فَاتَّخِذُوه عَدّواً » ، فَعَادَيْتَموهُ بلا تَوّل ، وَوالَيْتُموهُ بِلاَ مُخَالَفَةٍ!

والثامنة : أنَّكُمْ جَعَلْتُمْ عُيُوبَ الناسِ نُصْبَ عُيُونِكُمْ ، وعُيُوبَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُم ، تَلوُمُونَ مَنْ أنتم أحقُ باللّوْمِ مِنْهُ ، فَأيُّ دُعاء يُستجَابُ لَكُمْ مَعَ هذا ، وَقَدْ سَدَدْتُمْ أبوابَهُ وَطرقَهُ ؟ فَاتَّقُوا الله وأَصلِحُوا أعْمالَكم ، وأَخْلِصُوا سَرائِرَكُمْ ، وأْمُرُوا بالمعَرُوفِ وانْهَوا عن المنكرِ ، فيستجيب الله لَكُم دُعاءَكُمْ »[١] .

هـ : **تَجاوُبُ اقتران الدعاء بالعمل** : من الشروط المميزة في استجابة الدعاء محاولة الداعي للعمل والسعي في سبيل تحقيق أسئلته ، وان لم يسع الداعي وبقي

---

(١) سفينة البحار ج ١/ ٤٤٩ .

مكتفياً بقراءة الأدعية فقط ، فلا يُجاب دعاؤه ، كما قال أمير المؤمنين ـ (ع) : الدّاعِي بِلا عَمَلٍ كَالرامِي بَلا وَتَرٍ[١] .

و : **قراءة الأدعية في الأزمنة الخاصة** : إنّ بعض الأزمنة خواصٌ في استجابة الدعاء ، ومن ثم قيّدت قراءة بعض الأدعية بساعات خاصة من الليل أو النهار .

نقل نوف النكالي قال : رأيت أمير المؤمنين ـ (ع) ـ ذات ليلة وقد خرج من فراشه ، فنظر في النجوم ، فقال لي : أراقد أنت أمْ رامق ؟ فقلت : بل رامق ؛ قال (ع) :

« يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة . . . يا نوف ، إنّ داود ـ (ع) ـ قام في مثل هذه الساعة من الليل ، فقال : إنها لساعة لا يدعو فيها عبدٌ إلّا اسْتُجِيبَ له »[٢] .

ز ـ **حاجة ماسة حقيقية** : قد يسأل الإنسان الله ـ سبحانه وتعالى ـ شيئاً ، ويلح في الدعاء كثيراً وهو لاهي القلب ، ساهي العقل ، لدرجة لا يدرك معها ما يقول ، فأنى يستجاب له ؟

روي أنّ رجلاً أعمى جاء إلى رسول الله ـ (ص) ـ فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال ـ (ص) ـ : « قل : يا سبّوح يا قدوس ، يا نور الأنوار ، يا نور السموات والأرض ، يا أول الأولين ، ويا آخر الآخرين ، ويا أرحم الراحمين ، أسألك أن تغفر لي الذنوب التي تغير النعم ، والذنوب التي تنزل النقم ، والذنوب التي تهتك العصم ، والذنوب التي توجب البلاء ، والذنوب التي تقطع الرجاء ، والذنوب التي تحبس الدعاء ، والذنوب التي تكشف الغطاء ، والذنوب التي تعجّل الفناء ، والذنوب التي تُظلم الهواء ، وأسألك باسمك العظيم ، ووجهك الكريم ، أن ترد عليّ بصري » .

فدعا بذلك فَرُدّ عليه بصره[٣] .

---

(١) نهج البلاغة الحكمة/٣٣٧ .

(٢) نهج البلاغة الحكمة/١٠٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦/١٩٠ .

يستنتج من كل ذلك أن شروط الدعاء إذا توفرت في الداعي ، فإنّ الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعائه وهذا ما نقل عن الصادقين (ع) :

« إنّ العبد إذا دعا الله ـ تبارك وتعالى بنية صادقة وقلب مخلص استُجيب له بعد وفائه بعهد الله ـ عزّ وجلّ ، وإذا دَعا الله بغير نية وإخلاص لم يُستجب له ، أليس الله يقول : ﴿ وأوفوا بعهدي أوُفِ بعهدكم ، وإياي فارهبون ﴾ فمن وفى وفي له[1] .

ويجدر بنا في هذا البحث أن نأتي بدعاء الحسين - (ع) - في يوم عاشوراء ، وهو المروي عن علي بن الحسين ـ (ع) ، قال :

« ضمني والدي ـ (ع) ـ إلى صدره يوم قتل ، والدّماء تغلي وهو يقول :
يا بنّي احفظ عني دعاءً علمتنيه فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ وعلّمها رسول الله ـ (ص) وعلمه جبرائيل في الحاجة والمهم والغّم ، والنازلة إذا نزلت ، والأمر العظيم الفادح ، قال : أدع بحق يَس والقرآن الحكيم ، وبحق طَه والقرآن العظيم ، يا من يقدر على حوائج السائلين ، ويعلم ما في الضمير ، يا منفس عن المكروبين ، يا مفرّج عن المغمومين ، يا راحم الشيخ الكبير ، يا رازق الطفل الصغير ، يا من لا يحتاج إلى التفسير ، صلِّ على محمد وآل محمد وافعل به كذا وكذا » .

بدلاً عن « افعل به . . . . تسأل ما تحتاج وتريد »[2] .

(١)سفينة البحار ج ١/٤٤٩ .
(٢) سفينة البحار ج ١/٤٥٥ .

البحث الرابع والثلاثون

فلسفة الدعاء وآثاره

لا شك بأن الدعاء يؤثر في ضمير الإنسان ، ويحوّل النفس من حالة شيطانية إلى حالة رحمانية ، لاسيما المأثورة منها التي وردت وجرت على لسان الرسول ـ (ص) ـ والأئمة المعصومين ـ (ع) ـ كأنهم علموّنا من خلالها كيف نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ، ووضحوا لنا الحكمة ، والمصلحة والفلسفة من تشريعها ، لأنّا نجد المعارف الإلّهية والدروس الأساسية من خلالها عندما نتعمق فيها ، ونشير الآن إلى بعضها :

١ ـ بعث روح الحياة « أمل الانتصار »

عندما يفشل المقاتلون في بعض عملياتهم الحربية ، فإنّهم قد ييأسون من النصر النهائي ، فلا يستغلون ما تبقى لديهم من قوةٍ تحقق لهم النصر . ولكن المحارب المؤمن حينذاك يلتجيء إلى الله سبحانه وتعالى ، حيث إنه يعتقد أنّ النصر ليس ببعيد عنه فيما لو أراد الله له فهو يتوجه إليه بالدعاء والتضرع كي يمنحه إياه ، فيبدأ الأمل بالانتعاش في تلك النفس المقهورة ، فتواصل جهادها معتمدة على دعائها لله سبحانه ، ولربما يتحقق النصر على يديها .

فدعاء المؤمنين منشأ الرجاء ، وسبب نوري يشعشع في قلوبهم ، حينذاك لا يعرفون للتراخي أو الصعوبة أو الحر أو البرد معنى ، كأنّ الدعاء كان بمنزلة الماء .

وهو محي المؤمنين ، كما لو أحيا ونمى أشجاراً يابسة في حمارّة القرّ في الصيف . .

٢ ـ الدعاء لصفاء النفس ونقائها

لقد ذكرنا سابقاً أن من شروط استجابة الدعاء هو ابتعاد الإنسان عن المظاهر المادية ، وتقربّه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما يرضيه ، وحينما يصبح هذا الإنسان متصّفاً بالصفات الكمالية والجمالية ، يصبح قلبه مصدراً للنقاء والصفاء ، ومنه يرشح ذلك إلى جميع الأعضاء والجوارح ، فيستجيب الله ـ عزّ وجلّ ـ له دعاءه متى دعاه . وهذه هي فلسفة الدعاء .

٣ ـ الدعاء وتربية النفس هو بعث تربوي اساسي

ويُرى ذلك في خُلق العباد الذين يهتمون بالدعاء ويمهدون شروط الاستجابة في أنفسهم ، مثل علي بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين والأئمة المعصومين ـ (ع) ، ومن تابعهم في الالتجاء إلى الأدعية نحو محمد بن مسلم، وزرارة و . . . والتربية هذه لا يمكن أن تتحقق إلا بالالتفات إلى نكاتٍ لطيفة : كالتوحيد والمعاد والاستغفار والتوبة والدعاء للأخوة الآخرين و . . . وسنشير إلى بعضها .

٤ ـ تأثر النفس عند سماع مضامين الأدعية

إذ تلا امرؤ مثقف الأدعية المأثورة وإن لم يؤمن بها ، فسيجد بأنّها تحتوي ، لا محالة ، على مضامين عالية تنعكس عليه مزيداً من تعقل ، ورقة في عواطفه الإنسانية فيعترف عندئذ بأهمية الأدعية لارتقاء نفسية الإنسان .

ومن الأدعية التي يجدر بنا دراستها دعاء عرفة الذي ألقاه الإمام الحسين بن علي (ع) في يوم عرفة ، لما فيه من اللطائف والدقائق في معرفة الله ـ عزّ وجلّ .

وكذلك دعاء مكارم الأخلاق المنقول عن الإمام علي بن الحسين (ع) ، لما فيه من دروس الأخلاق ذات الأثر الكبير على الفرد والمجتمع .

وفيما يلي دعاء الإمام زين العابدين ـ (ع) ـ حين نظر إلى الهلال فقال :

«أيها الخلق المطيع، الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير، والمتصرف في فلك التدبير ، آمنت بمن نور بك الظُّلم ، وأوْضَحَ بِكَ البُهَم ، وجعلك آية من آيات ملكه ، وعلامةً من علامات سُلطانه ، وامتهنك بالزيادة والنقصان ، والطلوع والأفول ، والإنارة والكسوف ، في كل ذلك أنت له مطيع ، وإلى إرادته سريع .

سبحانه ما أعجب ما دبر في أمرك ، وألطف ما صنع في شأنك! جعلك مفتاح شهر حادثٍ . لأمر حادثٍ فأسأل الله ربي وربك . . . « أنّ يُصَّلي على محمد وآل مُحمد » (١) .

في هذه العبارات أشير إلى حركة القمر السريعة التي تبلغ في كل ساعة أكثر من/ ٣٧٠٠ ـ كيلومتراً ، ثم أشار إلى تبعيته للقوانين الطبيعية الحاكمة على مسار الكون برمته ، ومنها عدم خروج القمر عن مدار فلكه ، وبزوغه في الليالي المظلمة ، والكسوف والطلوع والأفول ـ ثم تُرجع الأمور كُلها إلى ربوبية الله ـ سبحانه ـ.

ونقرأ أيضاً في بداية الصحيفة السجادية .

« الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده ، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين ، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين ، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً . . . (٢) .

هذه الفقرات كلها تحتوي على براهين لتوحيد الله وعدم رؤيته ، وأنّه عزّ وجلّ خالق الخلق ، وكذلك ينبغي الالتفات إلى دعاء الجوشن الكبير الذي نقل عن علي بن الحسين ـ (ع) ـ فأنّه . قال : هبط جبرئيل على النبي (ص) في غزوة فقال : اقرأ هذا الدعاء فهو أمان لك ولأمتك . فنذكر هنا بعض بنوده :

« يا من في السماء عظمته ، يا من في الأرض آياته ، يا من في كُلّ شيءٍ دلائله ، يا من في البحار عجائبه ، يا من في الجبال خزائنه ، يا من يبدأ الخلق ثم يعيده ، يا من إليه يرجع الأمر كله ، يا من أظهر في كل شيء لطفه ، يا من أحسن كل

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء ٤٣ .
(٢) الصحيفة السجادية الدعاء ١ .

شيء خلقه ، يا من تصرّف في الخلائق قدرته »[1] .

يحتوي هذا الدعاء على مضامين عالية ، ولهذا رأينا الإشارة إليها بصورة موجزة :

فالجملة الأولى أشارت إلى عظمة السماء ، والثانية . أشارت إلى مخلوقات عجيبة في بواطن الأرض . والثالثة إلى علامات التوحيد في كلّ شيء ، والرابعة : إلى موجودات بحرية بديعة موطنها أعماق البحر ، والخامسة : إلى المعادن الثمينة التي استودعها الله باطن الجبال ، والسادسة والسابعة : إلى أنه خالق الخلق وأنه قادر على إعادته ، وأنّ كل شيء يرجع إليه والثامنة : إلى لطائف عمليّة الخلق في كل مخلوق ـ والتاسعة : إلى حسن تكوين المخلوقات ، والعاشرة : إلى تصرف قضاء الله بالموجودات مع القدرة بقدرته ، عزّ وجلّ ، وكأنه قانون تكويني متحكم بكل خلق الله تعالى .

٥ ـ الدعاء سبب لرفع الاضطرابات النفسية :

إنّ حياةَ الإنسان لا تخلو من الألم والتنافر ، وكلما تقدم الإنسان في حياته التمدنية المتصفة برغد العيش يزداد وساوسه وهواجسه ، ولا يقلّ أبداً ، كما أن احداث العالم تزيد من عدم استمرار الإنسان واستمرار اضطرابه .

ونتساءل : لماذا يزداد اضطراب في الإنسان يوماً بعد يوم وها نحن نشير إلى بعض أسباب ذلك :

أولاً : عدم التوازن في المعادلة بين الحياة الحضارية ونمو مكارم الأخلاق ، الذي يفتقر الإنسان إليه ، وبدونه لا يكون إنساناً .

ثانياً : خوفه على مستقبله ، فالإنسان يفني عمره في تنفيذ ما يخططه الاستكبار العالمي ، دون حصوله على مقابل لذلك فيشيع في نفسه الاضطراب . ولا يأخذ بإزائه شيئاً .

ثالثاً : شدة الصراع والنزاع في سبيل المنافع والمصالح ، واللجوء إلى الطرق

(١) بحار الأنوار ج ٣٩١/٩١ دعاء الجوشن الكبير بند ٥٨ .

الملتوية غير المشروعة لتحقيق أعلى نسبة من الاستثمار وقهر المستضعفين .

رابعاً : إلهاء الناس بالأمور الواهية والمواضع التافهة بأساليبها الرخيصة ، المؤدية بالنشء إلى الإنحراف الخلقي : كالأفلام الفاسدة ، أو الألعاب المزيفة ، أو نشر المواد المخدرة على أنواعها ، لشلّ طاقاتهم .

فهذه الأمور ، على رأس أسباب الاضطراب النفي ، وعدم الاستقرار عند الإنسان ، ولا سبيل له للقضاء على هذه الحالة المؤلمة إلّا الدعاء ، لأنّه هو السبيل الوحيد لاستقرار مشاعره . فعندما يتوجه الداعي للعلي القدير لا بدّ أن يلتفت إلى مبدأ الكمال والجمال والخير ، ويبعد عن نفسه روح الأنانية ، فيدعو لإخوانه كما يدعو لنفسه ، ودليلنا على ذلك ما جاء في الدعاء المأثور في شهر رمضان بعد كل فريضة :

عن النبي ـ (ص) ـ أنه قال : « من دعا بهذا الدعاء في شهر رمضان بعد كل فريضة غفر الله ـ سبحانه ـ له ذنوبه إلى يوم القيامة .

« اللهم أدخل على أهل القبور السرور ، اللهم أغنِ كل فقير ، اللهم أشبع كل جائع ، اللهم اكسُ كل عُريان ، اللهم اقضِ دين كل مدين ، اللهم فرج عن كل مكروب ، اللهم ردّ كلّ غريب ، اللهم فك كلِ أسير ، اللهم أصلح كلّ فاسد من أمور المسلمين ، اللّهم اشفِ كلّ مريض ، اللهم سُدّ فقرنا بغناك ، اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك ، اللّهم اقضِ عنا الدّين ، وأغننا من الفقر ، إنك على كلّ شيء قدير [١] .

صلاة الخوف

إن حينما يكون المقاتل في ساحة الوغي ومعترك ، الحرب ، جوّز له الشارع المقدس أن يقصر صلاته الرباعية من الفرائض اليومية إلى ركعتين . وله الخيار في أن يصلي بشكل إفرادي أو جماعي ؛ . وقد سميت هذه الصلاة بذات الرقاع ، لأن الحرب وقعت في سفح جبل فيه جدد « حمر ، وصفر ، وسود كالرقاع ، أو لأن الصحابة كانوا حفاة فلفوا أرجلهم بالرقاع من جلود وخرق لشدة الحرّ ، أو هو نسبة إلى اسم شجرة كانت في موضع غزوة ، وهي على ثلاثة أميال من المدينة

(١) مفاتيح الجنان /الاعمال والادعية في شهر رمضان .

المنورة عند بئر أروما ، وقيل موضع من نجد ، وهي أرضٍ غطفان . وقد صلّى رسول الله ـ (ص) ـ في ذات الرقاع هذه الصلاة جماعة[١] .

كيفية صلاة الخوف ، أو ذات الرقاع

تنقسم القوات في الجماعة إلى فرقتين . فرقة منها مهمتها الحراسة والدفاع ، بينما تؤدي الفرقة الأخرى تشتغل الصلاة خلف إمام الجماعة بركعة ، ثم ينفردون بعد قيامه ويتمون ركعة أخرى مخففة ، ويسلمون ويحلون محل اخوانهم في الفرقة التي كانت تحرسهم ، ثم تتقدم هذه الفرقة للصلاة والإمام لم يزل في الركعة الثانية ، فيصلي بهم ركعة حتى يرفعوا رؤوسهم من سجود الثانية ويتمون الثانية مخففة ، ثم ينفرون فينفردون ، والإمام يطيل وينتظر حتى يتموا ، ويسلّم معهم .

شروط صلاة الخوف

لصلاة الخوف شروط :

١ ـ امكان التقسيم بين حارس ومصلّ ، بحيث تقاوم فرقة العدو حالة تأدية الأخرى الصلاة .

٢ ـ أن يكون العدو قوياً بحيث لا يأمن المسلمون من هجومه .

٣ ـ ألّا يكون العدو في جهة القبلة .

نعم . ربما لا تسمح ساحة القتال أن يصلي المقاتلون صلاة الخوف كما ذكرنا لشدة الخوف ، حينذاك يصلي المقاتل حسب الأمكان واقفاً أو ماشياً ، فهو يستقبل القبلة بتكبيرة الإحرام ، ثم يستمر بأي صورة ممكنة ، وربما يسقط الركوع والسجود ويقول بدلاً عن كل ركعة « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله . والله أكبر »[٢] .

تنبيه : رويت هذه الصلاة بصور مختلفة أربت على العشرة ، أشهرها صلاة ذات الرقاع كما ذكرناها ، يجب على المصلين أن يكون سلاحهم معهم في كل

---

(١) اللمعة الدمشقية ج ١/٣٦٤ = السيرة لابن هشام ج ٣/٢١٤ = المغازي للواقدي/٣٩٥ .

(٢) اللمعة الدمستقية ج ١/٣٦٤ = كنز العرفان ج ١/١٨٩ = شرائع الإسلام/٣٨ .

الحالات الراهنة في الصلاة ، وفي هذه الصلاة فروع ودقائق يمكن التعرف عليها عن طريق مراجعة الكتب الفقهية ، وقد استدل الفقهاء على مشروعيتها بالآيات التالية :

﴿ وإذا ضَرَبْتُمْ في الأرض فَلَيسَ عَليكُمْ جُنَاحٌ أنْ تَقْصُروا من الصَّلاةِ إنْ خِفْتُمْ أن يَفْتِنَكُم الذين كَفَروا ، إنَّ الكافرينَ كانوا لكمْ عدواً مبيناً * وإذا كُنْتَ فيهِم فأقَمْتَ لَهُمْ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ منهم معك ، وَلْيَأخذوا أسلِحتَهُم ، فإذا سَجَدوا فليكونُوا من ورائِكُمْ ، وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ أخْرى لم يُصلّوا فَلْيصَلُّوا مَعَكَ ، وَلْيَأخُذُوا حِذْرَهُمْ وَاسْلِحَتَهُم ، وَدّ الذينَ كَفَروا ، لو تَغْفَلُونَ عَنْ أسلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكم فيَميلونَ عليكم مَيْلَةً واحِدةً ، ولا جُناحَ عليكم إن كانَ بِكُم أذَىٰ من مطرٍ أو كُنْتُم مَرْضى أنْ تَضَعوا أسْلِحَتِكم ، وَخُذوا حِذْرَكم ، إنّ الله أعَدَّ للكافِرينَ عَذَاباً مُهيناً﴾[1] .

صدق الله العلي العظيم

(١) سورة النساء ٤/١٠١ و١٠٢ .

البحث الخامس والثلاثون

الأمان في الحرب

إن على جند الحق أن يدعوا الأعداء إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن ينبهوهم إلى أخطائهم ومواقفهم الباطلة ، لعلهم يعودون عن غيهم وذلك قُبيَل اندلاع نار الحرب وفي هذه الحالة ان لم يكونوا على استعداد لذلك فلا بأس ببدء الحرب وإعلانها ، فالمهم إعلاء كلمة الحق .

ولقد نصّت شريعتنا السمحاء على موضوع الأمان في الحرب ، وكان رأي فقهائنا رضوان الله تعالى عليهم ، وفي طليعتهم العلامة الحلّي رحمة الله عليه ـ في كتاب (المنتهى)[1] . أنه لا خلاف في جوازه.

والمراد من الأمان إعطاء المجال من الأمن لمن يطلبه من الكفار والمشركين ، الذين ينشدون الحق ليدخلوا فيه ، فيجوز لمقاتلي الإسلام أن يمنحوا الأمان لأي شخص يطلبه ،على أمل أن يرجع إلى رشده ويدخل في دين الله عز وجل ، فإن فاء إلى الحق ، فَنِعِمَّا هي ، وإلا فعلى جند الإسلام أن يردّوه إلى جبهته بسلام ، وقد صرّح القرآن الكريم بذلك حيث يقول :

﴿ وإنْ أَحَدٌ من المشرِكينَ استَجارَكَ فَأَجْرِهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ الله ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قومٌ لا يعلمون ﴾[2] .

---

(١) جواهر الكلام ج ٩٢/٢١ .

(٢) سورة التوبة ٦/٩ .

هذا ، مع لحظ التفات المقاتلين إلى الجوانب الأمنية عند إعطاء الأمان ، حيث إن العدو قد يرسل بعض جواسيسه بهذه الصورة للاستطلاع والتجسس .

من يستطيع إعطاء الأمان ؟

يجوز لكل جندي من جنود الإسلام إعطاء الأمان في المعركة لأي شخص من العدو يطلب ذلك ، فإذا تم ذلك ، فعلى المقاتلين جميعاً أن يحترموا هذا الأمر ولايجب على المقاتل أن يستأذن القيادة أو الإمام المعصوم (ع) عن الأمان ، وتدل على ذلك أحاديث متعددة .

منها : ما نقله جعفر بن محمد (ع) من خطبة الرسول الأعظم (ص) في مسجد الخيف ، حيث قال (ص) :

« المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم »[١] .

وجاء في بعض الأحاديث : المسلمون إخوة . . .

ومنها : الحديث النبوي المشهور بين الشيعة والسنة :

« المؤمنون بعضهم أكفاء بعض ، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم »[٢] .

ومنها : ما نقل السكوني عن الصادق - (ع) - قال : قلت لأبي عبدالله - (ع) - ما معنى قول النبي -(ص) - : « يسعى بذمتهم أدناهم » ؟

قال (ع) : « لو أنّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين ، فأشرف رجل فقال : أعطوني حتى ألقي صاحبكم وأناظره ، فأعطاه أدناهم الأمان ، وجب على أفضلهم الوفاء به »[٣] .

بالإضافة إلى هذه الأحاديث هناك روايات أخرى تؤكد هذا المضمون نفسه ، حيث تبيّن فيها عدم جواز التعدي على طالب الأمان عند منعه ذلك ، ومن ثم مَنْ

---

(١) وسائل الشيعة ج ٥٦/١٩ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١٩/باب ٣١ = معجم ألفاظ أحاديث الرسول (ص) .

(٣) جواهر الكلام ج ٩٢/٢١ - وسائل الشيعة ج ٤٩/١١ باب ٢٠ .

تعرض لمأمونٍ وعذبه وقتله ، يَلْقَ ربه يوم القيامة غادراً ، كما تدل عليه الأحاديث التالية :

١ ـ عن عبدالله بن سليمان قال : سمعت أبا جعفر ـ (ع) ـ يقول : « ما من رجل أمّن رجلاً على ذمة ثم قتله ، إلاّ جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر »[١] .

٢ ـ عن حبة العرني قال : قال أمير المؤمنين ـ (ع) ـ : « من ائتمن رجلاً على دمه ثم خاس به ، فأنا من القاتل بريء ، وإن كان المقتول في النار[٢] .

على هذا الأساس أفتى الفقهاء بجواز الأمان وعدم جواز التعرض للمأمون ، حيث قالوا : كل مسلم مجاهد يستطيع بنفسه أن يعطي الأمان إلى نفر من العدو عندما تقتضي مصالح الاسلام ، كما أنه لا بأس بإعطاء الأمان منه إلى العشرة فما دونها[٣] . ويعتبر في المصلحة عدم الإضرار بالحكومة الإسلامية ومعنوياتها ، وإتمام الحجة على العدو .

« مواصفات المؤمِّن »

على المؤمِّن أن يكون مسلماً وبالغاً وعاقلاً ومختاراً ، ومن ثم لا يعتمد في إعطاء الأمان على المجنون وغير المسلم والمضطر ، ولكن لا فرق بين الرجل والمرأة ، والعبد والحر ، وقد نص على ذلك في دعائم الاسلام حيث جاء فيه :

عن أبي جعفر (ع) : « وإن أمنّهم ذمي أو مشرك كان مع المسلمين في عسكرهم فلا أمان له »[٤] .

ويستشهد على ذلك بعدة روايات :

منها : إن أم هانيء قالت لرسول الله (ص) : يا رسول الله إني أجرت أحمائي وأغلقت عليهم ، وإن ابن أمي أراد قتلهم ، فقال رسول الله ـ(ص) ـ : « قد أجرنا

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١/٥٠ .
(٢) وسائل الشيعة ج ١١/٥١ .
(٣) جواهر الكلام ج ٢١/٩٦ .
(٤) جواهر الكلام ج ٢١/٩٥ .

من أجرت يا أمَّ هانىء ، إنما يجير على المسلمين أدناهم »(١) .

ومنها : أجارت زينب بنت رسول الله ـ (ص) ـ العاص بن الربيع فأمضاه رسول الله (ص)(٢) .

ومنها : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال : إنّ علياً (ع) أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون ، وقال : هو من المؤمنين(٣) .

شروط الأمان

يعتبر في الأمان أمران أساسيان :

١ ـ إن يكون إعطاء الأمان للمأمون قبل أسره ، وإلاّ فلا قيمة الأمان بعد الأسر .

٢ ـ ألا يكون في إعطاء الأمان مفسدة ، بل لا بد أن يكون فيه مصلحة ، ومن هنا . لو أمّن جاسوساً أو من فيه مضرة للمسلمين لم ينعقد الأمان أبداً(٤) ، ولهذا على المقاتلين الالتفات إلى هذين الأمرين لما لهما من أثر كبير .

شبهة الأمان

إعطاء الأمان أفضل فرصة يمكن الإفادة منها من قبل العدو كي يثوب إلى رشده ، ويعرف الحق ويتبعه ؛ وللأمان حدود أكبر مما نتصور ، حيث إن الشارع المقدس حريص على إرشاد الناس إلى الحق ، وتخليصهم من الضلال ، ويدل على ذلك الأحكام التالية :

منها : قد يطلب العدو الأمان ويرد المسلمون بالرفض ، ولكن الأمر اشتبه على الأعداء إذ ظنوا أنّ المسلمين قد وافقوا على طلبهم ، فهم في حكم الإسلام آمنون .

---

(١) جواهر الكلام ج ٢١/٩٥ ـ سنن البيهقي ج ٩/٩٥ .

(٢) جواهر الكلام ج ٢١/٩٥.

(٣) وسائل الشيعة ح ١١/٥٠ .

(٤) جواهر الكلام ج ٢١/١٠٠ .

ومنهـا : إذا كـان ردّ المسلمين مبهمـاً ، وظن الأعـداء أنهم قـد وافقـوا على أمانهم ، فهم آمنون أيضاً .

ومنها : لو أرسل أشخاص من العدو رسالة للمسلمين يطلبون فيها الأمـان ولم تصل ، ولكن الأعداء ظنـوا أنها وصلت إلى المسلمين ووافقـوا على تأمينهم ، فهم آمنون .

يدل على الأحكام المذكورة حُديث ابن أبي عمير ، فقـد نقل عن محمـد بن الحكم ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ.

قال (ع) : « لو أنّ قوماً حاصروا مدينة ، فسألوهم الأمان ، فقالوا : لا ، فظنوا أنهم قالوا نعم . فنزلوا إليهم ، كانوا آمنين »[1] .

نعم ، اعطاء الأمان لا يختص بوقت الحرب فقط ، بـل يشمل أوقـات السلم كذلك ، كما لو طلب أحد الكفار الأمان أو اللجوء إلى الحكومة الإسـلامية في زمن السلم لكي يتعرف إلى معالم الإسلام والوقوف على ما التبس عليه من أمر ، أو أشتبه عليه من حقيقة ، فينبغي على المسلمين أن يوفّروا له ذلك ، وألاّ يتعرضوا له أبداً ، وأن يمنحوه الحرية الكاملة كي يدخل دينهم بكل قناعة ورضا .

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١/ ٥٠ باب ٢٠ .

البحث السادس والثلاثون

الغنائم الحربية وكيفية تقسيمها

إذا أسفرت الحرب عن انتصار المسلمين وهزيمة الأعداء ، فكل ما يتركه الأعداء من الأموال والأراضي في حكم غنائم الحرب ، ونتعرض هنا إلى هذا الموضوع. فبمن يتعلق الغنائم؟ وكيف توزع، وهذا الأمر يحتاج إلى توضيح مفصل :

أقسام الغنائم : إن الغنائم تنقسم إلى قسمين :

١ ـ منقول ، وهو ما ينقل ويحمل من مكان إلى مكان ، كالذهب والفضة وما يركب والأمتعة وغيرها .

٢ ـ غير منقول ، كالأرض والعقار . وكل من القسمين يحتاج إلى التفصيل والتوضيح .

أما المنقول فينقسم إلى قسمين :

أ ـ ما يصح للمسلم تملكه وذلك يدخل في الغنيمة .

ب ـ ما لا يصح تملكه للمسلم ، وهو لا يدخل في الغنيمة ، كالخمر والخنزير ونحوهما ، وكتب الضلال من التوراة والإنجيل المحرفين ، وكآلة القمار[١] .

نعم ، لو كان فيه منفعة مسموحة أو عقلانية يوزع بين الراغبين إذا كان عددهم

---

(١) جواهر الكلام ج ١٤٧/٢١ .

قليلاً ، ولكن إذا كان كثيراً فيوزع بينهم بحسب القرعة ؛ هذا إذا لم يتنازل بعض المجاهدين عن حقه .

القسم الاول من المنقول يوزع بين المقاتلين بعد إخراج الخمس والجعائل كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ واعلَموا أنَّما غَنِمْتُمْ من شيء فإنَّ لله خُمُسَهُ وللرسولِ ولذي القُرْبَى واليَتَامى والمساكينِ وابنِ السبيل ﴾[1] .

ويستدل على ذلك أيضاً بالسيرة النبوية ، حيث جاء فيها الحديث التالي : عن حمّاد بن عيسى ، عن ربعي بن عبدالله بن الجارود ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال :

« كان رسول الله ـ (ص) ـ إذا أتاه المغنم أخذ صفوه وكان ذلك له ، ثم يقسم ما بقي خمسة أخماس ، ويأخذ خمسة ، ثم يقسم أربعة أخماس بين الناس الذين قاتلوا عليه ، ثم قسم الخمس الذي أخذه خمسة أخماس ، يأخذ خمس الله ـ عزّ وجلّ ـ لنفسه ، ثم يقسم الأربعة أخماس بين ذوي القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، يعطي كل واحد منهم حقاً ، وكذلك الإمام أخذ كما أخذ الرسول ـ (ص) ـ »[2] .

قال الشيخ ـ الصدوق ـ ربما قنع الرسول ـ (ص) ـ بما دون حقه ليوفر على المستحقين .

ويجدر بنا أن نُوضّح هنا ـ الخمس والجعائل :

أما الخمس[3] : فهو الذي جعله الله لمحمد ـ (ص) ـ وذريته بدلاً من الزكاة ، قال الصادق ـ (ع) :

« إنّ الله لا إلّه إلا هو لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس ، فالصدقة علينا

---

(١) سورة الأنفال : ٨/٤١ .

(٢) وسائل الشيعة ج ٦/٣٥٦ ـ الحديث ٣ .

(٣) الخمس يجب إخراجه من سبعة أشياء ١ ـ الغنائم الحربية ٢ ـ المعادن ٣ ـ الكنز ٤ ـ ما يخرج بالغوص من البحر من الجواهر كاللؤلؤ والمرجان ٥ ـ ما يزيد عن مؤنة السنة ٦ ـ الأرض التي اشتراها الذّمي من مسلم ـ ٧ ـ مال الحلال المختلط بالحرام مع عدم تميّز صاحبه أصلاً . تحرير الوسيلة ج١/ ٣٢٢ .

حرام ، والخمس لنا فريضة ، والكرامة لنا حلال »[١] .

والخمس ينقسم ستة أقسام ، سهم لله وسهم للنبي - (ص) - وسهم للإمام (ع) ، وهذه الثلاثة لصاحب الأمر - أرواحنا له الفدى وسميت تلك الأسهم بسهم الإمام - (ع) - ، أما الأسهم الثلاثة المتبقية فللأيتام والمساكين وأبناء السبيل ممن انتسب بالأب إلى عبد المطلب ، وسميت هذه الثلاثة . بسهم السادات[٢] .

وتدل عليه روايات كثيرة في أبواب الخمس من كتاب وسائل الشيعة .

وأما الجعائل : فهي أمور معتبرة لدى الإمام - (ع) - ، أو نائبه من أجل مصالح الإسلام ، ينفذها حيث يشاء ، وبعبارة أخرى : هي كلفة الاتفاقيات التي يعقدها الإمام - (ع) - ، أو الحاكم الإسلامي مع الآخرين في سبيل تحقيق الانتصار ، كالجعالة التي يجعلها القائد لبعض جنوده من أجل القيام بعملية خاصة ، أو تنفيذ عمل ما ، وكالجوائز التي تمنح لأشخاص معينين ، أو الهدايا التي تعطى لبعض أفراد العدو للإفادة منهم ، وتقريبهم إلى الإسلام . وهذه الاتفاقيات قد تتم في ساحة الحرب أو بعيداً عنها .

وللحاكم الإسلامي أن يأخذ مثل هذه المصاريف من الغنيمة بعد إخراج الخمس منها[٣] ، وبعد ذلك يوزع الإمام أو نائبه ما بقي من الغنائم بين المقاتلين أو المسلمين حسب أحكامها ، ولا يجوز لأحد أن يتصرف في الغنائم قبل التوزيع والتخصيص من دون إذن الإمام كما يدل عليه الحديث النبوي :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا خلقه رده فيه »[٤] .

ويستدل على ذلك بسيرة علي بن أبي طالب - (ع) - حيث يقال : إنه لما رجع من اليمن مع جنوده تعجّل - (ع) - إلى رسول الله - (ص) - واستخلف على جنده رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل ، فكسى كلّ رجل من القوم حلة فلمّا دنا جيشه

(١) وسائل الشيعة ج ٣٣٧/٦ .
(٢) تحرير الوسيلة ج ٣٣٤/١ .
(٣) شرح اللمعة ح ٢٦٠/١ - جواهر الكلام ج ١٤٧/٢١ .
(٤) جواهر الكلام ج ١٤٨/٢١ - نقلاً عن سنن البيهقي ج ٦٢/٩ .

فشاهدهم وقد ارتدوا حللاً يمانية قبل قسيمة الغنائم . والوصول إلى رسول الله ـ (ص) ـ فقال (ع) : ويلكم ، ما هذا ؟

قال الرجل: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، فقال (ع) ويلك ، انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ـ (ص) ـ ، وانتزع الحلل من الناس . . . فردها في البزّ ، ولكن فاشتكى الجند من ذلك إلى رسول الله (ص) . فوافق على اجراءات أمير المؤمنين (ع)(١) .

وكان المسلمون في بداية النهضة الإسلامية بقيادة الرسول ـ (ص) ـ قد هيأوا المعدات العسكرية من الخيل والإبل والسلاح ، وشاركوا في الغزوات رغبة منهم ، فعلى هذا الأساس وزّع الغنائم بينهم بالتفاوت حيث أعطى الفارس سهمين « من له الخيل والإبل » ، والراجل ، سهماً واحداً (٢) .

وأما في عصرنا هذا فإن الحكومة الإسلامية هي التي تقوم بتهيئة جميع الوسائل العسكرية التي يستخدمها المقاتلون في الحرب ، ذلك أن بعض المعدات كالطائرات الحربية والدبابات والصواريخ والأجهزة اللاسلكية لا يمكن توفرها لدى الأفراد وحدها هي التي بوسعها امتلاك هذه المعدات المرتفعة الاثمان .

فعندئذ أنّ الغنائم في عصرنا هذا فمردها إلى الإمام المعصوم ـ (ع) ـ أو نائبه ، أي ولي الفقيه القائد العام في زمن الغيبة ، وهو يوزعها حسب ما تقتضيه المصلحة الإسلامية .

المستثنيات من الغنيمة

يستثنى من الغنيمة وأحكامها شيئان :

أحدها : السَلَبْ : وهو لباس القتيل وأحذيته ودرعه وخاتمه وغيرها من الأموال الشخصية ، اذ تصبح كلها للقاتل ، وقد صرح النبي ـ (ص) ـ بذلك حيث قال :

« من قتل قتيلاً فله سلبه »(٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ / ٢٥٠ .

(٢) شرح اللمعة ج ١ / ٢٦١ .

(٣) جواهر الكلام ج ٢١ / ١٨٦

ثانيهما : ما يصطفيه الإمام لنفسه من فرس وسيف وجارية ونحوها حسب ما يختاره ، كما يختص بالإمام صفايا الملوك وقطائعهم ، وهي ما تتعلق بالملوك ، وكذلك ما غنمه المقاتلون بغير إذن الإمام ، ويدل على ذلك كله ما نقله أبو بصير عن أبي عبدالله ـ (ع) .

قال : سألته عن صفو المال ، قال (ع) :

« الإمام يأخذ الجارية ، والروقة (الجميل من الناس) والمركب الفاره ، والسيف القاطع ، والدرع قبل أن يقسم الغنيمة ، فهذا صفوا المال »[١] .

وكما يدل عليه ما نقل عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال :

« إذا غزا قوم بغير إذن الإمام فغنموا كانت الغنيمة كلها للإمام ، وإذا غزوا بأمر الإمام فغنموا كان للإمام الخمس »[٢] .

---

(١) وسائل الشيعة ج ٦/٣٦٩ رقم الحديث ١٥ .

(٢) وسائل الشيعة ج ٦/٢٦٩ رقم الحديث ١٦ .

البحث السابع والثلاثون

المحرومون من الغنائم

المقاتل في سبيل الله يساهم من الغنائم إلا إذا كان مخذلاً أو مُرْجِعاً ، والمراد بالمُخَذِّل الذي يثبط عزيمة المقاتلين بإلقاء الشبهات في أذهانهم ، ممّا يؤدي في النهاية إلى فشل المقاتلين وانتصار أعدائهم .

والمراد المُرجِف : الذي يبالغ في ذكر قوة العدو وكثرته ، وبعبارة أخرى يمدح العدو[1] بحيث يُؤدي إلى الخذلان والفشل وانهيار المعنويات في القوات الإسلامية .

استثمار مسموح للغنائم قبل التقسيم

هناك مواقف يجوز التصرف فيها بالغنائم قبل توزيعها وتقسيمها .

منها : يجوز للمقاتلين استخدام الأسلحة المغتنمة إن كانوا بحاجة لها ، أو كانت أحدث مما في أيديهم ؛ وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع) ذلك حيث قال :

« لا بأس بالإنتفاع بالغنائم في جهاد العدو ، إذا احتاج إليها المسلمون قبل التقسيم ، ثم يُرد إلى مكانها ، مثل السّلاح والدواب وغير ذلك »[2] .

ومنها : ما تقتضيه الضرورة من التصرف في الغنائم : كأكل الطعام ، وتناول

---

(١) شرح اللمعة ج ٢٦١/١ .

(٢) دعائم الإسلام ج ٣٨٢/١ .

الأدوية ، وإطعام الحيـوانات العلوفـة المغتنمة ، وغيـرها ويستـدل على ذلك بقـوله تعالى :

﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله ، إنّ الله ، غفور رحيم﴾(١) .

وكذلك يدلّ على ذلك خبر مسعدة بن صدقة ، عن الصـادق - (ع) - المشتمل على وصية النبي - (ص) - قال : قال رسول الله - (ص) .

« لا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ، لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه ، إلّا ما لا بُدَّ لكم من أكله»(٢).

وقد أقر النبي - (ص) - ذلك حيث نقل عبدالله بن أبي أوفى ، قال : « أصبنـا طعاماً يوم خيبر ، وكان الرجل يأخذ منه مقدار ما يكفيه ، ثم ينصرف »(٣) .

وبوسع الغزاة ألّا يدفعوا ثمن ما أكلوه إلى الحكومة الإسلامية أو بيت المال بعد توزيع الغنائم .

ومنها : يجوز لجند الإسلام أن يدمروا الغنائم التي حصلوا عليها فيما لو كانت كثيرة ولا يستطيعون نقلها إلى مكان آمن ، وقد عرفوا أن العدو يستعد للقيـام بعملية هجومية مضادة لاسترجاعها ، يستدل على ذلك بقول أمير المؤمنين - (ع) - :

« في الغنيمة لا يستطاع حملها ولا إخراجها من دار المشركين ، يتلف ويحرق المتاع والسلاح بالنار ، وتذبح الدواب والمواشي وتحرق بالنار ، ولا تعقر ، فإنّ العقر مثلةٌ شنيعة »(٤) .

الغنائم غير المنقولة « الأراضي »

لـلأراضي المغتنمـة من الأعـداء أحكـام خـاصـة من حيث التملك ، وجـواز التصرف فيها ، وحالات الأراضي أربع :

---

(١) سورة الأنفال : ٨/٦٩ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١١/٤٤/ح ٣ .

(٣) جواهر الكلام ج ٢١/١٤٩ نقلاً عن تيسير الوصول ج ١/٢٤٩ .

(٤) دعائم الإسلام ج ١/٣٨٣ .

الأولى : قد يُسلم العدو طوعاً ورغبة من دون قتال ، فتبقى الأرض لأهلها يتصرفون فيها كيفما يشاؤون ، كالمدينة المنورة والبحرين وبعض أطراف اليمن ، وليس عليهم شيء فيها سوى الزكاة[١] .

الثانية : في حال عقد اتفاقية من الحكومة الإسلامية والعدو تلحظ هذه الاتفاقية التي أمضاها إمام المسلمين أو نائبه مصير أراضي العدو وليس على العدو شيء إلّا ما صولح عليه[٢] .

الثالثة : أما الأراضي المعمورة التي أخذها المسلمون عنوةً بالقتال ، فهي للمسلمين قاطبة ، والغانمين في الجملة ، ويرجع أمرها إلى الإمام (ع) ، أو لنائبه الحق ، يأخذ بجباية الخراج « الضريبة » وفق ما يرى فيه المصلحة ، ويصرفه في المصالح العامة : كسدّ الثغور ، وتأسيس الطرق ، وإعانة الغزاة ، وبناء القناطر ، وغيرها من الأمور التي تعود المصلحة فيها على عامة المسلمين[٣] . وتُسمى هذه الأراضي بـ « المفتوحة عنوة » بفتح العين وسكون النون أي : الخضوع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم** ﴾[٤] .

والمراد هنا القهر والغلبة بالسيف .

الرابعة : أما الأراضي الموات التي لم يعمرها أحد ، أو عمرها ثم تركها مدة طويلة فأدىٰ ذلك إلى خرابها ، فهي تتعلق بالإمام ـ (ع) ـ فيعطيها لمن يريد ، وهي تملك بالإحياء والتعمير[٥] . وبهذا الحكم تتعلق كل الأرض الموات سواء فتحت عنوة أم بشكل آخر ، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة . منها :

عن حماد بن عيسى ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ أنه سمعه يقول :

« إنّ الأنفال ما كان من أرضٍ لم يكن فيها هراقة دم ، أو قوم صولحوا وأعطوا

---

(١) جواهر الكلام ج ٢١/١٧٥ و ١٧٧ .

(٢) جواهر الكلام ج ٢١/١٧١ .

(٣) جواهر الكلام ج ٢١/١٥٧ و ١٦٦ و ١٦٩ .

(٤) سورة طه : ٢٠/١١١ .

(٥) جواهر الكلام ح ٢١/١٧٥ ـ ١٧٨ .

بأيديهم ، وما كان من أرض خربة أو بطون أودية ، فهذا كلّه من الفيء والأنفال لله وللرسول ، فما كان لله فهو للرسول يضعه حيث يحب »[١] .

الغنائم المأخوذة من البغاة

لقد تقدم حكم الغنائم المأخوذة من الكفار والمشركين وكيفية تقسيمها ، وعلينا أن نتحدث هنا عن الحكم وكيفية توزيع الغنائم المأخوذة من البغاة ، الذين ناهضوا الحكومة الإسلامية وأعلنوا الحرب عليها ، ولكنهم فشلوا وتركوا معداتهم في ساحة الوغي . وفي الحقيقة إن ما يتركه البغاة يكون على قسمين :

قسم يتعلق بتنظيماتهم كالسلاح والمعدات والأموال والدفاتر وو . . .

وقسم آخر يتعلق بذات الشخص كلباسه وأحذيته ونقوده العائدة له .

فالقسم الأول يعتبر من الغنائم ، والأحكام فيه ، أحكام الغنائم عينها .

وأمّا القسم الثاني فيؤدي إلى ورثته ، وقد نصّ على ذلك أمير المؤمنين ـ (ع) ـ حيث قال :

« فأمّا ما أجلبوا عليكم به واستعانوا به على حربكم وَضَمَّه عسكرهم وحواه فهو لكم ، وأما ما في دورهم فهو ميراث ـ على فرائض الله تعالى ـ لذراريهم ، وعلى نسائهم العدة ، وليس لكم عليهنّ ولا على الذراري من سبيل[٢] .

قال الشيخ الطوسي في كتاب الخلاف : ما يحويه عسكر البغاة يجوز أخذه والانتفاع به ، ويكون غنيمة يقسم في المقاتلة ، وما لا يحويه لا يتعرض له ، واستدل على ذلك بإجماع الفرقة وأخبارهم ، كما استدل الآخرون مثل الحلبي وابن حمزة ، والفاضل في المختلف ، والكركي بسيرة علي بن أبي طالب ـ (ع) ـ ، حيث أمر برد أموال أصحاب الجمل ، فأخذت حتى القدور[٣] .

فعلى هذا الأساس ـ وفي أيامنا هذه ، عندما تنهض طائفة بوجه الحكومة

---

(١) وسائل الشيعة ح ٦/٣٦٧ ـ رقم الحديث ١٠ .

(٢) دعائم الإسلام ج ١/٣٩٥ .

(٣) جواهر الكلام ج ٢١/٣٤٠ .

الإسلامية كمنافقي خلق ، فالغنائم منهم تنقسم إلى قسمين كما مرّ في الخوارج ، فما يتعلق بتنظيماتهم فيلحق بالغنائم الحربية ، وأحكامه نفس أحكام الغنائم ، وأمّا ما يتعلق بالأشخاص فيؤدي إلى ورثتهم .

وفي نهاية الحديث علينا أن نذكر اختلاف الظروف التي تمر بها المقاتلون في أيام الرسالة عن الظروف التي يمر بها المقاتلون في أيامنا هذه ، حيث كان المقاتلون في أيام الرسالة هم الذين يتجهزون بالسلاح والخيل ، وما تحتاجه الحرب، وأمّا في يومنا هذا فالدولة الإسلامية هي التي تقوم بإعداد المقاتلين وتجهيزهم ، فلذلك يعود أمر الغنائم إلى وليّ الفقيه القائد العام في زمن الغيبة .

البحث الثامن والثلاثون

أسرى الحرب

تسفر الحرب عن إنتصار أحد طرفي الحرب . وأما جيش العدو فبين قتيل وجريح وفارٍ وأسير ، ونتعرض هنا لأسرى العدو من حيث تقديرهم والتعامل معهم ، والأحكام المتعلقة بهم .

أسرى العدو : هم المقاتلون ، أومن في حكمهم من جيش العدو ، الذين يقعون أحياء في قبضة الجيش الأسلامي[1] .

لا شك في ضرورة أسر الاعداء المستسلمين الأمر الذي يمليه واقع المعركة ، ويترتب عليه فوائد أخرى ؛ إذ لو ترك الأعداء بعد الهزيمة من دون أسر لرتّبوا قواتهم المهزومة مرة ثانية وشكلوا خطر الهجوم على القوات الإسلامية ، من جديد ، الأمر الذي يثير المتاعب والمشاكل لها . بل نزيد ربما يكون من الواجب أسر جنودالعدو للحصول على بعض المعلومات عن كيفية القوات ونوعية السلاح الذي في أيديهم ، والخطط المستقبلية عندهم ، حتى تحبط في مهدها . قال الله العظيم في كتابه :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يكونَ لَهُ أسرى حتى يُثخِنَ في الأرضِ ، تُريدونَ عَرَضَ الدنيا والله يريدُ الآخِرَةَ ، والله عَزيزٌ حكيم ﴾[2] .

---

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي/٤٢٩ .

(٢) سورة الأنفال ٨/٦٧ .

يستظهر من الآية الكريمة : القانون الأول في الحرب وهو عدم القبض على الأسير حينما تكون الحرب قائمة[١] ، في هذه الحالة لو أسر من الأعداء أشخاص يعود أمرهم إلى الإمام المعصوم أو الحاكم الإسلامي ، فهو مُخير في كيفية قتلهم ، كما صرح به في الحديث الشريف :

عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى . . . عن طلحة بن زيد قال : سمعت أبا عبدالله ـ (ع) ـ يقول : كان أبي يقول : إن للحرب حكمين إذا كانت الحرب قائمة ولم تضع أوزارها ، ولم يثخن أهلها ، فكل أسير أخذ في تلك الحال فإن الإمام فيه بالخيار إن شاء ضرب عنقه ، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم ، وتركه يتشحط في دمه حتى يموت[٢] ، وهو قول الله عزّ وجلّ :

﴿إنَّمَا جَزَاءُ الذينَ يُحَارِبونَ الله وَرَسولَهُ وَيَسْعَوْنَ في الأرضِ فَسَاداً أن يُقَتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وَأَرْجُلُهم مِنْ خِلَافٍ﴾[٣] .

فالأسير في هذه الحالة يكون محارباً لله ولرسوله وحكمه بَيِّنَ في الآية الكريمة الآنفة الذكر.

اما إذا اندحر العدو ، وحاقت به الهزيمة ، فيجوز للقوات الإسلامية عندئذٍ أن تأسر العدو ، ثم يرجع أمرهم إلى الإمام ـ (ع) ـ فهو مخير بين المنّ والفداء ، والاسترقاق .

والمقصود بالمّن : هو ان يطلق الإمام سراح الأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئاً[٤] . وأما الفداء . فهو أن يترك الإمام الأسير الكافر لقاء فدية من مالٍ ، أو اطلاق سراح أسير مسلم[٥] . وقد صرح القرآن الكريم بها حيث جاء فيه **﴿فإمَّا مَنًّا بعدُ وإمّا فِدَاءً﴾**[٦] .

وأمّا الاسترقاق : فهو أن يجعل الإمام الأسير الكافر مملوكاً للمسلمين ، وهو

---

(١) جواهر الكلام ج ١٢٢/٢١ .

(٢) وسائل الشيعة ج ٥٣/١١ ـ باب ٢٣ ـ .

(٣) سورة المائدة ٣٣/٥ .

(٤) و(٥) كتاب التفريقات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ص ٢٥٤ و١٧٢ .

(٦) سورة محمد (ص) ٤/٤٧

ثابت في السنة الشريفة ، وقد دلّت على ذلك منقولة أبي‌عبدالله ـ (ع) ـ عن أبيه[١] .

وبعبارة أخرى : إنّ الإمام مخيّر إن شاء مَنَّ على الأسرى فيطلق سراحهم ، وإن شاء فاداهم أنفسهم ، وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيداً . قال الله العظيم :

﴿ فإذا لَقِيتُم الذّينَ كَفروُا فَضرْبَ الرِّقَاب ، حتّى إذا أثْخَنْتُموهم فَشُدُّوا الوَثَاقَ فإمّا منّا بَعْدُ وإمّا فِدَاءً حتى تَضَعَ الحرْبُ أوْزارَهَا ﴾[٢] .

يضاف إلى ذلك ، ما جاءت به السيرة النبوية وسيرة القيادات المعّنية من قبل الرسول الكريم نضيفه دليلاً آخر . فقد أمر النبي ـ (ص) ـ بقتل عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث إثر معركة بدر[٣] ، وأمر بقتل عمر وعبدالله الجمحي « الشاعر الجاهلي » إثر معركة أحد[٤] ، وبني قريظة إثر حصارهم[٥] .

كما قدم بعض أسارى بدر الفداء[٦] ، والمتعلم المعسر منهم افتدى نفسه بتعليم عشرة من غلمان المدينة[٦] ، وفدى الأسيرين الذين أُسرا في سرية عبدالله بن جحش[٨] وثم تبادل الأسرى مع قريش بعد معاهدة صلح الحديبية[٩] .

وهكذا مَنَّ الرسول ـ (ص) ـ على المرأة التي قدمت المعلومات عن العدو بعد أسرها في ندب سرية زيد بن حارثة لتأديب بني سليم[١٠] .

فكانت نتيجة هذه المعاملة « المنّ أو الفداء » مع الأسرى أن يدخل أغلبهم في الإسلام رغبة منهم ، لما شاهدوا فيه من حسن المعاملة ومراعاة مكارم الأخلاق .

وقد بيّنت الشريعة السمحاء كيفية معاملة الأسرى بعد نقلهم خلف الخطوط ،

---

(١) وسائل الشيعة ج١١/٥٣ باب ٢٣ .
(٢) سورة محمد (ص) ٤٧/٤ .
(٣) الواقدي ج ١/١٣٨ ، ١٤٩ .
(٤) الواقدي ج ١/١٤٢ و ٣٠٩ .
(٥) الواقدي ج ٢/٥١٣ .
(٦) الواقدي ج ١/١٣٨ .
(٧) مسند بن حنبل ج ١/٢٤٧ .
(٨) الواقدي ج ١/١٦ = ابن هشام ٢/٢٥٥ .
(٩) الواقدي ج ٢/٦٠٤ .
(١٠) الكامل لابن الأثير ج ٢/٢٠٧

وأكدت على المسلمين أن يُعاملوا الأسرى معاملة تتصف بالرفق والرحمة والعناية والمحبة ، لاسيما النساء الأسيرات تبعا لسيرة رسول الله - (ص) - حيث إنّه (ص) لم يضرب الأسرى ولم يعذّبهم ، وإن لم يدلوا بمعلومات عن العدو ، بل إن رفقه ومحبته كفيلان بتحول العدو اللدود إلى صديق حميم. قال أبو عزيز، وكان صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث إثر إسارته بيد المسلمين :

كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز والتمر ، وما أكلوا حتى أكّلونا ، لوصية رسول الله - (ص) - إياهم بنا وما تقع في يد رجل منهم قطعة خبز إلا هب بها . قال : فاستحيي فأردها على أحدهم ، فيردها عليّ ما يمسها ويحتاج إليها (١) .

قال أمير المؤمنين - (ع) : « إطعامُ الأسير والإحسانُ إليه حق واجب وإن قَتَلْتَهُ من الغَد(٢) .

عن أبي عبدالله - (ع) - قال : « إنّ عليّاً - (ع) - كان يطعم من خَلَّدَ في السجن من بيت مال المسلمين »(٣) .

محمد بن يعقوب . . . عن زرارة ، عن أبي عبدالله - (ع) - قال :

« إطعام الأسير حق على من أسره ، وإن كان يراد من الغد قتله ، فإنه ينبغي أن يطعم ويسقى ويرفق به كافراً كان أو غيره »(٤) .

من هذه الروايات تبين لنا كيفية معاملة الأسرى بالرأفة والرحمة ، والجدير بالذكر ما أتى في تفسير الآية الكريمة وهي : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾(٥) . جاء في تفسير مجمع البيان والصافي العبارات التالية :

قد روى الخاص والعام أنّ هذه الآيات نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين - (ع) - وجارية لهم تسمى فضة ، وهو المرويّ عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح . لأنهم صاموا ثلاثة أيام صوم النذر ، ففي اليوم الأول عندما أرادوا أن يفطروا

---

(١) ابن هشام ج ٢/ ٣٠٠ .
(٢) وسائل الشيعة ج ١١/ص ٦٩ - رقم الحديث ٣ .
(٣) وسائل الشيعة ج ١١/ص ٦٩/باب ٣٢ .
(٤) وسائل الشيعة ح ١١/ص ٦٨ - باب ٣٢ .
(٥) سورة (الإنسان) أو (الدهر) أو (هل أتى) : ٨/٧٦ .

أتى مسكين فقال : رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله ؛ فقام علي (ع) فأعطاه طعامه ثم الأخرون ؛ فلما كان اليوم الثاني جاء يتيم فسأل فأطعموه جميعاً ، فلم يذوقوا إلا الماء ، فلما كان اليوم الثالث وبقي من الحنطة شيء يسير في بيتهم ، طحنته فاطمة ـ سلام الله عليها ـ واختبزته وقدمته إلى علي ـ (ع) ، فإذا بأسير بالباب ، وهو من المشركين يستطعم ، فأعطوه ، فحينئذٍ لم يذوقوا جميعاً إلا الماء . فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ هذه الآيات حيث مدح فيها أهل البيت ـ (ع) ـ لإيثارهم على أنفسهم[١] .

فعلينا أن نستفيد من هذه السيرة الحسنة في حياتنا ، وأن نعامل الأسرى بكل رفق ورحمة حتى يتعرفُوا على عظمة الإسلام فيتخذوه لهم ديناً .

أمّا في يومنا هذا فقد تحملت مسؤولية رعاية شؤون الأسرى جميعة الصليب الأحمر الدولي ، التي تأسست عام ١٨٦٤ ـ م ، وقد أقرت اثنتا عشرة دولة إتفاقية تحسين أوضاع الجرحى والأسرى ، ولكن مع التطور التقني وتطور صناعة الأسلحة في العالم ، واستخدام الأسلحة الكيميائية ، أصبح سكان المعمورة مهدّدين بخسائر فادحة ، كما وقع في الحرب العالمية الأولى والثانية ، الأمر الذي اضطرهم إلى إعادة التفكير بأسلوب جديد لحماية البشرية ، وقد تم الاتفاق على أربعة مواثيق في جنيف في ١٢/آب/١٩٤٩ . ميلادية :

١ ـ حماية الجرحى والمرضى من القوات المسلحة البرية ، بالإضافة إلى الهيئة الطبية .

٢ ـ الاهتمام بمعاملة الأسرى وتبادلهم ، بشكل انساني يحفظ لهم كرامتهم المعنوية والجسدية .

٣ ـ حماية المجموعات المسلحة من القوات البحرية .

٤ ـ حماية المصابين ، من المدنيين ، في الحرب .

وهناك بروتوكولان إضافيان في ٨/حزيران/١٩٧٧ ـ م . وقد شارك في هذه

(١) مجمع البيان ح ٤٠٥/٥ = الصافي ج ٢٦١/٥ والقصة طويلة ذكرتها معظم التبيان : فلتراجع في مظانها .

المواثيق ١٥٧ دولة في ٣٠/حـزيران/١٩٨٤ ، كمـا أن جمعية الصليب الأحمـر قد اقرَّت قانوناً لحماية الأسرى وتأمين اتصالهم بأسرهم ، إلاّ أنّ مسؤول الصليب الأحمر « ديويسن » كان وثيق العلاقة مع الرئيس الامريكي « ويلسون »[1] . فكان حلّ عمله بالتالي لصالح دول الاستكبار ، دون الاهتمام بالدول الصغيرة ، مما حدا بالكثير من دول العالم إلى عدم الاطمئنان لهذه الجمعية ، لعدم حيادها ، ونزاهتها .

(١) نقلاً عن الكتاب السنوي ١٩٨٥/١٦٧ = لا أعرف كيف أحول إلى الأجنبي المترجم من فرهنك معين ج ٥/١٠٣٠ .

البحث التاسع والثلاثون

الفرق بين استعباد الأسرى والرقيّة المذمومة

تقدمت في البحث السابق مشروعية أسر العدو في الحرب ، وكيفية التعامل معه ، لكن بعض المغرضين نقدوا : لماذا أقرّت الشريعة الإسلامية شراء العبد والأمة وبيعها ، ولماذا نفذت أحكاماً جزئية كما جاءت في الكتب الفقهية . ونحن نعلم أن الاسترقاق هو استثمار إنسان انساناً آخر ، وهو قبيح ؟!

وللرد على ذلك نقول :

أولاً : لقد كان شراء العبد والأمة أمراً طبيعياً في العصور الغابرة ، وعندما جاء الإسلام الحنيف وجد هذه العبادة مغروسة في نفوس الناس كأنها صارت طبيعة ثانوية لهم ، فالشارع المقدس رأى أن التخلص منها يحتاج إلى حركة تدريجية لكي تؤثر على نفوس الناس ، فلجأ إلى أساليب مختلفة من أجل إنهائها والقضاء عليها بصورة كاملة : ومن هذه الطرق ما صرحت به الآية الشريفة :

﴿ لا يؤاخِذكُمْ الله باللَّغْوِ في إيمانِكم . ولكنْ يؤاخِذكُمْ بِمَا عقَّدتُمُ للأيمانَ فكفَّارَتُه إطعامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ من أوسَطِ مَا تُطْعِمونَ أَهْليكم ، أو كسوتهم أوْ تحريرُ رَقَبَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثلاثةِ أيامٍ ، ذلك كفَّارَةُ أيمانكم إذا حَلَفْتم ، واحفَظُوا ايمَانكم ، كذلكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آياتِه ، لعَلَّكم تشكرون﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة ٥/٨٩ .

طرق مختلفة لتحرير العبد

فعلى هذا الأساس أفتى فقهاؤنا . بأنّه لو حلف إنسان على إتيان فعل أو ترك عادة سيئة كشرب الدخان ، ولكنه حنث بيمينه ، فكفارة الحنث أحد الأمور الثلاثة : إمّا أن يعتق رقبة ، أو يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم ، فإن لم يقدر فصيام ثلاثة أيام[١] . وهذه هي إحدى الصور للقضاء على الرّق .

معاملة الأسرى

لقد أكد الإسلام على حسن التعامل مع الأسرى كي يحسوا بعمقه ونبله ويتخذوه ديناً لهم في الحياة ، ومن هذه الأساليب :

١ ـ أباح الشرع للحاكم الإسلامي بالمنّ على الأسرى أو اطلاق سراحهم دون أن يأخذ منهم شيئاً ، يوجب تحريرهم وذلك لإجتذاب قلوب الأسرى وأسرِهم إلى الإسلام .

٢ ـ كما أباح له أخذ الفداء لاسيما إذا كان الجيش الإسلامي بحاجة إلى الأموال لانفاقها في مشاريع حيوية .

٣ ـ للحاكم الإسلامي الحق في ابقائهم في دار الإسلام بشكل يشبه الاقامة الجبرية ، في هذه الأيام ، فلا من ولا تبادل ولا فداء . وذلك حذراً من أن يرجعوا إلى قومهم فيشكلوا عندئذ خطراً على المسلمين جديداً .

وللمحافظة عليهم طرق ثلاثة وهي :

إمّا أن يوزعهم على المسلمين مجاناً ، أو يشتريهم من المسلمون خدماً لهم ، فينشئوهم فيما بينهم ، ويطبعوهم على الآداب والأخلاق الإسلامية ، وهذه الحالة هي الأفضل وليس معنى ذلك استثمار انسان لإنسان آخر ؛ وإما أن يتم تجميعهم في معسكر أو مخيم فتربيهم الحكومة الإسلامية ، وهذا ما يكلف أموالاً طائلة ، ويرتب على الحكومة الإسلامية أعباء ثقيلة تنوء بها لاسيما في زمن الحرب .

فهذا هو معنى تشريع القانون الجذري لتحرير العبيد وتحطيم الأغلال التي نشأت من العادات والتقاليد السيئة ، وقد صرح به القرآن الكريم حيث قال الله ـ

---

(١) تحرير الوسيلة ح ٢/١٠٢

سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلالَ التي كانَتْ عليهم ﴾[١] . . .

ثانياً: للرق قوانينه الخاصة ، كما نظمها الشرع الحنيف ، وهي تختلف اختلافاً جوهرياً . عن تلك التي تعرضها الأفلام الأجنبية من هجوم عصابة ، مثلاً ، على قرية ، وتنتهي العملية باسترقاق بعض أهلها وتعذيبهم ، وعرضهم في سوق النخاسة . الإسلام يرفض هذا الأسلوب العدواني رفضاً قاطعاً ، ويحكم باعادة هؤلاء إلى موطنهم ، مع احتفاظهم بكامل حقوقهم المالية والمعنوية .

ثالثاً: تطلق كلمة الأسير: على الذين أسر في الحرب ضد المسلمين إذاً هو معتدٍ وباغٍ على الآخرين ، فإذا أسره المسلمون وأخذوه فليمنعه من الظلم والتعدي على الآخرين ، المتضررين منه ضرراً بيِّناً . ومن ثم فاسترقاق الأسير لا يعني ، استثمار إنسان لإنسان آخر .

وتشكل السيرة النبوية الشريفة وسيرة المعصومين بالإضافة إلى هذه الأجوبة دليلاً آخر على حسن معاملة الأسرى، ونلاحظ ذلك من خلال نفسية عبيدهم المستقرة وغير المضطربة في بيوتهم ، سواء من تحرر منهم أو بقي في الرق عندهم .

وقد قرأنا في التاريخ أن الأئمة المعصومين ـ سلام الله عليهم ـ كانوا يجلسون لتناول الطعام مع أسراهم العبيد عندهم ، كانوا لديهم ، وكان يطعمونهم مما يطعمون ، ويلبسونهم مما يلبسون .

وها هوذا أمير المؤمنين ـ (ع) ـ يشتري لغلامه « قنبر » قميصاً أجود مما اشترى لنفسه ، فبهذه الأخلاق السامية ، أقبل بعضهم على الإسلام وتشرفوا به ، وكان عددهم كبيراً . وتأكيداً لما قدمنا نذكر أحاديث في هذا السبيل .

١ ـ قال رسول الله ـ (ص) : « ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت أنّه سيضرب له أجلاً يعتق فيه »[٢] .

٢ ـ عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال :

« من كان مؤمناً فقد عتق بعد سبْعَ سنِين أعتَقَهُ صاحبُه أم لم يُعتِقهُ ولا يَحل

(١) سورة الأعراف : ١٥٧/٧ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١٦/ باب ٤٣ ـ رقم الحديث ٣ .

خدمَةُ من كان مؤمناً بعد سبع سنين »[١] .

٣ ـ عن عون بن عبد الله ـ قال: كُسِيَ أَبُو ذَرّ بُـرْ دَيْن فائـتزر بأحدهما وارتـدى بشملةٍ ، وكسا غلامَهُ الآخَرَ وقال : سمعت رسول الله ـ (ص) ـ يقـول : « أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون[٢] .

نعم . لو كان الأسيـر من البغاة ، أي الـذين ناهضـوا الحكومـة الإسلاميـة ، وأبيدت تنظيماتهم بحيث لا يستطيعون أن ينظموا أنفسهم مرة أخرى ، فعلى الحاكم الإسلامي أن يحررهم بعد الحرب ، كمـا فعل أميـر المؤمنين ـ (ع) ـ مع أصحـاب الجمل بعد قتل طلحة بن عبيدالله ، والزبيـر بن العوام ، وابـادة تنظيمهمـا المشهور « بالناكثين» وإلاّ فيرجع الأمر في ذلك إلى الحاكم الإسلامي .

(١) وسائل الشيعة ج ١٦/باب ٣٣ ـ رقم الحديث ١ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١٦/باب ٢١/١٤ ـ رقم الحديث ٣ .

البحث الأربعون

الشهيد والشهادة

الشهيد اسم من اسماء الله ، والمراد به الذي لا يغيب عنه شيء .

والشهادة : هي عالم الحضور . جاء في الحديث : « مضيت للذي كنت عليه شهيداً ومستشهداً ومشهوداً » . أمّا المقصود بالشهيد : المعنى المعروف ، بالمستشهد : المطلوب منه « الشهادة » ، وبالمشهود : الذي يشهد قتله الخلائق والملائكة[1] .

والمراد هنا بالشهادة : التضحية ، والفداء ، والإيثار ، والقتل في سبيل الله .

فإن الشهيد يفدي نفسه لتحصيل رضوان الله ، كأنّه يبيع جسده لله لكي يحصّل ويحقق الأهداف الإسلامية ويرسمها بدمه ، ومن ثم فهو لا يجد لجسده أيّة قيمة ، وهو يتحمل المصائب والشدائد والتعذيب في سبيل الحق .

وبعبارة أخرى : الشهادة هي الموت ، الذي يستقبله الشهيد ويطلبه ويختاره ، بخلاف الآخرين ، الذين يطلبهم الموت ويُدركهم ويأخذهم وهو مفروض عليهم .

بناء على ما قدمناه : فالشهيد : هو من قتل في معركة أمر بها النبي ـ (ص) ـ أو الإمام المعصوم أو نائبها الخاص، أو قتل في جهاد مأمور به حال الغيبة ، كما لو هوجم المسلمون فجاهدوهم محافظة على بيضة الإسلام[2] .

---

(١) مجمع البحرين ج ٨١/٣ .

(٢) شرح اللمعة ج ٥٤/١ .

إن النبي - (ص) - . نطق بكلمة « الشهيد » ، وأطلقها على قتلى المسلمين في غزوة الأحزاب حيث قال :

« جراحكم في سبيل الله ومن قتل منكم فإنه شهيد »[١] .

ويطرح هنا سؤال ، لماذا سمي الشهيد شهيداً ؟

والجواب واضح مما تقدم ، ولكن العلماء ذكروا وجوهاً أخرى ينبغي ذكرها لأن فيها ملامح ولوامع ، قيل سميّ الشهيد شهيداً ، لأنّ ملائكة الرحمة تشهده ، فهو شهيد ، أي مشهود .

وقيل : لأنّ الله وملائكته شهود له في الجنة .

وقيل : لأنه ممن استُشْهِد يوم القيامة مع النبي - (ص) - على الأمم الخالية .

وقيل : لأنه لم يمت ، فكأنه شاهد أي حاضر ، أو لقيامه بشهادة الحق في الله حتى قتل ، لأنه يشهد مما أعدّ الله له من الكرامة إلى يوم القيامة ، ما لا يشهده غيره . والآية الكريمة التالية تؤيد أكثر المعاني المتقدمة لكلمة الشهيد : ﴿ **ولا تحَسَبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيل الله أَمَواتاً : بل أحياءُ عند ربِّهم يُرزَقون * فرِحينَ بما آتاهم الله مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبشِرونَ بالـذِّينَ لَم يَلْحَقُوا بِهم مِن خلْفِهم ، ألاّ خَوفٌ عليهِم ولا هُم يحزنون * يستبشرونَ بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأنّ الله لا يُضيع أَجْر المؤمِنين** ﴾[٢] .

قيمة الشهادة

الشهادة هي غاية الإيثار والفداء ، لأنَ المقاتل يُجسد حبه وعشقه لله ، وشجاعته في معركة القتال بالدم ، ويرسم عقائده الإسلامية بلون الدم ، ويثبت دعاويه بأوضح البراهين العملية ، حيث إنه يتعامل بما وعده الله من الفوز العظيم .

قال الله العظيم : ﴿ **إنّ الله اشترى من المؤمنينَ أنْفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهمُ الجَّنةَ ، يُقاتِلونَ في سبيلِ الله فَيَقتُلونَ وُيقتَلونَ وَعْداً عليهِ حَقاً في التوارة والإنجيل والقرآنِ ، ومَنْ أوفَى بعهدِهِ من الله ، فاستبشِروا بِبَيْعِكم الذي بَايَعْتُم به ، وذلكَ هُوَ الفَوزُ العَظيم** ﴾[٣] .

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢/٤٧٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣/١٦٩ - الى ١٧١ .

(٣) سورة التوبة ٩/١١١ .

تظهر قيمة الشهادة من الآية الكريمة حيث إن الله عزّ وجلّ هو المشتري والبائع : هو المؤمن المقاتل . والمبيع : هو المال والنفس حيث يكونان عزيزين عند كل شخص سوى المؤمن . والثمن : هو الجنة وهذا أمر أنزلت به الكتب السماوية من التوارة والإنجيل والقرآن .

الشهادة : هي تجارة عظيمة . مضمون ربحها من قبل الله لا خسارة فيها ولا بوار . قال الله العظيم : **يَا أَيُّها الذّين آمنوا هَلْ أَدُلكمُ على تجارةٍ تنجيكمْ من عذابٍ أليم ﴾**[١] .

التجارة هي :الجهاد والقتال في سبيل الله ،سواء أدّى ذلك إلى الشهادة أم لا .

الشهادة : سبب لغفران الذنوب كلها ويدل على ذلك قوله تعالى : **﴿ يَغْفِرْ لكُمْ ذنوبَكُمْ ، وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجري مِنْ تِحتها الأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَة في جنَّاتِ عدن ﴾**[٢] .

الشهيد : لا يغسل ولا يكفّن ، بل يصلى عليه ويدفن بثيابه مُرَمَّلاً بدمائه[٣] .

الشهداء : هم أكفاء للأنبياء كأنهم في رتبة واحدة . قال الله العظيم :

﴿ فأوُلئِكَ مع الذَّينَ أنْعَمَ الله عَلَيهم من النبِّيينَ والصديقين والشهداء ﴾، الذين بذلوا أرواحهم في طاعة الله ـ تعالى ـ وإعلاء كلمته **﴿ والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ﴾**[٤] .

وقد جاء في الأدعية الشريفة عن أهل البيت مما يماثل ذلك حيث روى الكليني في الكافي عن أبي بصير عن الصادق ـ (ع) ـ أنه كان يدعو بالكلمات التالية في كل يوم من شهر رمضان :

« اللهم إني بك ومنك أطلب حاجتي . . . وأسألك أن تجعل وفاتي قتلاً في سبيلك تحت راية نبيك مع أوليائك »[٥] .

---

(١) سورة الصف ٦١/١٠ .

(٢) سورة الصف ٦١/١٢ .

(٣) شرح اللمعة ج ١/٥٤ .

(٤) سورة النساء ٤/٦٩ ، تفسير أبي السعود ١ ـ و٢ ص ١٩٩ .

(٥) مفاتيح الجنان « المعرب » ص ١٧٧ ـ اعمال شهر رمضان العامة .

وأمثال هذه الأدعية كثيرة ، حيث نرى من خلالها أن الأئمة ـ (ع) ـ يطلبون من الله ـ عزّ وجلّ ـ الشهادة في سبيله .

فضل الشهادة والشهيد في الأحاديث

لقد بينت الأحاديث الشريفة قيمة الشهادة والشهيد ، وهي من الكثرة بحيث لا نستطيع أن نذكرها جميعاً ، بل سنقتصر على ايراد بعضها :

١ ـ عن عباس بن معروف ، عن أبي همام . . . عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه ـ عليهم السلام أنّ النبي ـ (ص) ـ قال :

« فوق كل ذي بَرٍ برٌّ ، حتى يقتل في سبيل الله ، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بِرّ »[1] .

٢ ـ عن ابن خالد . . . عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر ـ (ع) ـ يقول : قال رسول الله ـ (ص) ـ :

« ما من قطرة أحبّ إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ من قطرة دم في سبيل الله »[2] .

٣ ـ قال رسول الله ـ (ص) ـ :

« ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفعهم : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء »[3] .

٤ ـ محمد بن الحسن الطوسي . . . عن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن آبائه ـ (ع) ـ قال : قال رسول الله ـ (ص) ـ :

« للشهيد سبع خصال من الله ، أول قطرة من دمه : مغفور له كل ذنب ؛ والثانية : يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين ، وتمسحان الغبار عن وجهه ، وتقولان : مرحباً بك ، ويقول هو مثل ذلك لهما ؛ والثالثة : يكسى من كسوة الجنة ؛ والرابعة : تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه ؛ والخامسة : أن يرى منزله ؛ والسادسة : يقال لروحه : اسرح في الجنة حيث شئت ؛ والسابعة : أن ينظر

(١) وسائل التبيعة ح ١١/ص ١٠ ح ٢١ .
(٢) وسائل التبيعة ج ١١/ ص ٨ ح ١١ .
(٣) سفينة البحار ج ١/ ٧٢٠ .

في وجه الله ، وإنها لراحة لكل نبيّ وشهيد »[١] .

نعم ، هذا كله للذي يكون عمله لله مخلصاً لا لغيره ، ولو أشرك معه شيء آخر كالهوى لم يَوفّق للوصول إلى مرتبة الشهادة ، لأنّ الله عز وجل يقول :

﴿ إنّما يَتَقَبّلُ الله من المتقين ﴾[٢] .

والجدير بالذكر ما قال مولى الموحدين أمير المؤمنين (ع) :

« أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة . . . رجل قتل في سبيل الله فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ ماذا صنعت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد . فقاتلت في سبيلك حتى قتلت . فيقول الله ـ عز وجل ـ كذبت ، وتقول له الملائكة ، كذبت ، بل أردت أن يقال : فلان شجاع ـ ألاّ فقد قيل ذلك »[٣] .

عائلات الشهداء وأيتامهم

على الدولة الإسلامية أن تهتم بعائلات الشهداء ، لأنّ هؤلاء قدموا أنفسهم فداء للإسلام ولإعلاء كلمة الحق ، لذا ، فمن واجب المسلمين أن يكرموا شهداءهم فيكون بذلك تشجيع غيرهم فيقدموا على التضحية والدفاع عن الإسلام ، ويتم ذلك من خلال اشكال متعددة ، منها :

أولاً : المحافظة على أعراضهم ، والإنفاق عليهم ، وإكراهم واحترامهم ، حتى يشعروا بأنّ الدولة والحاكم الإسلامي يقدران دماء أبنائهم ، ويقدران مواقفهم الشريفة ، وهذا مما يؤدي بهم وبغيرهم إلى أن يدفعوا أبناءهم للدفاع عن الإسلام .

وقد التفت الإمام الحسن بن علي ـ (ع) ـ وألح على هذا الموضوع في الاتفاقية ، حيث إنّه فرض على معاوية دفع الحقوق لأسر الشهداء ، وهذا ما نص عليه أحد بنود الإتفاقية الموقعة بينهما ، وفي ما يلي نص هذا البند :

المادة الرابعة : استثناء ما في بيت مال الكوفة ، وهو خمسة الآف ألف ، فلا

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١/ص ٩ /ح ٢٠ .
(٢) سورة المائدة : ٥/٢٧ .
(٣) المحجة البيضاء ج ٨/١٢٦ .

يشمله تسليم الأمر ، على أن يحمل معاوية إلى الحسين كل عام ألفي ألف درهم ، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس ، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين (ع) يوم الجمل ، وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم ، وأن يجعل ذلك من خراج دار الجرد(١) .

ثانياً : على الدولة الإسلامية والحاكم الإسلامي أن يرفعا معنويات عائلات الشهداء لكي يشيعوا أهداف المجاهدين ، وعلى الحاكم الإسلامي - من حيث إنه وليهم أن يتعامل معهم فيتأسون ، لاسيما في الأمور الثقافية والاقتصادية ، ومن ثم أفتى فقهاؤنا « رضوان الله عليهم » وقالوا : ينبغي للإمام - (ع) - أن يلحظ ذرية المجاهدين ويدرّ عليهم النفقة بعد موت آبائهم إلى أن يبلغوا ، فيكونوا من المرصدين للجهاد ، أو من غيرهم فيجري على كل حكمه(٢) .

الملحقون بالشهداء من حيث الأجر والثواب

تبين مما تقدم أن لقب الشهيد يطلق على من خرَّ صريعاً في المعركة مع أعداء الله تعالى ، فالتحق بربه دفاعاً عن الإسلام والمسلمين .

ولكن هناك من له أجر الشهيد وإن لم يقتل ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، وإليك طرفاً منها :

أ - طالب العلم : قال رسول الله - (ص) - : « إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً »(٣) .

ب - المدافع عن ماله : عن الصادق (ع) : « من قتل دون ماله فهو شهيد »(٤) .

ج - فضل الطهارة : قال رسول الله - (ص) - : « يا أنس ، أكثر من الطهور يزد الله في عمرك ، وإن استطعت أن تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل ، فإنك تكون

(١) صلح الحسن / ٢٦٠ « المؤلف : السيد عبد الحسين شرف الدين » نقلاً عن الطبري وعلل الشرائع و . . .

(٢) جواهر الكلام ج٢١/٢١٧ .

(٣)(٤) سفينة البحار ج ١/ ٧٢٠ .

إذا متّ على طهارة شهيداً »(١) .

د ـ **طالب الشهادة** : عن النبي (ص) : من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه »(٢) .

هـ ـ **العلماء الشهداء** : أطلق العلماء ـ رضوان الله عليهم ـ على (محمد بن مكي بن محمد العاملي الجزيني) لقب الشهيد الأول ، وكذلك على (زين الدين بن نور الدين) ـ الشهيد الثاني ، مع أن الأول قتل في قلعة الشام في السجن ، ثم أحرق جسدُه . والثاني : حبس في مكة المكرمة ، ثم أقتفي أثره على طريق البحر إلى القسطنطينية ، فقتل بأمر السلطان والقاضي بحجة أنه كان صاحب البدع ، وبقي جسده الشريف مطروحاً ثلاثة أيام ، على ساحل بحر الروم(٣) . ثم ألقاه في اليم .

والأمر نفسه يقال عن الكثير من علماء الدين الذين قضوا في الدفاع عن الحق والفضيلة ، وشريعة الله . وهنالك كتاب (شهداء الفضيلة)(٤) الذي يتناول هذا الأمر ، بالتفصيل،فقد قال رسول الله (ص) :

« إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء »(٣) .

والمقصود بهذا الحديث الشريف ما لأهمية مداد العلماء في نشر الوعي والثقافة ، مما يدفع المؤمن الواعي إلى طلب الشهادة من أجل إعلاء كلمة الحق .

---

(١)(٢) سفينة البحار ج ١/ ٧٢٠ .

(٣) سفينة البحار ج ١/ ٤ ـ ٧٢١ .

(٤) المؤلف : الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره

(٥) بحار الأنوار ج ٢/ ١٦

البحث الحادي والأربعون

الهدنة

لم يشرع الشارع الحرب ـ على كراهيتها ـ إلاّ لأجل رفع كلمة الحق عالياً ، أو دفع هجوم الأعداء . قال الله العظيم :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ وهوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيئاً وَهوَ خَيرٌ لكم ﴾[1] .

فالسلم هو الأصل ، والهدنة أحد مصاديقه ، لأن الهدنة هي : وقف إطلاق النار بين المسلمين والكفار ، أو بين المتحاربين . يقال : هدنت الرجل وأهدنته إذا سكنته ، وبعبارة أخرى : المهادنة هي المعاقدة على ترك الحرب مدة معلومة بغير عوض ، وتقديرها بيد إمام المسلمين[2] .

فعلى هذا الأساس يجوز في الشريعة الإسلامية وقف اطلاق النار إذا اقترح من قبل العدو وتوفرت شرائطه . قال الله العظيم :

﴿ وإنْ جَنَحُوا لِلسَّلْم فَاجْنَح لَها وَتَوَكَّلْ على الله وَهُوَ السَّميعُ العَليم ﴾[3] .

ويؤيد ذلك ما كتبه أمير المؤمنين (ع) إلى مالك الأشتر :

---

(١) سورة البقرة ٢/٢١٦ .

(٢) مجمع البحرين ج ٦/٣٢٨ .

(٣) سورة الأنفال ٨/٦١ .

« ولا تـدفعن صلحاً دعـاك إليه عـدوك ولله فيه رضى ، فـإنّ في الصلح دعـة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك »[١] .

نعم ، إنّ قبول الهدنة من قبل المسلمين ليس أمراً هيناً ، وخاصة بعد استمرار الحـرب سنـوات طـويلة ، وتقـديم التضحيـات الكثيـرة ، ولكن مصلحـة الإسـلام والمسلمين أهم وأعظم من كل ذلك ، فلأجلها وافق زعيم الثورة الإسلامية « قـدس سره » على الهدنة بعد تسع سنوات من الحرب المفروضة الاميركية .

وهذا ما حدث في زمن الرسالة ، حيث إن الرسول الكريم ـ (ص) ـ وافق على الهدنة والمصـالحة في الحـديبية ، وكـان ممثل المسلمين فيهـا النبي الأعظم (ص) وممثل قريش « سهيل بن عمرو » .

فهما قد أوقفا الحرب عشر سنين بالـرغم من أن ذلك أدى إلى انشقـاق بعض القبائل ، آنذاك ، حيث قامت خـزاعة ونـادت : نحن في عقد محمـد وعهده ، في الحرب أو في الهدنة ، ثم قامت بنو بكر فصرخوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، فإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة .

كما أن هذه الهدنة قبلها بعض الصحابة بالصعوبة ، وصبروا عليها ، وتجشموا مشاقها ، وتحملوا تبعاتها لأن الرسول (ص) وافق على عقدها ، وهذا ما نلاحظ من قوله (ص) لأبي جندل :

« اصبـر واحتسـب ، فإن الله جـاعل لـك ولمن معك من المستضعفين فـرجاً ومخرجاً ، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهـد الله ، وإنّا لا نغدر بهم »[٢] .

فلما انصرف رسول الله (ص) مع قافلته من ذلك المكان ، ووصلوا إلى ما بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح :

إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً* ليغفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدمَ من ذَنبِكَ وَمَا تأَخَّر ، ويَتمَّ نِعمَتهُ

---

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣٣٣/٣ .

عليك ويهديكَ صِرَاطاً مستقيماً * وينصرَكَ الله نَصْراً عَزيزاً ﴾[١] .

ومن ثم مدح الله ـ عز وجل ـ المسلمين الذين تحملوا وقبلوا المهادنة ، وذم من تولّى عنها بقوله ـ عزّ من قائل :

﴿ إنّ الذِينَ يُبايِعونَكَ إنّما يُبَايعون الله ، يَدُ الله فَوقَ أيدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فإنّما يَنكُثُ على نفسِهِ ومَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عليهُ الله ، فَسَيُؤتيهِ أَجْراً عظيماً ﴾[٢] .

والجدير بالذكر ما ترتَّب عليها من البركات . قال ابن إسحاق : دخل في الإسلام خلال سنتين بعد الحديبية أكثر ممن آمن قبلها ، ثم قال : يدل عليه قول الزهري : إن رسول الله (ص) خرج إلى حديبية في ألف وأربعمائة ، في قول جابر بن عبدالله . ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف[٣] .

كما صالح النبي ـ (ص) ـ أهل نجران على أن يدفعوا ألفي حلة : ألفاً في شهر صفر ، وألفاً في رجب المرجب[٤] .

أقوال الفقهاء : على هذا الأساس أفتى فقهاؤنا ـ رضوان الله عليهم ـ بجواز المهادنة ، وهذا بعضها :

١ ـ قال المحقق في الشرايع : الخامسة في المهادنة . . . وهي جائزة إذا تضمنت مصلحة للمسلمين ، إمّا لقلتهم عن المقاومة ، أو لما يحصل به الاستظهار ، أو لرجاء الدخول في الإسلام مع التربص ، ومتى ارتفع ذلك وكان في المسلمين قوة على الخصم لم يجز[٥] .

٢ ـ قال كاشف الغطاء في (كشف الغطاء) : وليس لغير الإمام أو نائبه الخاص أو العام أو الأمراء والحكام مع عدم قيام من تقدم المهادنة ، لأن سائر الرعية لا يرجع إليهم أمر الحرب[٦] .

---

(١) سورة الفتح ٤٨/١ ـ ٣ .

(٢) سورة الفتح ٤٨/١٠ .

(٣)(٤) سيرة ابن هشام ج ٣/٣٣٧ .

(٥) شرائع الإسلام ج ١/٣٣٢ ، طبعة حديثة .

(٦) كشف الغطاء ٣٣٩ .

٣ ـ قال العلامة في (التذكرة) : يجوز للإمام عقد الصلح إجماعاً ، لأن أمور الحرب موكولة إليه(١) .

وينبغي أن أذكر هنا ما تفضل به الإمام القائد حول قبول القرار ٥٩٨ الصادر عن الأمم المتحدة في الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية ، إذ هو هدنة وقبول لوقف إطلاق النار . قال الإمام الخميني ـ قدس الله سره الشريف ـ :

٤ ـ وأمّا بشأن الموافقة على القرار الدولي التي كانت حقا مسألة مُرّة وكريهة جداً للجميع ، وبخاصة لي أنا ، فإنني حتى أيام قليلة خلت ، كنت أرى الالتزام بالنهج السابق نفسه في الدفاع وفي المواقف المعلنة في الحرب ، وكنت أرى مصلحة الجيش والوطن والثورة في تنفيذها والعمل بها ، ولكنني بسبب حوادث وعوامل أمتنع الآن عن ذكرها ، وستتضح في المستقبل بإذن الله ، وأخذاً بآراء الخبراء السياسيين والعسكريين ذوي المستوى الرفيع في الوطن ، ممن أثق بالتزامهم وإخلاصهم وصدقهم ، وافقت على القرار الدولي وعلى وقف النار ، وأرى ذلك في هذه المرحلة مصلحة للثورة وللجيش .

والله يعلم إنه لولا وجود الدافع الذي يقضي بأن تكون أنفسنا وعزتنا واحترامنا فداء لمسيرة مصلحة الإسلام والمسلمين ، لما كنت رضيت أبداً بهذا العمل . . . إني أقول مرة أخرى : إن قبول هذا القرار بالنسبة إليّ أكثر من السم قتلاً ولكنني راضي برضاء الله ، ومن أجل رضائه شربت هذه الجرعة . أما الأمر الذي يجدر ذكره بشأن الموافقة على القرار الدولي فهو أن مسؤولي الوطن ، هم الذين اتخذوا قرار الموافقة بأنفسهم ، ولم يكن لأحد أو دولة دور في هذا الأمر(٢) .

شروط المهادنة « وقف إطلاق النار »

١ ـ مراعاة مصلحة المسلمين : إن علماء المسلمين قد أفتوا بجواز المهادنة مع

(١) التذكرة ج ١ /٤٤ .

(٢) من خطاب إمام الأمة إلى الضمائر الحية بمناسبة مرور عام على مجزرة مكة والمواقف الجديدة في الحرب المفروضة ـ التاريخ ٥ من ذي الحجة الحرام ١٤٠٨ هـ الموافق ١٣٦٧/٤/٢٩ .

الأعداء إذا كان فيها مصلحة للمسلمين ، كأن يكون عددهم قليلاً ؛ أو إمكانياتهم لا تسمح لهم بمواصلة الحرب واستمرارها .

٢ ـ ألا يكون العدو قاصداً لخديعة : قد يعرض العدو الهدنة على المسلمين كي توقف الإنهيار في قواته ويستغل الفرصة لذلك فيشن هجومه على المسلمين مرة أخرى ، بعد تنظيم هذه القوات . وهذا ما حدث في حرب صفين حينما اقترح معاوية على الإمام علي (ع) ، ولكن تلك الخدعة لم تنطو على الإمام ـ (ع) ـ وإن انطوت على بعض أصحابه ، وهذا ما نلاحظه من خلال حديث عمر بن سعد حيث قال :

لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن ، قال علي ـ (ع) ـ : عباد الله إني أحقّ من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية ، وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ، إنها كلمة حق يراد « بها الباطل . إنهم والله ما رفعوها إنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة ، والوهن والمكيدة ، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا ، فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح ، سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسوّدت جباههم من السجود يتقدمهم مسعد بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين :

يا علي : أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيتَ إليه ، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم .

فقال لهم : ويحكم ، أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب إليه ، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدْعي إلى كتاب الله فلا أقبله ، إنّي إنما اقاتلهم . ليدينوا بحكم القرآن ، فإنهم قد عصوا الله في ما أمرهم ، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون .

قالوا : « فابعث إلى الأشتر ليأتيك ، وقد كان الأشتر صبيحة ليل الهرير قد

أشرف على عسكر معاوية ليدخله »[١] .

وقد نبه القرآن الكريم إلى وجوب الحذر من مكائد العدو وخدعه ، حيث جاء فيه :

﴿ وإنّ يُريدوُا أنْ يَخْدعُوكَ فإنّ حَسْبَكَ الله هُو الله أيدكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنينَ ﴾[٢] .

وقال أمير المؤمنين ـ (ع) :

« ولكن الحذر كُلّ الحَذرِ من عَدوِكَ بَعْدَ صُلْحِه ، فإنّ العدوَ رُبمَا قارَبَ لِيَتَغَّفَلَ ، فَخُذْ بِالحَزمِ وَاتَّهِمْ في ذلِكَ حُسْنَ الظن »[٣] .

بناءً على ما مضى فاذا نوى العدو الخدعة ، وظهر من افعاله ونشاطاته خيانة ، فيحق للمسلمين عندئذ فسخ عقد الهدنة ، قال الله العظيم :

﴿ وإمّا تَخافَنّ مِنْ قَوْمٍ خِيانةً فانْبِذْ إليْهِمْ عَلى سِواءٍ ، إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين ﴾[٤] .

٣ ـ أن لا يشترط في المهادنة أمور منافية لكرامة المسلمين وعزتهم ، كرد النساء المسلمات المهاجرات إلى الكفار .

٤ ـ الوفاء بالشروط المذكورة في العقد ، جميعها ، دون استثناء كما قام به الرسول ـ (ص) ـ في الحديبية . إنّ الله . . . عزّ وجلّ ـ أمرنا بالوفاء حيث يقول :

﴿ فما استَقاموا لَكُمْ فاستَقيمُوا لَهم إنّ الله يَحِبُّ المتقين ﴾[٥] .

مضافاً إلى ما سبق ان الوفاء بالعهد من الأمور المتفق عليها بين الناس ، وأنهم يهتمونَ به ويعدّون من ينقضه خائناً ، وقد صرح أمير المؤمنين ـ (ع) ـ بذلك في رسالته إلى مالك الأشتر حيث جاء فيها :

---

(١) وقعة صفين/ ٤٨٩ .

(٢) سورة الأنفال ٦٢/٨ .

(٣) نهج البلاغة/ الرسالة ٥٣ .

(٤) سورة الأنفال ٥٨/٨ .

(٥) سورة التوبة ٧/٩ .

« وإن عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عدوِكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالوَفاءِ ، وارْعَ ذِمَّتكَ بالأمٰانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دوُنَ مٰا أَعْطَيْتَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرائِضِ الله شَيءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ إجْتِماعاً مَعَ تَفَرقِ أَهْوائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الوَفاءِ بِالعُهُودِ »(١) .

---

(١) نهج البلاغة . الرسالة ٥٣ .

البحث الثاني والأربعون

جهاد النفس

جهاد النفس ، ومن الأمور الهامة في تربية الإنسان ، وتخلقه بالأخلاق الحميدة ، للوصول إلى قمة الكمال والشرف والسعادة الأبدية .

جاء في كتب اللغة : جهاد النفس ، هو قهرها ، وبعثها على الالتزام بالأوامر الإلّهية ، واجتناب المنهيّات ، ومراقبة مضي الأوقات ، والمحاسبة على ما ربحته وخسرته في دار المعاملة من السعادات .

قال الله العظيم : ﴿ **قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها** ﴾[1] .

ويقصد هنا بالنفس ، النفسُ الأمارة[2] ، وهي التي تميل وتنتمي إلى الطبيعة البدنية ، وتأمر باللذات والشهوات الحسّية ، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، فهي مأوى الشرور ومنبع القبائح والأخلاق الذميمة ، التي تسوق الإنسان إلى اللوام والدناءة[3] .

---

(١) سورة الشمس ٩١/ ٩و١٠ .

(٢) و(٣) مجمع البحرين ٣/٣٢ ـ أيضاً جاء في ج ٤/١١٥ ـ للنفس خمس مراتب باعتبار صفاتها المذكورة في القرآن الكريم .

الأولى : الأمارة بالسوء وهي التي تمشي على وجهها تابعة لهواها ، قال الله العظيم ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي** ﴾ .

الثانية : اللوامة : هي التي لا تزال تلوم نفسها على تقصيرها في التعدي في الدنيا والآخرة ـ قال الله العظيم : ﴿ **لا أقسم بالنفس اللوامة . . .** ﴾ . =

فجهاد النفس ، اذاً ، مبدأ أساسي لتحقيق الخير وترك المنهيات ، وتحمل المصائب والشدائد ، ومن ثم فعندما يجاهد المسلم نفسه يصبح مقاوماً تجاه الأعداء كي يرفع لواء الحق عالياً ، حيث إنّ من جهاد النفس تنبع التضحية والفداء في سبيل الإسلام ، وهو يدفع المسلم لبذل دمائه الزكية في سبيل الله ، انها بمنزلة الماء تروي شجرة الإسلام . ونظراً لأهمية جهاد النفس علينا أن نلفت نظر الجميع إلى أن المفاسد في العالم ترجع كلها إلى النفوس الخبيثة ، وتلبية طلباتها ، حيث أنّ والتشبه بها ، وذلك سبب للكوارث العظيمة ، والبأساء والضراء والحروب العالمية الشاملة ، المفروضة على المستضعفين ، مع قتل مئات الآلاف منهم ، وتشريد الملايين . كما انها وراء الفقر العالمي ، بحيث يموت كل يوم عشرة آلاف إنسان جوعاً . يتم هذا كله ، بينما تنهب شرذمة قليلة من المترفين والمستكبرين والمنحرفين ، ثروات الشعوب، لصرفها في تصنيع الأسلحة المبيدة للحرث والنسل والصد عن سبيل الله واتخاذ الباطل سبيلاً ، يحققون بذلك مآربهم ، ويشبعون رغائبهم ويقهرون المستضعفين ، ويزيفون اراداتهم ، ويقلبون الحقائق والمفاهيم ! . . .

فلو جاهد الناس أنفسهم وزكوها وأدبوها وفق الموازين العقلية ، لما تعرضوا لمثل هذه الويلات والكوارث ، ولم يكن بينهم فقير أو مسكين أو مشرد.

إنّ الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أُرسلوا بالبينات والكتب إلى البشرية لكي يُعلّموا الإنسان ويزكوه ويربوه وفق نهج صحيح . قال الله العظيم :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فيكُمْ رَسولاً منكم ، يَتْلُوا عليكم آياتِنا ويزكّيكم ويُعلمكم الكِتَابَ والحِكْمَةَ ، وَيُعَلِّمكم مَا لم تكونوا تعلمون﴾(١) .

بالإضافة إلى آيات أخر ، في سورة البقرة ؛ وغيرها ٢/١٢٩ ، ٣/١٦٤ ، ٦٢/٢ .

ولأهمية جهاد النفس فإنّ النبي ـ (ص) ـ عبّر عنه بالجهاد الأكبر ، وعن الجهاد

= الثالثة : المطمئنة . هي الآمنة التي لا يستفزّها خوف ولا حزن قال الله : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ﴾ .
ـ الرابعة : الراضية . التي رضيت بما أرتيت « شدة » .
الخامسة : المرضية : وهي التي رضي منها .

(١) سورة البقرة ٢/١٥١ .

ضد الأعداء بالجهاد الأصغر ، حيث بعث سرية ، فلما رجعوا ، قال : استعدوا للجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس . ورد في الحديث :

محمد بن يعقوب : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله (ع) :

« إنّ النبي - (ص) - بعث سرِّيةً فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قَضوا الجهاد الأصغر ، وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، فقيل : يا رسول الله - (ص) - ما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس »[1] .

وجاء في حديث آخر : « المجاهد من جاهد نفسه »[2] .

كما نقل أيضاً عن أمير المؤمنين - (ع) - مثل ما نقل عن أبي عبدالله (ع) ، إلا أنّه زاد في آخر الحديث .

« أنّ أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه »[3] .

والجدير بالذكر ما نقل عن أبي عبدالله - (ع) - من لزوم جهاد النفس وهو : بإسناده عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر قال : قال الصادق جعفر بن محمد (ع) :

« من لم يكن له واعظ من قلبه ، وزاجر من نفسه ، ولم يكن له قرين مرشد ، استمكن عدوّه من عنقه »[4] .

الوقاية من انحراف النفس

كما أنه من الواجب علينا أن نعرف تقنية العدو ، ومعداته ، كمّاً وكيفاً قبل مهاجمته ، مع الالتفات إلى جميع جوانبه ، كذلك ، علينا معرفة النفس ، والبواعث التي تضللها ، وتسوقها إلى التخلي عن المبادىء الإنسانية ، والخضوع للشيطان ؛ وقد عرّف القرآن الكريم الشيطان بأنه عدو للإنسان ، وهو سبب غوايته وضلالته ، قال الله العظيم :

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١/١٢٢ - ح ١

(٢) وسائل الشيعة ح ١١/ ١٢٤ - ح ١٠ .

(٣) وسائل الشيعة ج ١١/١٢٤ - ح ٩ .

(٤) وسائل الشيعة ج ١١/ ١٢٣ - ح ٦ .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لكم عَدوٌّ مبين * وأن عبُدُوني هَذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ * ولقد أضلَّ منكم جِبلاً كثيراً ، أفلم تكونوا تَعْقِلُونَ ﴾[١] .

وقد أقسم الشيطان على إضلال الناس وإغوائهم قال :
﴿ فَبِعزتك لأغوِيَنّهم أجمعينَ * إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصين ﴾[٢] .

ومن ثم لم يتوقف لحظة واحدة بل راح يُضلُّ الناس بالبواعث العديدة من الشهوات واللذات ، وهي من أعظم حبائله ومصائده لبني الإنسان ، حيث يرغب الإنسان في المفاسد ، ويمنيه ويعده غروراً .

قال الإمام أمير المؤمنين - (ع) - : « الشَهّواتُ مَصائدُ الشيطان »[٣] .

فعلى الإنسان أن يراقب نفسه ويحاسبها كي لا تنحرف عن طريق الحق والصواب ومن الأمور التي يجب عليه أن يحترس منها : متابعة النفس وطول الأمل ؛ قال أمير المؤمنين (ع) :
« إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخافُ عَلَيْكم إثنان : اتّباعُ الهَوىٰ ، وَطُولُ الأملِ »[٤] .

وهما من النزعات النفسانية الأساسية بحيث عبَّر الإمام (ع) عن خطرهما بصيغة أفعل التَفضيل فقال : إنَّ أخوفَ مَا أخاف . . . هذه البواعث تسبب أن ينحرف الإنسان عن الفطرة السليمة إلى مأزق الضلالة ، فيسدر في غيه ، ويتيه في ضلاله ، وتغلق عليه أبواب الرحمة والمغفرة وتسد بوجهه منافذ الخلاص ، وفيها وردت روايات كثيرة في المعاصي والذنوب ، لاسيما الذنوب الكبيرة[٥] . نذكر هنا جملة منها :

---

(١) سورة يس ٣٦/ ٦٠ - ٦٢ .
(٢) سورة - ص ٣٨/ ٨٢ و ٨٣ .
(٣) غرر الحكم ج ٢/ ١٤٣
(٤) نهج البلاغة الخطبة ٤٢ .
(٥) اختلف العلماء في معنى الكبائر ، فقيل : هي كل ذنب توعد الله عليه بالعقاب في الكتاب العزيز ، وقيل : هي كل ذنب رتب الشارع عليه حدّاً أو صرح فيه بالوعيد وقيل : كل معصية تؤذن بتهاون فاعلها بالدين ، وقيل : كل ذنب علم حرمته. بدليل قاطع ، وقيل : كل ما عليه توعد شديد في الكتاب والسنة . . . قال الشيخ أبو علي ابن سينا : قال أصحابنا : المعاصي كلها كبائر ، ولكن بعضها أكبر من =

١ ـ عن الفضل بن شاذان عن الرضا (ع) في كتابه إلى المأمون قال :
« الإيمانُ هو أداءُ الأمانَةِ واجْتِنابُ جَميع الكبائر ، وَهوَ مَعْرفةٌ بالقلب ، واقرارٌ باللسان وعمل بالأركان « إلى أن قال » : واجتناب الكبائر ، وهي قتل النفس التي حرّم الله تعالى ، والزنى ، والسرقة ، وشرب الخمرة وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهِلّ لغير الله به من غير ضرورة ، وأكل الربا بعد البيّنة ، والسحت والميسر وهو القمار ، والبخس في المكيال والميزان ، وقذف المحصنات ، والزنى واللواط ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ، ومعونة الظالمين ، والركون إليهم ، واليمين الغموس ، وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب والكبر ، والإسراف والتبذير ، والخيانة والاستخفاف بالحج ، والمحاربة لأولياء الله ، والاشتغال بالملاهي ، والإصرار على الذنوب » .

رواه ابن شعبة في « تحف العقول » مرسلاً مع اختلاف يسير(١) .

عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني قال : حدثني أبو جعفر الثاني (ع) يقول : دخل عمرو بن عبيد على أبي عبدالله ـ (ع) ـ فلما سلم وجلس تلا هذه الآية : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ .

ثم أمسك ، فقال له أبو عبدالله ـ (ع) ـ ما أسكتك ؟ قال : أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ فقال : نعم ، يا عمرو ، أكبر الكبائر الإشراك بالله . يقول الله : ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فَقَدْ حَرَّم الله عليهِ الجنّة** ﴾ . وبعده اليأس من روح الله ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **لا يَيْأسُ مِنْ رَوْحِ الله إلاّ القَوْمُ الكَافِرونَ** ﴾ .

ثم الأمن من مكر الله ، لأنّ الله ، عزّ وجلّ يقول : ﴿ **وَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله إلاّ القَوْمُ الخَاسِرونَ** ﴾ .

ومنها عقوق الوالدين ، لأنّ الله سبحانه جعل العاق جباراً شقياً ، وقتل النفس

= بعض ، وليس في الذنوب صغيرة ، وإنما تكون صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر ، ويستحق العقاب عليه أكثر . مجمع البحرين ج ٣/ ٤٦٦ .

(١) وسائل الشيعة ج ١١/ ٢٦٠ ح ٣٣ .

التي حرم الله إلا بالحق ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَجَزَاؤُه جهنمُ خَالِداً فيها ﴾ إلى آخر الآية .

وقذف المحصنة لأن الله عز وجل يقول : ﴿ لُعِنُوا في الدُّنيا والآخِرَةِ وَلَهُمْ عذابٌ عظيمٌ ﴾ .

وأكل مال اليتيم ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ إنَّما يَأْكُلونَ في بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيصْلَونَ سَعيراً ﴾ .

والفرار من الزحف ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ ومن يوَلِّهِمْ يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصير ﴾ .

وأكل الربا ؛ لأن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ الذِّينَ يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلا كَما يَقُومُ الذي يَتَخبَّطُهُ الشَّيطَانُ من المَسِّ ﴾ .

والسحر ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لِمَنْ اشتَرَاهُ مَا لَهُ في الآخِرة من خلاق ﴾ .

والزنى ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلَكَ يَلْقَ أثاماً يُضاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾ .

واليمين الغموس الفاجرة ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ الذِّين يَشْتَرون بِعَهدِ الله وأيَمانهم ثَمَناً قليلاً ، أولئِكَ لا خَلاَقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ ﴾ .

والغلول ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ ومن يَغْلُلْ يأْتِ بِمَا غَلَّ يَومَ القِيَامَةِ ﴾ .

ومنع الزكاة المفروضة لأن الله عز وجل يقول : ﴿فَتُكوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهُم وَظُهُورُهُم ﴾ .

وشهادة الزور وكتمان الشهادة ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإنَّه ءاثمٌ قلبُهُ ﴾ .

وشرب الخمر ، لأنّ الله عزّ وجلّ نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان وترك الصلاة متعمداً ، أو شيئاً مما فرض الله عزّ وجلّ ، لأن رسول الله ـ (ص) ـ قال : من ترك الصلاة متعمداً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله .

ونقض العهد وقطيعة الرحم ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ **لَهُمْ اللَّعْنَةُ ولهم سوءُ الدَّار** ﴾ .

قال : فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول : هَلَكَ من قال برأيه ، ونازعكم في الفضل والعلم[1] .

(١) وسائل الشيعة ج ١١/ص ٢٥٢/ ح ٢ .

البحث الثالث والأربعون

كيفية جهاد النفس

إنّ العجب والبخل والطمع والحسد والكبر والغضب والجهل صفات ذميمة ، وهي جنود الشيطان يستغلها في كل موقف ومناسبة ، من أجل إسقاط الإنسان في مهاوي الرذيلة والفساد ، وخصوصاً ، إذا افتقر الإنسان الإرادة القوية التي تخوله الصمود تجاه الشيطان وأحابيله ، وكلنا نعلم أن الشيطان يسعى إلى القضاء على عقل المرء وإيمانه من خلال التسلط على رغائبه الحسية ، فيحوله إلى مخلوق مهين . وقد أشار الله ـ سبحانه ـ إلى ذلك بقوله :

﴿ خَلقَ الإنسانَ من نُطْفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبين ﴾(١) .

وقال : عزّ من قائل : ﴿ بل يُريدُ الإنسانُ لِيَفْجُرَ أمَامَه ﴾(٢) .

وقال في موضع آخر : ﴿ وإن تعدُّوا نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصوهَا ، إنَّ الإنسَانَ لَظَلومٌ كَفَّارٌ ﴾(٣) .

وعندما يجاهد الإنسان نفسه ويخالف هواها بإرادة قوية مردُّها العقل والإيمان ، يقطع طريق الغواية على جنود الشيطان ، وتصبح إدارة الجسد بيد العقل وجنود الرحمن والملكات الايجابية وتتجسد بالتالي صفات رحمانية في الإنسان : كالقدرة ،

(١) سورة النحل ٤/١٦ .

(٢) سورة القيامة ٥/٧٥ .

(٣) سورة ابراهيم ٣٤/١٤ .

والحلم ، والصبر ، والوفاء والعز والوقار ، والعفّة ، والشجاعة ، والصداقة ، والجود والكرم ، وغيرها من الصفات الحسنة التي ترجع إلى مبدأ الخير والكمال وهو واجب الوجود ، يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني ادَمَ وَحَمَلْناهُمْ في البَرِ والبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وفَضَّلْناهَمْ عَلَى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ﴾(١) .

وقال عزّ من قائلٍ : ﴿ لَقَدْ خَلقْنا الإنسانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلينَ * إلاّ الذَينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحاتِ . فَلَهُمْ أجرٌ غيرُ مَمْنُونٍ ﴾(٢) .

وقال : عزّ وجلّ : في موضع آخر : ﴿ وَنَفْسٍ وَما سوّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وتقواها * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دسّاها ﴾(٣) .

وعلينا هنا أن نعرف كيف نجاهد أنفسنا ، ونبعدها عن كل صفة ذميمة وقبيحة .

وفي هذا المجال ذكر علماؤنا في كتبهم منهجاً خاصاً يمكننا أن نلحظه من خلال تفسيرهم لهذه الآية الشريفة :

﴿ يا أَيُّها الذَينَ آمَنوا اصبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلحون ﴾(٤) .

فقال بعض هؤلاء : إنّ المرابطة هي جهاد النفس، الذي يمكن أن يتحقق في المراحل التالية :

المراحل الأساسية في جهاد النفس

١ ـ **المشارطة** : هي أن المجاهد يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس بعد صلاة الفجر في كل يوم ، كما ان التاجر عند تسليم البضاعة إلى شريكه يفرغ المجلس لمشارطته .

فينبغي أن يقول المجاهد لنفسه : عمري بضاعتي ورأس مالي فإن فني فقد

(١) الإسراء ١٧/ ٧٠ .
(٢) التين ٩٥/٤ ـ ٦ .
(٣) الشمس ٩١ /٧ـ ١٠ .
(٤) آل عمران ٢/ ٢٠٠ .

فني رأس المال ، ولا تجارة بعد ذلك . وهذا يوم جديد قد أمهلني الله ـ عز وجل ـ فيه ، وأنعم به عليّ ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدينا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً ، فاحسبي يا نفس أنك توفيت ، ثم رددت فأياك أن تضيّعي هذا اليوم .

ودليلنا على ذلك ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **قال ربّ أرجعونِ * لعلي أعملُ صالحاً فيما تركتُ * كلاّ إنها كلمة هو قائِلُها ، ومن وَرائهم . بَرْزَخٌ إلى يَوْم يُبْعَثُونَ**﴾[1] .

فإنّ كل نفس من الأنفس ـ جوهرة لا تقدّر، فيشرط على اللسان والبطن والأذن والرجلين واليدين والعينين أن لا ترتكب المعاصي والذنوب[2] .

٢ ـ المراقبة : وهي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمّ إليه ، لئلاّ تقع النفس في حبائل الشيطان لإغواء الناس ، وينبغي أن ينظر إلى نفسه ، وكأنه بين يدي الله الذي يرى كل ما يصدر عنه وهو الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها وهذا أدق أشكال المراقبة ، فلا يبقى مجال للقلب أن يرغب إلى غيره أبداً .

قال رسول الله (ص) :
« إنما تسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني »[3] .

وروي أنّ الله عز وجل قال للملائكة : أنتم موكّلون بالظواهر ، وأنا رقيب على البواطن »[4] .

وقال علي بن أبي طالب (ع) :
« طوبى لمن راقب ربّه وخاف ذنبه »[5] .

---

(١) المؤمنون ٢٣/ ٩٩ و ١٠٠ .
(٢) المحجة البيضاء ج ٨ .
(٣) جامع السعادات ج ٣/ ٩٦ .
(٤) المحجة البيضاء ج ١٥٦/٨ .
(٥) غرر الحكم ج ٣٨/٢ .

وحكي أن زليخا لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها ، فقال يوسف ، (ع) مالك ، أتستحين من مراقبة جماد ولا تستحين من مراقبة الملك العظيم الجبار الذي هو على كل شيء رقيب[١] .

وقد تتخذ المراقبة شكلاً آخر وهو . مراقبة الورعين من المتّقين ، فإنك حينما تصدر عنك أعمال غير لائقة كالجلوس في الخلوة ، مثلاً ثم يحضرك صبي أو إمرأة ، فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه ، فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك ، لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء ، فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك ، فهي تهيج الحياء منك . أما لو كان المراقب ملكاً لشدّدت عندئذٍ المراقبة والتحفظ أكثر فأكثر . وقد خط الشاعر الفارسي هذا المعنى ، فقال فيه :

در مقامي كه كني قصد گناه	گر كند كودكي از دور نگاه
شرم داري ز گنه در گذري	پرده عفت خود را ندري
شرم بادت ز خداوند جهان	كه بود واقف اسرار نهان
بتو باشد نظرش گاه بيگاه	تو كني در نظرش قصد گناه

فينبغي على المؤمن المجاهد أن يراقب نفسه ويحاسبها كي يروضها على عمل الخير ، ويجنّبها ما يشينها لما في ذلك من أثر مستقبلي لبناء مجتمع هادف لإعلاء راية الحق خفاقة ، وعلى الإنسان أن يصون عمله عن الرياء ، لأن اذ أن الرياء يمحقه ، فيجعله هباء منثور .

٣ ـ **المحاسبة** : وهي أن يحوِّل العبد آخر ساعات النهار لمحاسبة نفسه فيها . على جميع حركاته وسكناته . كما يفعل التاجر في كل أسبوع وشهر وسنة ، ليعرف ربحه أو خسارته خلال هذه المدة قال الله العظيم :

﴿ يَا أَيُّها الذين آمَنُوا اتقوُا الله ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغدٍ ، واتّقوا الله إن الله خَبيرٌ بِمَا تَعْمَلُونْ ﴾[٢] .

---

(١) المحجة البيضاء ج ١٥٦/٨ .
(٢) الحشر ١٨/٥٩ .

كما قال رسول الله (ص):

« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتجهّزوا للعرض الأكبر »[١] .

وقد نقل محمد بن الحسن في المجالس والأخبار بأسناده . . . عن أبي ذر ـ رحمه الله ـ في وصيّة النبي (ص) أنه قال :

« يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب ، فإنه أهون لحسابك غداً ، وزن نفسك قبل أن توزن ، وتجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفي على الله خافية ـ إلى ان قال : يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، فيعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، ومن أين ملبسه ، أمن حلال أو من حرام ، يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال ، لم يبال الله من أين أدخله النار »[٢] .

والجدير بالذكر ما نقله محمد بن علي بن الحسين . . . عن ابن جريح عن عطاء عن أبي ذر « في حديث » قال ؛ قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم ؟ . قال رسول الله (ص) .

« كانت أمثالاً كلها : ايها الملك المبتلي المغرور ، إني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترّد عني دعوة المظلوم ، فاني لا اردّها وإن كانت من كافر : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً ان تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها صنع الله اليه ، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال ، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات ، واستجمام للقلوب وتفريغ لها »[٣] .

وبالجملة فإن الاخبار تبين لنا أن الانسان عندما يعمل عملاً مهما كان صغيراً تفتح له ثلاثة دواوين ـ الديوان الاول : لِمَ ؟ أي : لِمَ عملت هذا ؟
والثاني : كيف ؟ أي : كيف عملت ؟ فإن لله في كل عمل شرطاً أو حكماً لا يدرك

(١) وسائل الشيعة ج ١١/٣٨٠ ـ رقم الحديث ٩ « محاسبة النفس للسيد ابن طاووس » .
(٢) وسائل الشيعة ج ١١/٣٧٩ ـ رقم الحديث ٧ « المجالس والأخبار ، ٣٣٨ » .
(٣) وسائل الشيعة ج ١١/٣٧٨ ـ ح ٤ .

قدره ووقته ووصفه الا بعلم ، هل عملت عن علم أو جهل ؟

والثالث : لمن ؟ أي ؛ لمن عملت ، ألوجه الله خالصاً ؟ وفاء بقولك « لا إلّه إلاّ الله » ؟ فيكون أجرك على الله ، أم لمراءاة خلق مثلك فخذ اجرك إذاً منه ، أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ، أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك ، وحبط عملك ، وخاب سعيك ، وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي ، إذ كنت عبداً لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ، ثم تعمل لغيري ، أما سمعتني أقول :

﴿ إنَّ الذين تَعبدونَ من دونِ الله لا يملِكونَ لكم رِزْقاً فابتَغُوا عند الله الرِّزق واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون ﴾[1] .

ويحك أما سمعتني أقول :

﴿ إنَّ الذين تَدْعُونَ مِنْ دوُنِ الله عِبادٌ أَمْثالُكُمْ ، فَادْعُوهُمْ فَلْيَستَجِيبُوا لَكُمْ إن كنتم صادِقينَ ﴾[2] .

فإذا عرف العبد أنه مسؤول عن كل ذلك فلا بُد له من أن يعدّ نفسه للجواب ويهيّئها لمرضاة الله سبحانه وتعالى[3] . . . وذلك من خلال عمل الخير واجتناب المعاصي التي تبعده عن مرضاة الله .

٤ ـ معاقبة النفس على تقصيرها : وهي مرحلة رابعة من جهاد النفس ، حيث إن الإنسان يوبخ نفسه ويلومها عندما يرتكب المعاصي او يقصر في حق الله ـ عزّ وجل ، فيعاقبها بالجوع ، اذا زينت له ، وأكل سحتاً أو حراماً . وبغض النظر ، حتى منعه ، إذا نظر إلى المرأة الاجنبية وبالامتناع عن السمع إذا سمع اللغو أو ما لا يسمح الشرع بسماعه فيعاقبه بمنع الاستماع ، وهكذا إذا توجه القلب إلى محارم الله يمنعه ذلك ويحرضه على ذكر الله .

وهذا أمر طبيعي للإنسان فهو يعاقب ابنه أو زوجته وأهله على ما يصدر منهم من

---

(١) سورة العنكبوت ١٧/٢٩ .

(٢) الاعراف ١٩٤/٧ .

(٣) المحجة البيضاء ج ١٥٩/٨ .

سوء خلق أو عمل غير صحيح ، خوفا من أن يتجاوزوا ذلك إلى ما هو أدهى وأمر ، فكيف يهمل نفسه وهي أعظم عداوة للانسان وضراوة له وأشد طغياناً عليه ، حيث إنها تحبط عمله وتحرمه الأجر ، وذلك هو الخسران المبين .

فعلى كل إنسان ينبغي سعادة الدارين أن يجاهد نفسه ويحاسبها على كل صغيرة أو كبيرة ارتكبها ، لكي يؤمن السعادة الأبدية ، وهذا ما نلاحظه في رسالة الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري حيث جاء فيها :

« وإنَّما هِيَ نَفْسِي أروُضُها بِالتَّقْوىٰ لِتأتِي آمِنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأكَبرِ ، وتَثْبُتَ عَلىٰ جَوانِب المَزْلَقِ . وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَرِيقَ ، إلى مُصَفَّى هذا العَسَلِ ، وَلُبابِ هَذا القَمحِ ، وَنَسائجِ هَذا القزّ ، وَلكِن هِيهاتَ أنْ يَغْلِبَنِي هَوايَ ، وَيَقودَني جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الأطْعِمَةِ »(١) . . .

وفيها أيضاً ، يذود نفسه عن الطمع بما لا يكاد يقبله الفقراء المجهودون لأنفسهم طعاماً يمنعها من طلب الهوى .

« وايْمُ الله ـ يميناً أسْتَثْني فِيها بمشيئة الله ـ لأرُوَضنَّ نَفْسي رياضَةً تَهِشُّ مَعَها إلى القُرْصِ إذا قَدِرْتُ عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدُوماً »(٢) .

---

(١)و(٢) نهج البلاغة الرسالة ٤٥ .

البحث الرابع والأربعون

« لزوم مراعاة أمور اساسية لمجاهدة النفس »

ذكر علماء الأخلاق : ينبغي للسالك سبيل جهاد النفس أن يهتم بالأمور التالية :

١ ـ أن يطالع المجاهد أحوال الرجال والنساء من الخيرين الذين وفقوا للوصول إلى المدارج العليا من التقوى وعلى رأسهم المجاهدون الذين استشهدوا في سبيل الله وضحّوا بأنفسهم في معارك الحق ضد الباطل، وأن يطالع المجاهد أحوال بعض خُلّص صحابة رسول الله ـ (ص) ـ والأئمة المعصومين ـ (عليهم افضل الصلاة والتسليم ـ الذين تحملوا مصائب كثيرة في سبيل إعلاء كلمة الحق كبلال بن رياح ، وعمار بن ياسر ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وأويس القرني ، وخباب بن الأرت ، وميثم التّمار ، ورشيد الهجري ، وقنبر مولى أمير المؤمنين ـ (ع) ـ وغيرهم من صفوة الأولياء الأخيار ، رضي الله عنهم أجمعين[1] .

٢ ـ أن يصاحب المجاهد المتقين الذين يعيشون في عصره والذين وصلوا إلى قمة التقوى ، هؤلاءالذين يعملون لله ، ويفكرون في الله ، ولا يخافون في الله لومة لائم بل يفتدون الحق بأموالهم وأنفسهم وأعراضهم وأبنائهم وهم يقولون : ﴿ **إنّا لله وإنّا إليه راجعون** ﴾[2] . ويعتقدون بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

---

(١) يمكن معرفة أحوالهم بالرجوع الى « بحار الأنوار ج ١٢٢/٤٢ .

(٢) البقرة ١٥٦/٢ .

٣ ـ أن يفكر المجاهد في آثار الله وقدرته ، ويحصي نعماءه على نفسه وبقية خلقه ، ويواظب على تلاوة القرآن الكريم والأوراد والأدعية المأثورة ، ويلزم نفسه بأداء الصلوات في أوقاتها ، وعمل المستحبات ، وترك المكروهات قدر الإمكان .

٤ ـ على المجاهد أن يتوب ويستغفر ربه ليل ونهار عما صدر عنه من المعاصي والذنوب بصورة خاصة ، حيث أن للإنابة والاستغفار منهجاً خاصاً كما هو معروف في الأحاديث ، وينبغي أن يتوب إلى الله وفق ذاك المنهج ، فمنا الاستغفار ، ومنه القبول . وخير مثال على ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين ـ (ع) ـ حيث قال : لمن قال بحضرته « أستغفر الله » :

ثَكَلتكَ أُمّكَ ، أَتَدْري مَا الاسْتَغْفارُ ؟ الأَسْتِغْفارُ دَرَجَةُ العِلّيينَ ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلى سِتَّةِ مَعٰانٍ :

أَوَّلُهٰا : النَدَّمُ عَلىٰ مٰا مَضى .

وَالثاني : العَزْمُ عَلىٰ تَرْكِ العَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً .

والثالِثُ : أَنْ تُؤدِي إلى المَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتى تَلْقَى الله أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ .

والرّابعُ : أن تَعمِدَ إلى كُلّ فَريضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعتَهٰا فَتُؤدّيَ حَقّهٰا .

وَالخٰامسُ : أَنْ تعمدَ إلى اللّحْمِ الذي نَبَتَ عَلىَ السُّحْتِ فَتُذِيبهُ بالأَحْزانِ ، حَتى تُلْصِقَ الجِلْدَ بِالعَظْمِ ، وَيَنَشأَ بَيْنَهُما لَحْمٌ جَديدٌ .

وَالسادِسُ : أَنْ تُذيقُ الجِسْمَ أَلَمَ الطٰاعَةِ ، كَمٰا أَذقته حَـلاٰوَةَ الْمَعْصِيةِ ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ :

« أَسْتَغْفِرُ الله »(١) .

وقد أكدت الأحاديث أن الاستغفار مطلوب ومحمود من العبد سواء ارتكب المعاصي أم لا ونجد في سيرة سيدنا محمد ـ (ص) ـ دليلاً واضحاً على ذلك ، حيث إنه كان يستغفر ربه ليلاً ونهاراً دون أن يرتكب أي ذنب وقد ذكر ذلك سهل بن زياد ،

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة/٤١٧ .

عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ، في حديث ، قال :

إنَّ رَسُولَ الله ـ (ص) ـ كَانَ يَتُوبُ إلى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَائَةَ مَرَّةٍ مِنْ غَيرِ ذَنْبٍ ، إنَّ الله يَخُصُّ أَوْلِياءَهُ بِالمَصَائبِ لِيأجُرَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ [1] » .

وأفضل وقتٍ للاستغفار وقت السحر حيث يؤْمَلُ فيه استجابة الله سبحانه وتعالى ـ أكثر من بقية الأوقات ، وهذا ما نلاحظ من خلال حديث شريف للإمام موسى بن جعفر ـ (ع) ـ عن آبائه ، عن جدّه ، عليّ بن أبي طالب ـ (ع) ـ قال :

« إنَّ الله عز وجل إذا أرادَ أنْ يُصيبَ أَهْلَ الأَرْضِ بِعذابٍ قَالَ : لَوْلا الَّذِيْنَ يَتَحابُّونَ بِجَلالي ، وَيَعْمُرُوْنَ مَسَاجِدِي ، وَيستَغْفِرُوْنَ بِالأَسْحَارِ ، لأَنْزَلْتُ عَذَابي »[2] .

٥ ـ ينبغي للمجاهد نفسه أن تحاشي البذاء ومفاحش الكلام ، وان يراقب حينها ما يقول وما يسمع ونستدل على ذلك بهذا الحديث الشريف :

محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن حماد بن عيسى . . . عن جعفر بن محمد ـ (ع) ـ عن آبائه في وصية النبي ـ (ص) ـ لعليّ ـ (ع) ـ . قال :

« يا عليّ حرّم الله الجنة على كل فاحش بذيء لا يبالي ما قال ، ولا ما قيل له ، يا عليّ ، طوبى لمن طال عمره وحسن عمله »[3] .

كما جاء في الحديث ، عن أبي عبدالله ـ قال : « الحياء من الايمان والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار »[4] .

٦ ـ على المجاهد نفسه أن يتحلى بأحسن الأخلاق وأفضلها ويبتعد عن كل ما يسوؤها ، لأن ذلك يحول دون استجابة الدعوات ، وقد قال الله ـ عز وجل ـ لرسوله ـ (ص) .

﴿ فبما رَحْمَةَ من الله لِنْتَ لَهُمْ ولو كنتَ فَظّاً غليظَ القَلْبِ لانْفضوا مِن

(١) وسائل الشيعة ج ١١/٣٦٨ باب ٩٢ الحديث/٥ .
(٢) وسائل الشيعة ج ١١/ ٣٧٤ ـ باب ٩٤ ـ ح ١ .
(٣)و(٤) وسائل الشيعة ج ١١/ ٣٣٠ ـ الحديث ٤ ـ ٥ .

حَولِك ﴾[١] .

اذا ، فعلى المجاهد أن يؤدّب نفسه بالأخلاق الكريمة الفاضلة ، لكي يكون نموذجاً للانسان المسلم المجاهد الهادف لبناء صرح الإنسانية على أسس صحيحة .

أما بالنسبة لسوء الخلق ، فقد تعرض له أئمتنا كثيراً لكي يؤدبونا ويبْنوا لنا حياة حرة كريمة ، والأحاديث على ذلك كثيرة نذكر منها اثنين .

١ ـ محمد بن يعقوب . . . عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال :

« إنّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل »[٢] .

٢ ـ عن النوفلي : عن السكوني ، عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال : قال النبي ـ (ص) ـ :

« أبى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ـ (ص) ـ؟ قال : لأنه إذا تابَ من ذَنْب وقع في ذنب أعظم منه »[٣] .

٧ـ ومن الصفات الحميدة لمجاهد النفس أن لا يعشق الدنيا، وحطامها، فها متاع الغرور ، لأنّ « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ، وما أعجب التشبيه الذي تضمنه هذا الحديث الشريف حيث شبّه الإنسان بدودة القز وهي تزداد حياكة الخيطان التي تلفها على جسمها ، فتزداد من الموت قرباً ، وعن الحياة بعداً .

محمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم . . . عن أبي عبدالله ـ (ع) ـ قال : قال أبو جعفر ـ (ع) :

« مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز ، كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً . . . »[٤] .

هذه جملة من الأمور التي ينبغي لمجاهد النفس أن يتوجّه اليها ، وهناك أمور أخرى يستحسن الرجوع إلى كتب الأحاديث بشأنها .

---

(١) القرة ٣/١٥٩ .

(٢)و(٣) وسائل التيعة ج ١١/ ٣٢٣ ـ باب ٦٩ ـ ح ١ و ٢ .

(٤) وسائل الشيعة ج ١١ / ٣٢٣ باب ٦٤ ـ ح ١ .

البحث الخامس والأربعون

آثار جهاد النفس

عندما نتأمل بإمعان نجد أن لجهاد النفس فوائد كثيرة وآثاراً إيجابية لجميع بني الانسان للتاجر والجندي والكاتب وغيرهم من طبقات الشعب لأن الإنسان عندما يجاهد نفسه يصبح صادقاً عفيفاً أميناً ، بعيداً عن كل الصفات الذميمة التي تؤدي إلى سقوط الإنسان وانحطاطه ، ونذكر هنا جملة من الفوائد والآثار المترتبة على جهاد النفس ومحاربتها .

أ ـ تنوّر العقل : حينما يدع الإنسان المعاصي ويسيطر على نفسه ويمنعها من هواها يزدهر عقله ، ويرى الحقائق كما هي ، وقد قال الحكماء :

« إن العقل بمنزلة النار تعطي الحرارة والضوء ، والمعاصي بمنزلة الرماد الذي يغطيها ويسترها » . فالرماد عائق وحائل يمنعنا من الاستفادة من النار وحرارتها وضوئها ، فعلينا إزالة الرماد لكي ننعم . قال مولانا أمير المؤمنين ـ (ع) ـ .

« من غلب شهوته ظهر عقله » [1] .

كما قال ـ (ع) : « لا عقل مع الشهوة »[2] .

وجاء في الاحاديث « الْعَقْلُ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمٰنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الجَنْانُ ، قال : قلت

---

(١) غرر الحكم ج ٥ ـ رقم الحديث ١٩٥ .

(٢) غرر الحكم ج ٦ ـ رقم الحديث ٣٦١ .

فمـا الـذي كـان في معـاويـة فقـال تِلكَ النَّكْـراءِ . تِلْكَ الشَّيْـطَنَـةُ ، وَهِيَ شَبِيهَـةٍ بِالعَقْلِ »[١] .

ب ـ **الأمن الاجتماعي** : ويتجلى بعدم التعدي على الغير ، لأن الإنسان عندما يجاهد نفسه ويحاسبها يرى لغيره حرمـة وكرامـة كما يـرى لنفسه ، فـلا يتعدى على عرض الغير وماله ، فيصبح المجتمع في الأمن الحقيقي .

وبعبارة أخرى : إن الأمن الاجتماعي رهن جهاد النفس ، فهو أقوى من سائر القوى الأمنية كالشرطة والدرك والجيش وغيـرها . لانهم يحـرسون في أمـاكن معينة محدودة ، وعندما يحاسب الانسان نفسه يحرسها في كـل مكان فيـربيها على عمـل الخير واجتناب الشر ، فيعيش الجميع حياة يسودها الأمن وتَعمرها السعادة .

ج ـ **التوفيق لطاعة الله** : من يجاهد نفسه يحرز توفيقاً من الله للأعمال الصالحة الواجبة والمندوبة لأنه خالق هوى نفسه ، وسـلَّم أمره لله تعالى ، الذي ييسر له سبيل الخيرات .

قال عليّ ـ (ع) : « جَاهِدْ نَفْسَكَ وَقَدِّمْ تَوبتكَ تَفُزْ بِطاعَةِ رَبِّك »[٢] .

د ـ **صلاح النفس** : إنّ محاسبة النفس تشغل الإنسان بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، فلا يلتفت إلى عيوب الناس فمن أحسن الأحوال أن ينزه الإنسـان نفسه بعـد معـرفـة معـائبـه كمـا قـال مـولانـا أميـر المؤمنين ـ (ع) ـ : « بـالمجـاهـدة صـلاح النفس »[٣] . وقال ـ (ع) ـ في موضع آخر :

«مَنْ نَظَرَ في عَيْبِ نَفْسِهِ، اشْتَغَـلَ عَنْ عَيْبِ غَيْـرِهِ . . . وَمَنْ نَـظَرَ في عُيُـوبٍ فَأَنْكَرَها ثُم رَضْيَهَا لِنَفسِـهِ ، فذَلِكَ الأَحْمَقُ بِعْينِهِ »[٤] .

وقد نشاهد أشخاصاً كثيراً ممن تخلّقوا بالأخـلاق الحميدة ، يحتـرمهم الناس ويعـظّمونهم ويجلونهم ، لا لمـالهمَ ولا لسـطوتهم ولا لعشيـرتهم . بـل لأخـلاقهم الجميلة التي نشأت من محاربة النفس .

(١) سفينة البحار ج ٢/ ٢١٤ .
(٢) غرر الحكم ج ٣/ ٢٣٤ .
(٣) غرر الحكم ج ٣/ ٢١٤ .
(٤) نهج البلاغة لابن أبي الحديد « أربع مجلدات » ٤/ ٣٩٨ .

ونقيض ذلك فقد نرى أشخاصاً يتركون المعروف وينسون أنفسهم ، ويقومون ويهتمون بإظهار عيوب الآخرين ـ قال الله العظيم : ﴿ **أتأمُرونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَتَنْسَونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَنتُمْ تَتْلونَ الكِتَابَ ، أَفَلَا تعْقِلون** ﴾[١] .

نعم . إنّ نسيانٰ الذات وإنكارها من الأمور التعيسة ومن المصائب في هذا القرن ، وهذا أمر يبتلى به كثير من الناس ، لاسيما المجتمعات التي لا تتمسك بالدين والشريعة ، أو تتّصف بالعادات السيئة ، ومن الطَّريف ما روي : أن عبد الملك بن مروان خطب الناس ، فلما بلغ العظة ، قام إليه رجل من بني صوحان فقال :

مهلاً ، مهلاً! أتأمرون ولا تأتمرون ، تعظون ، ولا تتعظون ، أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم ؟ أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟

فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا فأنّىٰ ـ وكيف ؟ وما الحجة ؟ وما النصير من الله بالاقتداء بسيرة الظلمة ، الفسقة ، الجورة ، الذين اتخذوا مال الله دُولاً ، وعبيدالله خولاً . فإن قلتم اقبلوا نصيحتنا ، وأطيعوا أمرنا ، فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه ؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته ؟

وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام وليناكم أمرنا ؟ وحكمناكم في دمائنا وأموالنا ؟

أما علمتم أنّ فينا من هو أنطق منكم باللغات ، وأفصح بالعظات ؟ فتخلوا عنها أوّلاً ، وأطلقوا عقالها ، وخلوا سبيلها يبتدر إليها آل رسول الله ـ (ص) ـ الذين شردتموهم في البلاد ، وفرقتموهم في كل واد، بل ثبت الحكم في أيديكم لانقضاء المدة ، وبلوغ المهلة ، وعظم المهنة .

إن لكل قائم قدماً لا يعدوه ، ويوماً لا يخطوه ، وكتاباً بعده يتلوه ، لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها ، ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقَلب ينقلبون** ﴾[٢] .
فجهاد النفس هو دواء لكل داء على صعيدي الفرد والمجتمع .

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٤٤ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ .

هـ : **الوصول إلى المراتب السامية نحو الملكوت الأعلى** : إن المجاهد نفسه عندما يحارب يصل إلى قمة الكمال ، ويقع في ساحة المعنويات التي لا خير فيها عن عالم المادة ومميزاتها ، فكلما ابتعد المرء عن المادة دنا إلى ما خلفها من عالم الروح والملكوت قال أمير المؤمنين ـ (ع) ـ:

« ذروة الغايات لا ينالها إلّا ذوُو التهذيب والمجاهدات »(١) .

فإن المجاهد يسلك صُعُداً نحو الملكوت الأعلى ، كأنه يرتبط بمبدأ الخيرات والبركات ، فلا يشغله أية جهة من الجهات ، بل يجد لذةً يتلذذ في مواجهة البلايا والبأساء مثل أسوة المجاهدين أبي الأحرار سيد الشهداء إمامنا ـ الحسين بن علي ـ (ع) ـ فنحن حينما نلاحظ سيرته المباركة نجد مدرسة خاصة بذلك ، حيث إنه تحمل المصائب تلو المصائب في كربلاء بدأً باستشهاد أنصاره وأعوانه ، ثم حارب الأعداء بحيث لم يبق من جسده نقطة سالمة حنيذاك ، أثر عليه العطش وعطش أسرته في الخيم ، ومن كثرة الجروح سقط على الأرض . حينذاك ، ترنّم حزيناً كئيباً : حيث قال ـ (ع) :

« صبراً على قضائك ، يا رب لا إله سواك ، يا غياث المستغثين ، ما لي ربّ سواك ، ولا معبود غيرك ، صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له ، يا دائماً لانفاذ له ، يا محيي الموتى ، يا قائماً على كل نفس بما كسبت احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين »(٢) .

إن يك إسماعيل أسلم نفسه ... إلى الذبح في حجر هو راحمه
فعاد ذبيح الله حقاً ولم تكن ... تصافحه بيض الظبا وتسالمه
فإنّ حسيناً أسلم النفس صابراً ... على الذبح في سيف الذي هو ظالمه
ومن دون دين الله جاد بنفسه ... وكل نفيس كي تشاد دعائمه
ورضت قراه العاديات وصدره ... وسيقت على عجف المطايا كرائمه(٣)

(١) غرر الحكم ج ٤/ ٣٤ .
(٢) أسرار الشهادة/٤٢٣ ـ رياض المصائب/٣٣ .
(٣) من قصيدة للعلامة الشيخ محمد تقي آل صاحب الجواهر .

وتقديراً لهذه المواقف البطولية فإن الله أعطى أنبياءه ورسله والأئمة المعصومين ـ (ع) ـ ولاية تكوينية ، إذ هم منفصلون عن المظاهر المادية ، فمسيطرون عليها وعلى المادة ، بحيث يستطيعون أن ينقلبوا إلى أية صورة يريدونها . وتأكيداً لذلك جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة : المنقولة في الفقيه وعيون أخبار الرضا عن الصدوق . . . عن محمد بن علي (ع) حيث سأله موسى بن عبدالله نجفي : علمني يا بن رسول الله ـ (ص) ـ قولاً بليغاً كاملاً حينما وقفت لزيارة واحد منكم . فقال ـ (ع) ـ اشهد الشهادتين يعني : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم قل : الله أكبر مائة مرة ، ثم اقرأ هذه الزيارة ، ونحن في هذا المجال نعرض مقتطفات منها :

السلام على أئمة الهدى ومصباح الدجى وأعلام التقى . . . والمثل الأعلى والدعوة الحسنى . . . السلام على محالّ معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله ، وحفظة سر الله . . .

من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ، ومن قصده توجه بكم ، موالي لا أحصي ثناءكم ولا أبلغ من المدح كُنْهَكُم ، ومن الوصف قدركم ، وأنتم نور الأخيار ، وهداة الأبحار وحجج الجبار ، بكم فتح الله وبكم يختم ، وبكم ينزّل الغيث ، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بأذنه ، وبكم ينفّس الهّم ويكشف الضُرّ ، وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته » . . . [١] .

لقد قال الحكماء : العلة الفاعلية (السبب المؤثر) تؤثر على الشيء حيث تتم القابلية فيه (المتأثر) فإذا لم توجد هذه السنخية والتنسيق لم يعط الفاعل إلى القابل شيئاً . فإنَّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أعطى ولاية تكوينية إلى الأنبياء والأئمة المعصومين بعدما تّم الإخلاص والتنزيه والتطهير فيهم ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿ إنّما يُريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الْرِجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢] .

---

(١) بحار الأنوار ج ٩٩/١٣١ . مفاتيح الجنان/ ٥٤٥ .
(٢) الأحزاب ٣٣/٣٣ .

والمقصود من أهل البيت ـ الأئمة المعصومون ، لأنّ الآية الشريفة عبرت بضمير التذكير عنهم .

ويؤيد ما ذكرناه الأدعية المأثورة كدعاء الندبة ، حيث جاء فيه العبارة التالية :

﴿ اللّهُمْ لَكَ الحَمْدُ عَلى ما جَرىٰ بِهِ قَضاؤُكَ فِي أَوْلِيائكَ الذّينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ودينِكَ ، إذا اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزيلَ ما عِنْدَكَ مِنَ النَّعيمِ المُقِيمِ الذّي لا زَوالَ لَهُ وَلا اضْمِحْلالَ ، بَعْدَ أنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُنيّا الدّنِيّةِ وَزُخرِفِها وَزُبرِجِها : فَشَرطُوا لَكَ ذلك ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الوَفاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُم وَقَرّبتَهُمْ ، وَقَدَّمتَ لَهُمْ الذِّكْرَ العَليَّ وَالثَّناءَ الجَلِيَّ ، وَأَهْبَطتَ عَلَيْهمْ مَلائِكَتَكَ ، وَكَرَّمتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكِ ، وَجَعَلْتَهُمُ الذُّريعَةَ[١] إلَيْكَ ، وَالوَسيلَةَ إلى رِضْوانِكِ ﴾[٢] . . .

و ـ **قيمة جهاد النفس** : الدخول إلى الجنة : إن المجاهد عندما يحارب ويحرم نفسه اللذات والشهوات ، ويجتنب المحرمات لكي يتقرب إلى الله سبحانه ، فهو يطلب جزاءه وأجره في الآخرة ، لأن الدنيا ليست محلا للجزاء ، بل هي تفنى وتزول ، فإنه يحصل على الجزاء ورضوان الله في حياة أبدية وخالدة ، وهذا أمل الأنبياء والمجاهدين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله .

بالاضافة إلى ذلك . أن الجزاء هو عطاء من الله . وانه ـ عزّ وجلّ ـ يتم كرامته وفضله في دار الآخرة حيث صرح في القرآن الكريم بها ونذكر هنا جملة من الآيات .

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **تلك الجَنة التي نورث من عبادنا مَن كان تقياً** ﴾[٣] .

وقال ـ عزّ اسمه ـ في موضع آخر : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوىٰ** ﴾[٤] .

وأيضاً قال : عزّ من قائل :

﴿ **مثل الجنة التي وُعِد المتقّون ، تجري من تحتها الأنهار أُكُلُها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتّقوا ، وعقبى الكافرين النار** ﴾[٥] .

(١) نسخة أخرى : جعلتهم الذرائع .
(٢) بحار الأنوار ج ٩٩/١٠٤ مفاتيح الجنان/٥٣٢ ـ المنقولة من كتاب مصباح الزائر .
(٣) سورة مريم ١٩/٦٣ .
(٤) سورة النازعات ٧٩/ ٤٠ ـ ٤١ .
(٥) سورة الرعد ١٣ / ٣٥ .

ويؤيد ما ذكرناه قول أمير المؤمنين - (ع) - « جهاد النفس مهر الجنة »[١] . وقال - (ع) - في موضع آخر « جهاد الهوى ثمن الجنة »[٢] هذه جملة من آثار محاربة النفس ، وتوجد فيها فوائد عديدة يمكن الحصول عليها من كتب التفسير والحديث والأخلاق ، ونحن نكتفي بهذا المقدار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٤١٠ عيد الفطر السعيد

(١)و(٢) غرر الحكم الفصل ٢٦ - رقم الحديث ٣٩ - ٤٠ .

المحتويات